إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الغربة والحنين في شعر أحمد شوقي
(دِرَاسَـــــةٌ وَصْفِيّـــــةٌ تَحْلِيلية)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name: اسم الطالب: نضال عليان عويض العماوي

Signature: التوقيع:

Date: التاريخ: 28 / 11 / 2015

الجَامِعَـــــــةُ الإسـلاميّةُ- غَـــــزّة
شـؤون البحـث العلمـي والدراسَـات العُليـا
كُلِّيّــــــــــــــــــــــــةُ الآدَابِ
قِـــــــسْمُ اللُغــــــــة العَرَبِيّـــــــة

الغربة والحنين في شعر أحمد شوقي
(دِرَاســـَــةٌ وَصْفِيّـــــــــــةٌ تَحْلِيلِيةٌ)

Foreignness and Nostalgia at the Poetry of Ahmed Shawki
(A Descriptive and Analytic Study)

إِعْدَادُ الطَالِب
نضال عليان عويض العماوي

إِشْرَافُ الدكُتورِ
د. ماجد محمد النعامي
أستاذ الأدب والنقد المشارك في الجامعة الإسلامية – غزة

قُدِّمَتْ هذه الرِّسَالةُ استِكمَالاً لِمُتَطَلّبَاتِ الحُصولِ عَلَى دَرَجَةِ المَاجِستير فِي الأَدَبِ والنَّقْدِ مِن كُلْيّةِ الآدَابِ فِيْ الجَامِعَةِ الإسَلاميّة بِغَزّةَ

١٤٣٧هـ ــ ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا   هاتف داخلي 1150

الرقم ج س غ/35/ Ref

التاريخ 2015/11/01 Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **نضال عليان عويض العماوي** لنيل درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/ قسم اللغة العربية**، وموضوعها:

الغربة والحنين في شعر أحمد شوقي

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الأحد 19 محرم 1437هـ، الموافق 2015/11/01م الساعة الواحدة والنصف ظهراً بمبنى طيبة، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. ماجد محمد النعامي	**مشرفاً و رئيساً**	....
د. وليد محمود أبو ندى	**مناقشاً داخلياً**	....
د. رياض عبدالله أبو راس	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/قسم اللغة العربية**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف علي المناعمة

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 هاتف ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾

(البقرة ٣٢)

الإهـــداء

إلى روح والدي الطاهرة ، التي تسقيني الحبَّ والحنين .

إلى نبع الحنان ، ومصدر الأمـــــان ، أمي الحبيبة .

إلى زوجتـــي الغالية التي أخذت بيدي

حتى نهاية هــــــــذا العمل .

إلى توءم الروح أخي العزيز

أبي عبد اللّه .

إلى أخواتي الكريمات .

إلى مهجة الفؤاد بناتي: سلمى ، مروة ، ريتاج .

شكر وتقدير

قال تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾(النمل ١٩/٢٧)

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، أحمدك ربي حمد الشاكرين وأثني عليك الخير كله ، فأهل أنت أن تعبد وأهل أنت أن تحمد ، وما عبدناك حق عبادتك ، فمقامك عظيم وسلطانك قديم وعزتك فوق كل عظيم ، وأصلي على سيدنا وشفيعنا محمد (صلى الله عليه وسلم) أما بعد ،،،

الحمد لله أنَّ منَّ عليَّ بإنهاء دراستي هذه ، ووفقني في إتمامها ، فلا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان من مشرفي الفاضل الدكتور ماجد محمد النعامي الذي ما فتئ يقدم لي نصائحه الثمينة وتوجيهاته السديدة منذ أن كان هذا العمل فكرة إلى أن صار ثمرة واستوى على سوقه ، فله مني الشكر ألفاً ، والله العلي العظيم أسأل أن يجزيه عني خير الجزاء ، ويجعل هذا العمل في ميزان حسناته .

وأعطِفُ شُكري وامتِناني إلى مناقشي الكريمين : الدكتور وليد محمود أبو ندى أستاذ الأدب والنقد في الجامعة الإسلامية ، والدكتور رياض عبد الله أبو راس أستاذ الأدب والنقد ، اللذين تفضلا بالموافقة على مناقشة رسالتي، وتجشما قراءة هذه الرسالة العلمية؛ لتقديم التوجيه والنصح اللازمين ، وإثراء الرسالة من غزير علمهما، فلكما مني خالص الشكر والتقدير .

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والتقدير من كل من علمني حرفاً طوال مسيرتي في العلم والتعليم ، وأخص بالذكر أساتذة قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية ، والشكر موصول لأصدقاء الدراسة الذين رافقوني على مدار سنوات دراستي في الجامعة ، وقدموا لي يد العون ، وأخص بالذكر صديقي العزيز الأستاذ محمد الدراوشة .

والشكر موصول للهيئة التدريسية بمدرسة ذكور المغازي الإعدادية (أ) وأخص بالذكر الإدارة لما قدمته لي من تسهيلات أثناء دراستي . وشكر خاص للأستاذ خضر سعيفان الذي قام بمراجعة البحث وتدقيقه.

ولا أنسى كل من سأل عني وعن مدى تقدمي في دراستي هذه ، فلكم مني جزيل الشكر والتقدير .

ملخص البحث

يتناول هذا البحث بالدرس والتحليل شعر الغربة والحنين عند أحمد شوقي ، والتعرف إلى تجليات تلك الظاهرة وأبعادها في شعره ، والكشف عن أسباب الغربة والاغتراب في حياته وتأثيرها على شعره ، فقد أسهمت مجموعة من العوامل في تكون تلك الظاهرة منها عوامل سياسية وعوامل نفسية وعوامل اجتماعية وأخرى ثقافية ، والغربة عند شوقي ارتبطت بالحنين ارتباطاً وثيقاً ، إما في المجال السياسي ، أو المجال المعيشي في حياته ، فظهر الحنين في مجالات عدة متمثلاً في : الحنين إلى الوطن ، والحنين إلى الأهل والأصدقاء ، والحنين إلى الذكريات الجميلة ، والحنين إلى المكان ، والحنين الديني ، والحنين إلى المحبوب . أما أكثر أنواع الحنين ظهوراً في شعره وأقواها تأثيراً فكان حنينه إلى الوطن ، وذلك بسبب نفيه عن وطنه، ومعاناته في بلاد الغربة من ضيق العيش ، ومعاناة نفسية بسبب الغربة عن الوطن .

لقد جاء البحث متناولاً في التمهيد حياة شوقي منذ ولادته حتى وفاته ، للتعرف إلى مسببات تلك الظاهرة في شعره ، وجاء الفصل الأول متحدثاً عن الغربة في شعره وبواعث الغربة بشكل عام ، وتقسيم الغربة عنده إلى داخلية وخارجية ، أما الفصل الثاني فقسم على ستة مباحث تناول مجالات الحنين في شعره ، وجاء الفصل الثالث دراسة فنية لموضوع الغربة والحنين من حيث الأسلوب ، والصورة الشعرية ، والموسيقا سواء أكانت خارجية أم داخلية ، ثم الخاتمة مشتملة على أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

Abstract

This research studies and analyses the poetry of alienation and nostalgia at Ahmed Shawqi's poetry . It identifies the aspects of this phenomenon and its dimensions in Shawqi's poems . This research reveals the reasons of alienation at Shawqi's life and its impact on his poetry .

There was a combination of factors that have contributed to form this phenomenon – some of these factors were political , psychological , social and cultural .

The alienation at Ahawqi's poetry is closely associated with homesickness either with political or living sphere . Therefore , the nostalgia appears at many areas . It is represented at homesickness , nostalgia for the family , the friends , the sweet memories , the place , the religion and longing for the beloved .

The strongest type of nostalgia at Shawqi's poems is homesickness and it influenced his poems clearly .This is because of the exile away from his homeland . Moreover , Shawqi's suffering by the bad circumstances during the exile affected his poetry .

The introduction at this research tackles Shawqi's life from birth to death to understand the causes of this phenomenon in his poems .The first chapter tackles the alienation and its motives at Shawqi's poetry . The alienation generally is divided into internal and external .However , the second chapter is divided into six sections that tackles the areas of nostalgia in Shawqi's poetry . The third chapter covers the technical study of the alienation and nostaligia in terms of style , poetic image and the music – whether internal or external . Finally , the conclusion includes the most important findings that the researcher reached .

المقدمـــة

الحمـد لله رب العـالمين ، باعـث النبيـين مبـشرين ومنـذرين ، وأصـلي علـى سـيد الأولـين والآخرين سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد ،،،

ظاهرة الغربة والحنين قديمة قدم الإنسانية ، والشعر العربي مليء بتلك الشواهد منذ بداياته ، فلقد كـان الـشعراء الأوائـل يقفـون علـى الأطـلال ومـا وقـوفهم هذا إلا شـعور بالغربـة عـن الـديار والأحباب ، وحنين لمن أحبوهم وأخلصوا لهم ، وسار على هذا النمط كل من عانى تجربـة الغربـة والحنين من الشعراء العرب على مر العصور الأدبية منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث؛ لكـن بواعـث الغربـة تنوعت بينهم ، فكانـت بواعـث الغربـة إمـا سياسـية أو اجتماعيـة أو نفسية أو ثقافية ، وقد تشترك بعض البواعث عند أحد الشعراء ، والحنين ناتج عن إحدى هذه البواعث .

أما عند شوقي فقد اشتركت مجموعة من العوامل في إبراز ظاهرة الغربة والحنين في شعره ، منها : العامل السياسي ، والاجتماعي ، والنفسي ، والثقافي .

إنَّ الواقع الذي عاشه شوقي كان له الدور الأبرز في تكوين تلك الظواهر في شعره ، فالفترة الزمنيـة مـن حيـاة شـوقي مـرت فيهـا تغيـرات جذريـة علـى المستوى العـالمي عامـة ، وفـي الـوطن العربي خاصة ، لاسيما مصر قلب الأمة النابض ، ومن تلك الأهوال : نفي شوقي عن وطنه ، واندلاع الحرب العالمية الأولى، وسقوط الخلافة الإسلامية على يد مصطفي أتاتورك ، وتعرض الوطن العربي للاحتلال الغربي، والواقع الاجتماعي في مصر ، ناهيك عن أحاسيسه الشخصية والنفسية وفاعليتـه فـي بـث الحيـاة الأدبيـة مـن جديـد مـن خـلال دوره البـارز فـي مدرسـة الإحيـاء والبعث .

ومـن خـلال اطـلاع الباحـث ودراسـته لـديوان شـوقي ، وجـد بـروز ظـاهرة الغربـة والحنين لـدى الشاعر ، مما دفع الباحث وحفزه إلى دراسة هذه الظاهرة عنده ، خاصة وأنها لم تدرس من قبل، وقد بدأت البحث بمقدمة وتمهيد ، وأشرت في المقدمة إلى أهمية البحث ، وسبب اختيـار موضـوع البحـث ، ثـم ذكـرت الـصعوبات التـي واجهتنـي أثنـاء كتـابتي هـذا البحـث ، ثـم ذكـرت الدراسـات السابقة ومـنهج البحـث ، وفـي التمهيـد تناولـت حيـاة شـوقي منـذ ولادتـه حتـى وفاتـه ، ثـم قـسمت البحـث إلـى ثلاثـة فـصول : فتحدثت فـي الفـصل الأول عـن الغربـة فـي شـعر أحمـد شـوقي ، وفـي الفصل الثـاني تحدثت عـن الحنين فـي شـعر أحمـد شـوقي ، أمـا الفـصل الثالـث فتناولـت الدراسـة الفنية لغرض الغربة والحنين في شعر شوقي ثم الخاتمة مشتملة على أهم نتائج البحث ، وذكرت مصادر البحث ومراجعه ، واختتمت الدراسة بمجموعة من الفهارس .

وقد اعتمدت في دراستي هذه على ديوان أحمد شوقي (الشوقيات) تدقيق : محمد فوزي حمزة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ٢٠١٢ م ، وذلك لأنها شملت جميع أشعار شوقي، مضافة إليها الأشعار المجهولة التي أثبتها محمد صبري في كتابه (الشوقيات المجهولة).

فأرجو أن يجدَ هذا البحثُ عِنْدَ اللِجنةِ الموقرةِ صدراً رحباً، يقيم عِوَجه، ويَرْأَبُ صدعه، وأحسَبُ أنَّ ذَوي العِلمِ والقَدَمِ الرَّاسِخَة في هذا المَجَالِ سَيَلتَمِسونَ لِيَ الأعذَارَ مَا يُتَجاوزُ بِهِ عَن الهَنَّاتِ التي وَقَعَتْ دونَ قَصدٍ مِنِّي في هذا العَمَلِ، وسأكونُ سَعيداً بالِغَ السَّعادَة بِمَا سَيُبدونَه مِن مُلاحَظاتٍ واستِدرَاكاتٍ ، سَتَكونُ مَحَلَّ تَقديري واعتِزازي أولاً ، ثمَّ عِنايَتي واهتِمامي ثانِياً ، لِيَخرجَ هذا البَحثُ في حُلَّتِهِ القشيبة بإذنِ اللهِ تَعالى .

وعند الانتهاء من كتابة هذا العمل تختلط عند الإنسان مجموعة من الأفكار ، تراوده باستمرار حول المراجعة والتدقيق الجيد ، ولعل القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني يجمل ذلك التفكير في قوله : "إنِّي رأيْتُ أنَّه لا يَكتُبُ إنسانٌ كِتاباً في يَومِه إلا قالَ في غَدِه ، لو غُيِّرَ هذا لَكانَ أحسَنُ ، ولو زِيدَ كَذا لَكانَ يُسْتَحْسَنَ ، ولو قُدِّمَ هذا لَكانَ أفضَلَ، ولو تُرِكَ هذا لَكانَ أجمَلَ، وهذا مِن أعظَمِ العِبَرِ ، وهو دَليلٌ عَلَى استيلاءِ النَّقْصِ عَلَى جُملَةِ البَشَر "(١).

فأسأل اللهَ تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه ، وأن يعيننا على خِدْمَةِ لغة قرآنه ، وأن يهيئ لنا من أمرنا رَشداً ، فمنه أستمدُّ الصوابَ ، والتوفيقَ إلى ما يُحْظِينِي لديه بجزيل الثواب ، وإياهُ أسألُ أن يعصِمَ القلمَ مِنَ الخطأِ والخطَلِ ، وأن يقيَ الفهمَ من الزيغِ والزللِ ، إنه أكرمُ مسؤول، وأعظمُ مأمول .

سبب اختيار البحث :

لقد دفع الباحث إلى اختيار موضوع بحثه بروز هذه الظاهرة عند الشاعر أحمد شوقي بشكل لافت للنظر ، ومعالجة الشاعر لها معالجة موضوعية تستوجب الدراسة والتحليل .

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في الغوص داخل شعر أحد عمالقة الشعر العربي الحديث ، فهو يبرز عاطفة إنسانية متجذرة في النفس البشرية منذ نشأة الإنسان ، وتقوم هذه الدراسة على إظهار ظاهرتي الغربة والحنين عند الشاعر أحمد شوقي ، وتجليات تلك الظاهرة في شعره من حيث الأسلوب واللغة والصورة الشعرية والموسيقا .

---

(١) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين : محمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م ، ص٣ .

الدراسات السابقة :

قسمت الدراسات السابقة إلى قسمين : قسم متعلق بالشاعر أحمد شوقي وشعره ، وقسم متعلق بغرض الغربة والحنين .

أولاً : الدراسات التي تناولت أحمد شوقي ومنها :

- شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف .
- شعر شوقي الغنائي والمسرحي : طه وادي .
- أحمد شوقي حياته وشعره : المكتبة الحديثة ، بيروت ، ١٩٨٧م .
- البديع في شعر شوقي : منير سلطان .
- ذكرى الشاعرين (شاعر النيل وأمير الشعراء) : أحمد عبيد .
- إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية : سعاد عبد الوهاب عبد الكريم .
- خصائص الأسلوب في الشوقيات : محمد الهادي الطرابلسي .
- وطنية شوقي : أحمد الحوفي .
- شوقي وشعره الإسلامي : ماهر حسن فهمي .
- حافظ وشوقي : طه حسين .
- المتنبي وشوقي : عباس حسن
- الشوقيات المجهولة : محمد صبري .
- أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ : فوزي العطوي .

ثانياً : الدراسات التي تناولت الحنين فأذكر بعضها :

- رسالة للجاحظ بعنوان الحنين إلى الأوطان .
- الغربة والحنين في الشعر العربي الحديث للدكتور ماهر فهمي .
- الحنين والغربة في الشعر العربي للدكتور يحيى الجبوري .
- الغربة والحنين في الشعر الأندلسي للدكتورة فاطمة صحصح .
- الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة للدكتور أمين العمصي .
- تجربة الغربة والحنين عند ابن خفاجة : رسالة ماجستير للباحثة فتيحة دخموش .
- الحنين والغربة في الشعر الأندلسي (عصر سيادة غرناطة) . رسالة ماجستير من إعداد الباحثة مها روحي الخليلي .
- الحنين في الشعر الزنكي والأيوبي رسالة ماجستير من إعداد الباحثة مي إبراهيم عمرو .

منهج دراسة البحث :

اقتضتْ طبيعةُ هذا البحثِ ، أن أسلُكَ فيه سبيلَ المنهجِ الوصفيّ التحليلِي الإحصائي في دراسةِ الموضوعاتِ المُشَكِلَةِ لموضوعهِ ، وذلك لمناسبةِ هذا المنهجِ لِمثلِ هِذه البحوثِ ، فالوصفُ والتحليلُ منهجُ علماءِ العربيةِ الأوائلِ في تناول مسائلِ اللغةِ ، وإنَّنا نعلمُ أن التحليلَ يُعَمِّقُ فهمنَا لهذه اللغةِ ، وذلك من خلالِ الدراسةِ المتفحِصةِ لِمسائلِ اللغةِ وَرَبْطِ جزئياتِها بعضِها ببعضٍ، للوصولِ إلى النتائجِ المقنعةِ ، وأرجو من اللهِ أن أكونَ قدَ وُفِقْتُ في ذلك .

الصعوبات التي واجهت الباحث :

لقد واجَهْتُ بَعْضَ الصُعوباتِ في البَحثِ ، أذكُرُ منها:

١. تداخل أبيات الغربة والحنين عند أمير الشعراء أحمد شوقي .
٢. صعوبة الحصول على بعض المصادر الحديثة الخاصة بالدراسة ، بسبب الحصار الغاشم على قطاعنا الحبيب .
٣. تفاقمُ انقطاعِ التيارِ الكهربائي ، جراء الحصار الجائر على قطاعنا الحبيب .

خطة البحث

المقدمة : وتشمل سبب اختيار البحث وأهميته والدراسات السابقة .

التمهيد : إضاءات في حياة الشاعر أحمد شوقي وسيرته .

أولاً : المولد والنشأة .

ثانياً : حياته التعليمية .

ثالثاً : حياته السياسية .

رابعاً : مكانته الأدبية .

خامساً : شوقي في ميزان النقد .

سادساً : وفاته .

الفصل الأول : الغربة في شعر أحمد شوقي

المبحث الأول : الغربة لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: بواعث الغربة .

المبحث الثالث: أنواع الغربة :

أ- داخلية (الاغتراب)

ب-خارجية

الفصل الثاني : الحنين في شعر أحمد شوقي

المبحث الأول : الحنين لغة واصطلاحاً :

المبحث الثاني : الحنين في شعره :

- الحنين إلى الوطن .
- الحنين إلى الأهل والأصدقاء .
- الحنين إلى الذكريات الماضية .
- الحنين الديني .
- الحنين إلى المكان .
- الحنين إلى المحبوب .

الفصل الثالث : الدراسة الفنية

المبحث الأول : الأسلوب :

المبحث الثاني : الصورة الشعرية :

المبحث الثالث : الموسيقا :

- المطلب الأول : الموسيقا الخارجية .
- المطلب الثاني : الموسيقا الداخلية .

خاتمة وأهم النتائج .

قائمة المصادر والمراجع .

فهارس الدراسة .

التمهيد

أولاً : المولد والنشأة .

ثانياً : حياته التعليمية .

ثالثاً : حياته السياسية .

رابعاً : مكانته الأدبية .

خامساً : شوقي في ميزان النقد .

سادساً : وفاته .

التمهيد

أولاً : المولد والنشأة :

هو أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي ، أشهر شعراء العصر الأخير ، يلقب بأمير الشعراء [١]، ولد في القاهرة بحي الحنفي ، وقد اختلف المؤرخون في سنة ميلاده اختلافاً كبيراً ، فمنهم من ذكر عام ١٨٦٩م [٢] ، واعتبر بعضهم عام ١٨٧٠م هو العام الصواب معتمدين على ما وثق في شهادات شوقي العلمية ، ولا سيما ما جاء في شهادة الليسانس التي نالها في باريس في الحقوق[٣] ، وذهب آخرون إلى اعتبار عام ١٨٦٨م تاريخاً لعام ميلاد شوقي [٤] ؛ لكنا نجد أن جميعهم متفقون على يوم ميلاده وهو السادس عشر من أكتوبر ، ويرى الباحث أن سبب الاختلاف هذا يتعلق في سفر شوقي إلى فرنسا ، حيث حدد سن الثامنة عشرة للالتحاق بالبعثة إلى فرنسا ، وسافر شوقي إلى فرنسا عام ١٨٨٧م ؛ فأوعز الخديوي توفيق لتغيير سنة ميلاده ليتسنى له الالتحاق بالبعثة ، ويذكر الدكتور محمد صبري أن عام ١٨٦٨ م هو التاريخ الصحيح لميلاد شوقي مستنداً في ذلك إلى مذكرة عن سكرتير شوقي الخاص أحمد عبد الوهاب [٥]. وعليه يكون شوقي قد ولد في السادس عشر من أكتوبر لعام ١٨٦٨م [٦].

ينحدر أحمد شوقي من أسرة تآزرت فيها مجموعة من الأصول ، " فقد جاءت به من عنصر تركي وآخر شركسي ، وعنصر يوناني وآخر عربي كردي "[٧] ، ويذكر لنا شوقي في مقدمة ديوانه أصوله فيقول : " سمعت أبي (رحمه الله) يرد أصلنا إلى الأكراد فالعرب ، ويقول إن والده قدم هذه الديار يافعاً يحمل وصاة من أحمد باشا الجزار إلى والي مصر محمد علي باشا"[٨] ، ويذكر شوقي في المقدمة تاريخاً مختصراً لجده حيث تقلد عدة مناصب ، فيقول : "وكان جدي وأنا حامل اسمه ولقبه يحسن كتابة العربية والتركية خطاً وإنشاء ، فأدخله الوالي في معيته ، ثم تداولت الأيام وتعاقب الولاة الفخام وهو يتقلد المراتب العالية ويتقلب في المناصب

---

(١) الأعلام : خير الدين بن محمود بن فارس الزركلي الدمشقي(ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١٥ ، ٢٠٠٢م ، ج١ ، ص١٣٦ .

(٢) شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٧ ، ص٩ .

(٣) شعر شوقي الغنائي والمسرحي : طه وادي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٥م ، ص٧ .

(٤) الأعلام : خير الدين الزركلي ، ج١ ، ص١٣٦ .

(٥) الشوقيات المجهولة : محمد صبري ، دار المسيرة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٩م ، ج١ ، ص ٥ .

(٦) يقول شوقي في مقدمة الديوان ص ١٢ : " أما ولادتي فكانت بمصر القاهرة ، وأنا اليوم أحبو الثلاثين " وكان مولده سنة ١٨٦٨م وكانت الطبعة الأولى من الديوان سنة ١٨٩٨م .

(٧) شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف ، ص٩ .

(٨) مقدمة الشوقيات ، ديوان أحمد شوقي : تدقيق محمد فوزي حمزة ، ط٢ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ٢٠١٢م ، ص ١١ .

السامية إلى أن أقامه سعيد باشا أميناً للجمارك المصرية "(١) ، أما جده لوالدته فأصوله تركية واسمه أحمد بك حليم ويعرف بالنجدهلي ، أما جدته لوالدته فكانت من أصل يوناني أتي بها كأسيرة حرب ، وها هو شوقي بين ذلك فيقول : "أما جدي لوالدتي فاسمه أحمد بك حليم ، ويعرف بالنجدهلي نسبة إلى (نجدة) إحدى قرى الأناضول ، وفد على هذه البلاد فتياً كذلك ، فاستخدمه والي مصر إبراهيم باشا من أول يوم ، ثم زوجه من معتوقته جدتي التي أرثيها في هذا المجموعة وأصلها من مورة ، جلبت منها أسيرة حرب لا شراء" (٢).

يفتخر شوقي بأصوله في قوله : " أنا إذن عربي تركي يوناني جركسي بجدتي لأبي ، أصول أربعة في فرع مجتمعة ، تكفله لها مصر ، كما كفلت أبويه من قبل (٣)" ولا ينسى شوقي الحب الكبير الذي يكنه لمصر ، هذا البلد التي تكلم عنه شوقي كثيراً في أشعاره ، فيمتدح هذا الوطن الغالي على قلبه فيقول :" وما زال لمصر الكنف المأمول ، والنائل الجزل ، على أنها بلادي ، وهي منشئي ومهادي ، ومقبرة أجدادي ، ولد لي بها أبوان ، ولي في ثراها أب وجدان ، وببعض هذا تحبب إلى الرجال الأوطان (٤)" .

دافع شوقي عن أجداده وأصوله وأنهم كانوا يعيشون عيشة كريمة في ظل الخديوي إسماعيل حيث يقول : " فما زالا مغمورين بنعمة هذا البيت الكريم حتى توفي جدي وهو وكيل لخاصة الخديوي إسماعيل باشا ، فأمر بنقل مرتبه إلى أرملته وأن يحسب ذلك معاشاً لا إحساناً ، وكان الخديوي المشار إليه يقول عنهما : لم أر أعف منه ولا أقنع من زوجته ، ولو لم يسمه أبي حليماً لحلمه لسميته عفيفاً لعفته "(٥) .

نشأ شوقي منذ نعومة أظافره في كنف القصر ، كانت جدته لوالدته تحبه حباً جمّاً ، وتحنو عليه وتهتم به ، وصلتها بالقصر الحاكم قديمة منذ أيام إبراهيم باشا ، فتكفلت بتربيته في قصر الخديوي إسماعيل ، ويذكر لنا شوقي قصته وهو ابن ثلاث سنوات مع الخديوي إسماعيل عندما يتحدث عن جدته لأمه ، فيقول : " حدثتني أنها دخلت بي على الخديوي إسماعيل وأنا في الثالثة من عمري ، وكان بصري لا ينزل عن السماء من اختلال أعصابه ، فطلب الخديوي بدرة من الذهب ، ثم نثرها على البساط عند قدميه ، فوقعت على الذهب أشتغل بجمعه واللعب به ، فقال لجدتي : اصنعي معه مثل هذا فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض ، قالت : هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي ، قال : جيئي به إليَّ متى شئت ؛ إني آخر من ينثر الذهب

---

(١) مقدمة الشوقيات ، ديوان أحمد شوقي : تدقيق محمد فوزي حمزة ، ص ١١ .

(٢) السابق ، ص ١١ .

(٣) السابق ، ص ١٢ .

(٤) السابق، ص ١٢ .

(٥) السابق ، ص ١١ .

في مصر "[١]. هذه النشأة هيأت لشوقي أموراً لم تتوفر لغيره ، حتى أنه اعتاد على حياة القصر وهذا ما نلاحظه في كثرة مديحه لأصحاب السلطان في مصر آنذاك ، حيث إنه أكثر من مدحهم في غير موضع .

(١) مقدمة الشوقيات ، ديوان أحمد شوقي : تدقيق محمد فوزي حمزة ، ص ١١ .

ثانياً : حياته التعليمية :

تلقى تعليمه منذ نعومة أظافره وهو في الرابعة من عمره ، حيث دخل مدرسة الشيخ صالح ثم انتقل إلى المبتديان فالتجهيزية (الخديوية اليوم) ، فكان التلميذ الثاني في هذه المدرسة ؛ فمنح المجانية مكافأة له ، وتخرج فيها وعمره خمس عشرة سنة(١) .

عرف عن شوقي تفوقه ونبوغه منذ أن كان في المراحل التعليمية الأولى ، فظهرت موهبته الشعرية أيام صباه ، وقال قصيدة ارتجلها ارتجالاً في المدرسة صاغ فيها بعض المعارف الجولوجية والجغرافية منها : (الرجز)

إفريقيا قِسْمٌ مِن الوُجُودِ فـي شَكْلِهِ أشْبَهُ بالعُنْقُودِ(٢)

تعتبر هذه القصيدة من بواكير شوقي الشعرية التي قالها في سن مبكرة أظهر من خلالها نواة لشاعر كبير يلوح في الأفق ، اتجه شوقي بعد ذلك إلى دراسة القوانين والشرائع بناء على رغبة والده في مدرسة الحقوق ، فدرس فيها سنتين ثم التحق بقسم الترجمة الذي أنشئ أثناء دراسته ، ومكث فيها سنتين إلى أن أكمل تعليمه وحصل على الشهادة النهائية . يصفه أحمد زكي باشا (٣) حين دخل هذه المدرسة ، فقال : " كان في جملة الوافدين سنة ١٨٨٥م فتى نحيف، هزيل ، ضئيل ، قصير القامة ، وسيم الطلعة (تقريباً)، فتى بعيون متألقة (تحقيقاً)؛ ولكنها متنقلة (كثيراً) فإذا نظر إلى الأرض دقيقة واحدة فللسماء منه دقائق متمادية ، وإذا تلفت صوب اليمين فما ذاك إلا لكي يرمي ببصره نحو الشمال ، وهو مع هذه الحركات المتتابعة المتنافرة هادئ ، ساكن ، وادع ، كأنما يتحدث بنفسه عن نفسه ، أو يتلاغى مع عالم من الأرواح . ما كان يلابسنا فيما نأخذ فيه من اللهو والمزاح ، ولا يتهافت معنا على تلقف الكرة بعد الفراغ من تناول الغذاء ، أو حينما نتنفس الصعداء لانتهاء مواقيت الدراسة (٤)" .

هذا الوصف الذي ذكره أحمد زكي يعبر تعبيراً دقيقاً عن تحركات شاعر تحركه ربة الشعر لكي تملأ هذا الشعور ليخرج أجمل الأشعار وأرقها ، فشوقي قد شغله الشعر وتفكيره فيه

---

(١) الشوقيات : ص١٣ / شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف ، ص١١ / أحمد شوقي حياته وشعره : كمال أبو مصلح ، المكتبة الحديثة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م ، ص١٢ .

(٢) الشوقيات : ص٢٥٩ / شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف ، ص١١ .

(٣) هو أحمد زكي بن إبراهيم بن عبد الله، شيخ العروبة: أديب بحاثة مصري، من كبار الكتاب.
ولد بالإسكندرية عام ١٨٦٧ م وتخرج بمدرسة الإدارة والحقوق بالقاهرة، وأتقن الفرنسية، وكان يفهم الإنكليزية والإيطالية وله بعض المعرفة باللاتينية. عين مترجما لمجلس النظار، فسكرتيرا ثانيا، فسكرتيرا أول. ومنح لقب (باشا) واتصل بعلماء المشرقيات، ومثل مصر في مؤتمراتهم. وقام بفكرة إحياء الكتب العربية . توفي عام ١٩٣٤م. انظر الأعلام : ١٢٦/١ .

(٤) ذكرى الشاعرين (شاعر النيل وأمير الشعراء) : أحمد عبيد ، المكتبة العربية ، دمشق، ط١ ،ص٣٢٦ .

عن زملائه في المدرسة ؛ فانعزل عن أقرانه وانهمك في خياله الشعري حتى لفت انتباه أستاذه في اللغة العربية الشيخ محمد البسيوني البيباني[1] وكان شاعراً فصيحاً ، والذي راح ينمي فيه موهبته الشعرية ، حيث كان يجلس منه مجلس التلميذ من أستاذه ؛ فكان يعرض على شوقي القصائد التي ينظمها في مدح الخديوي توفيق كلما حل موسم أو أهل عيد قبل إرسالها إلى قصر الخديوي.

لقد أسهمت مجموعة من الظروف في رسم شخصية شوقي التي ارتبطت بالقصر ، سواء عائلته ذات العلاقة الوطيدة مع قصر الخديوي ، وأستاذه الشيخ محمد البسيوني البيباني الذي غرس فيه التعلق بالقصر من خلال مدح عناصره التي أثرت على شعره فيما بعد ، حيث سار شوقي على خطى أستاذه البسيوني في نظم القصائد في مدح الخديوي توفيق ومن جاء بعده لا سيما الخديوي عباس حلمي .

ختم شوقي حياته التعليمية في مصر ، وكانت حياة أوروبية في جملتها ؛ لأن تعليمه ارتبط بالعلوم الغربية وبالأخص الفرنسية مما أدى إلى تأثره بالنماذج الغربية في شعره ، أتاحت البيئة التي عايشها شوقي توسيع ثقافته من خلال دراسته للعربية والفرنسية وبيئة بيته المنحدرة من الأصل التركي ، وجعلته يحذق هذة اللغات الثلاث .

" بعدما تخرج شوقي عين في القصر موظفاً كبيراً في رئاسة القلم الإفرنجي ، وشاعراً للخديوي توفيق ، ولم يكن عضواً هامشياً فضولياً في موكب الحاشية ، فما هي إلا سنة على توليه الوظيفة في القصر ، حتى وجد الخديوي توفيق أن الفتى ، ابن العشرين ، لا يجوز له أن يلتحق بقصره قبل أن يستكمل أسباب الثقافة القانونية ، بالإضافة إلى شهادة الترجمة التي يحملها؛ وهكذا بعث به إلى فرنسا للالتحاق بكلية الحقوق ، والاطلاع على ألوان الثقافة الأوروبية[2] " .

سافر شوقي على نفقة الخديوي ، وكتب إلى مدير البعثة المصرية في فرنسا ليهتم به ، لما وصل إلى مرسيليا رآه في استقباله ، وأخبره أن الخديوي كتب إليه أن يقضي في مونبلييه عامين ، وفي باريس عامين آخرين ، والتحق شوقي بمدرسة الحقوق في مونبلييه. بعد قضاء

---

(١) محمد علي البسيوني البيباني: من فضلاء المالكية بمصر. تعلم بالأزهر، ودرّس فيه ثم بمدرسة الإدارة (الحقوق) بالقاهرة. وعين مفتيا للمعية السنية أيام الخديوي توفيق، وله نظم في مدحه . من تلاميذه أحمد شوقي الشاعر وأحمد زكي (باشا) من كتبه (حسن الصنيع في علوم المعاني والبيان والبديع) و (خاتمة حسنة على شرح كفاية الطالب الرباني على رسالة أبي زيد القيرواني) نسبته إلى (بسيون) قرية كبيرة من غربية مصر . توفي عام ١٨٩٢ م . انظر الأعلام : ٣٠٠/٦ .

(٢) بتصرف : انظر : أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ : فوزي العطوي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩ م ، ص١٥-١٦ .

شوقي السنة الأولى في مونبلييه اشتاق إلى وطنه وأهله ؛ لكن الخديوي رفض عودته حتى لا تؤثر عليه العودة إلى مصر بالسلب ، فتنقل في أرجاء فرنسا مستكشفاً هذا العالم الغربي ، انتقل في عدة أماكن وقضى السنة الثانية على هذا الحال ، وما أن أتت العطلة استغل فرصة أتاحت له السفر إلى لندن ، فمكث فيها شهراً زار خلالها أغلب معالم لندن ، فخرج إلى بعض المدائن على بحر الشمال حيث راحة الخاطر وقرة الناظر ، ثم عاد إلى باريس ليكمل دراسته فيها إلا أن المرض داهمه فيها ؛ فأصيب بمرض شديد كان فيه بين الحياة والموت ، وعندما مَنَّ الله عليه بالشفاء أشار عليه الأطباء أن يقضي أياماً في سماء أفريقيا ، فاختار الجزائر ومكث فيها أربعين يوماً ثم عاد إلى باريس مستكملاً دراسته فأنهى دراسته مع تمام السنة الثالثة ، وحصل على الشهادة النهائية في الحقوق ، ومكث في باريس ستة أشهر يتعرف على آدابها وعلومها ، عاد بعدها إلى وطنه يشده الشوق والحنين إلى مسقط رأسه بعد طول غياب (١).

أتاحت له الأيام التي عاشها متنقلاً بين أكثر من بلد كثيراً من المعارف والعلوم المختلفة ؛ فاتسعت مداركه وأصبح على دراية واطلاع ، ساهمت في صقل شخصيته والتي أثرت بعد ذلك على شعره ، هذه الأيام حررت شوقي من حياة القصر ، الذي ما لبث أن عاد إليه من جديد؛ ليعيش كما يعيش الموظفون ، حياة فيها من الرتابة أكثر مما فيها من التجديد ، خصوصاً وأن وظيفته كانت تحتم عليه – عن قناعة أو عن مجاملة – أن يرفع المدائح في المناسبات الدينية والوطنية إلى الخديوي ، وأن ينظم القصائد في تأييد العرش ، والإشادة بآل إسماعيل . ذلك كان دأبه ، وقد بقي كذلك ردحاً من الزمن (٢)، ولسان حاله يقول : (الكامل)

المُلْكُ فيكمْ آلَ إسماعيلا	لا زالَ بيتكمُ يُظِّلُ النيلا
هذِي أصولُكمُ وتلك فروعُكم	جاءَ الصميمُ من الصميمِ بديلا (٣)

(١) بتصرف : انظر : شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف ، ص١٤ .

(٢) بتصرف : انظر : أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ : فوزي العطوي ، ص١٧ .

(٣) الشوقيات : ص٤٩٣ .

ثالثاً : حياته السياسية :

بعد عودة شوقي من رحلته التعليمة وحصوله على شهادة الحقوق من باريس ، أخذ شوقي يتقرب من سدة الحكم لا سيما بعد موت الخديوي توفيق وتولية الخديوي عباس الثاني ؛ فانشأ قصيدة يرثي فيها الخديوي توفيق ، ويهنِّئ الخديوي الجديد عباس الثاني بتولية الحكم ؛ فيقول : (الخفيف)

قَامَ عُذْرُ النُّعاةِ والبُشَراءِ   بَينَ ماضِي الأسَى وآتي الهَناءِ

نبأٌ مُعْذِرٌ نفى بَعْضُه بعـ   ـضاً فَكانَ السَّفيهَ في الأنباءِ[1]

ويقول في تهنئته للخديوي عباس الثاني في القصيدة ذاتها : (الخفيف)

واحْمِلِ السيفَ والْبسِ التاجَ وارْقَ الـ   ـعَرْشَ وانْهضْ بالدولةِ العلياءِ

وزِنِ الملكَ من شبابِك حُسناً   وأنِرْ عصرَهُ بِذاكَ الذكاءِ[2]

لم تكن علاقة شوقي مع الخديوي عباس طيبة في بادئ الأمر ، فنجده قد جفاه ولم يهتم به ؛ لأنه يبحث عن رجل سياسي يسانده في معارضته للإنجليز ، فالخديوي يرى في شوقي شاعراً لا غير ، وسبب ذلك هي وشاية البعض ضد شوقي ؛ لكن تدخل بعضهم من أمثال بطرس غالي وبشارة تقلا [3] ومصطفى كامل غيَّر نظرة الخديوي في شوقي ، فقربه الخديوي وأعلى منزله ، وجعله شاعر القصر ، وولاه رئاسة القسم الإفرنجي ، وما فتئ شوقي يتسلم المناصب العالية حتى أصبح من العناصر المعدودة التي يعتمد عليها الخديوي . ففي عام ١٨٩٦ م [4] انتدبته الحكومة المصرية للمشاركة في مؤتمر المشتشرقين الذي عقد في مدينة جنيف بسويسرا ، وهناك ألقى قصيدته الرائعة التي تحدث فيها عن تاريخ مصر منذ القدم ، تناول فيها وصفاً لرحلته إلى جنيف عبر البحر ، وبدأ بذكر أمجاد الفراعنة مروراً بالفتوحات الإسلامية

---

(١) الشوقيات : ص٨٥ .

(٢) السابق : ص٨٧ .

(٣) بطرس (باشا) بن غالي نيروز : ولد في مصر عام ١٨٤٦ وتوفي عام ١٩١٠ م ، وقد شغل منصب وزير . الأعلام ٥٩/٢ . بشارة بن خليل تقلا : ولد في لبنان عام ١٨٥٢ م وتوفي عام ١٩٠١ م ، أحد مؤسسي جريدة الأهرام . الأعلام ٥٢/٢.

(٤) انظر : شوقي شاعر العصر الحديث ، ص٢٦ . أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ، ص١٧ . أحمد شوقي حياته وشعره ، ٣٠ . مقدمة الشوقيات ص١٦ . الأعلام ١٣٦/١ . تروي بعض الكتب أن زيارته لجنيف كانت عام ١٨٩٤ م ، وذلك بخلاف ما هو موجود في مقدمة الشاعر لديوانه وكتاب الأعلام للزركلي .

والاستعمار المتلاحق لمصر وصولاً إلى محمد علي الكبير ، اعتبرها البعض ملحمة تاريخية لما تضمنته بداخلها من أحداث ، حيث قاربت على مئتين وتسعين بيتاً ، ومطلعها : (الخفيف)

هَمَّـــتِ الفُلْـــكُ وَاحتَواهـــا المـــاءُ وَحَـــداها بِمَـــن تُقِـــلُّ الرَجـــاءُ

ضَـــرَبَ البَحـــرُ ذو العُبـــابِ حَوالَيـــ ـــها سَـماءً قَـد أَكبَرَتهـا الـسَماءُ [1]

لازم شوقي الخديوي منذ سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩١٤ م ، عاش خلالها في كنف الخديوي عباس حبيس المدائح يتغنى به وبأعماله ومناسباته ، " هذه الحقبة من حياته كان يعيش بعيداً عن الشعب ، فهو في القصر أو في برجه العاجي ، لا يفكر إلا فيما يفكر عباس فيه ، وكان في عباس طموح واندفاع ، فصارع الإنجليز وغاضبهم ، ووقف شوقي في صفه يغضب عليهم مع غضبه ، ويرضى مع رضاه [2] " اعتبر بعض النقاد أن هذه الفترة كانت مقبرة لربة الشعر لدى شوقي ، واعتبروا مدائحه للخديوي عباس وما يتعلق به من مناسبات وأعمال ، ضربة لفنون الشعر عند شوقي .

اقتراب شوقي من سلطة الحكم جعله يتبنى أفكار الحاكم ، ويسير وفق سياسة القصر ، حيث عرف عن الخديوي عباس الثاني ارتباطه بالدولة العثمانية وولاؤه لها ، وكرهه الشديد للإنجليز، ورفضه لأشكال الذل والهوان الذي مارسه الإنجليز على المصريين ، فأصول شوقي التركية واتجاهات الخديوي وتطلعات الشعب للتحرر من الهيمنة الإنجليزية نمَّت بواكير الشعر الوطني عند شوقي ، فنظم عدداً كبيراً من القصائد التي تؤكد هذه الفكرة .

عانى المصريون من سيطرة الإنجليز على مناحي الحياة في شتى شؤون حياتهم ، فغضبوا وثاروا ثورات عديدة ؛ ولكن دون جدوى ، حتى وصل الأمر إلى سيطرة الإنجليز على بعض فرق الجيش المصري في السودان ، مما أدى إلى غضب الخديوي وامتعاضه من هذا الأمر وكان ذلك في زيارة له إلى شمال السودان (وادي حلفا) ، عندما وجد قائداً إنجليزياً لإحدى فرق الجيش ، فانتقد ذلك صراحة ورفضه بالمطلق ما أثار حفيظة (اللورد كرومر) المعتمد البريطاني في مصر ، فطالب الخديوي بالاعتذار عما بدر منه ؛ لكن الخديوي لم يأبه لهذا الأمر ولم يقدم أي اعتذار ، في هذا الوقت قام رئيس الوزارة آنذاك رياض باشا بطلب الاعتذار من (اللورد كرومر) وأرسل برقية إلى القائد الإنجليزي للجيش يحمد له نظام الجيش ، فأنكر شوقي على رياض باشا تعلقه بالإنجليز وركونه لهم ، فهجاه في قصيدة يعتبرها البعض أنها جاءت من تعصبه لوطنه ودفاعه عن الخديوي ، حيث يقول فيها : (الوافر)

كبيـــرَ الـــسابقينَ مِـــنَ الكِـــرامِ بِرُغمـــي أن أنالَـــكَ بـــالمَلامِ

---

(١) الشوقيات : ص٥٧ .

(٢) شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف ، ص١٧ .

إذا مـــا لَــم تَكُـــن لِلقَـــولِ أَهـــلاً — فَمـــا لَـــكَ فـــي المَواقِـــفِ وَالكَـــلامِ
خَطَبـــتَ فَكُنـــتَ خَطبـــاً لا خَطيبـــاً — أُضـــيفَ إِلـــى مَـــصائِبِنا العِظـــامِ
لُهِجـــتَ بـــالِاِحتِلالِ وَمـــا أَتـــاهُ — وَجُرحُـكَ مِنـهُ لَـو أَحسَـستَ دامـي(١)

لم يقف شوقي عند هذا الحد في تحديه لبعض الشخصيات التي ساندت الإنجليز ولو بالكلمة ، فها هو شوقي يطلق لقلمه العنان في قصيدة وداع (اللورد كرومر) سنة ١٩٠٧ م المعتمد البريطاني في مصر ، ينتقده فيها ويذكر مساوئه ، فيقول : (الكامل)

لَمّـا رَحَلـتَ عَـنِ الـبِلادِ تَـشَهَّدَت — فَكَأَنَّـــكَ الـــداءُ العَيـــاءُ رَحـــيلا
إذا مـــا لَــم تَكُـــن لِلقَـــولِ أَهـــلاً — فَمـــا لَـــكَ فـــي المَواقِـــفِ وَالكَـــلامِ
أَوسَـــعتَنا يَـــومَ الـــوَداعِ إِهانَـــةً — أَدَبٌ لَعَمـــرُكَ لا يُـــصيبُ مَثـــيلا(٢)

ولم يقف شوقي عند هذا الحد في تحديه لرموز الاحتلال ، بل وصف بعض من حضروا هذا الاحتفال بالجبن ؛ لأنهم لم يدافعوا عن مصر وحكامها عندما أساء كرومر في حقهما ، وفي البيتين الآتين يستنكر شوقي على السلطان حسين كامل وهو من الأسرة العلوية ، صمته ودفاعه عن بلده وأجداده ، فيقول : (الكامل)

شَـــهِدَ الحُـــسَينُ عَلَيـــهِ لَعـــنَ أُصـــولِهِ — وَيُـــصَدَّرُ الأَعمـــى بِـــهِ تَطفـــيلا
جُـــبنٌ أَقَـــلَّ وَحَـــطَّ مِـــن قَـــدرَيهِما — وَالمَـــرءُ إِن يَجـــبُن يَعِـــش مَـــرذولا (٣)

مرت أحداث جسام على مصر إبان سيطرة الإنجليز عليها ، ولا ينسى التاريخ حادثة دنشواي(٤) الأليمة ، التي ظهر فيها بشاعة المحتل وبطشه ، فقام بصلب عدد من أهل القرية وسجن آخرين وتعذيبهم ، كتب شوقي في ذكرى الحادثة أبياتاً من الشعر يقول فيها : (الكامل)

يـــا دِنـــشِوايَ عَلـــى رُبـــاكِ سَـــلامُ — ذَهَبَـــت بِـــأُنسِ رُبوعِـــكِ الأَيّـــامُ
شُـــهَداءُ حُكمِـــكِ فـــي الـــبِلادِ تَفَرَّقـــوا — هَيهـــاتَ لِلـــشَملِ الـــشَتيتِ نِظـــامُ

---

(١) الشوقيات : ص٦٠٣ .
(٢) السابق : ص٤٩٥ .
(٣) السابق : ص٤٩٥ . قصد السلطان حسين كامل ، والأعمى : الشيخ عبد الكريم سلمان .
(٤) دنشواي إحدى قرى مركز الشهداء التابع لمحافظة المنوفية في جمهورية مصر العربية، ويحدها قرى أبو كلس وإبشادي ودناصور وكفر دنشواي، وهي القرية التي كانت مسرحًا لأحداث حادثة دنشواي.

نـــــوحي حَمـــــائِمَ دِنـــــشِوايَ وَرَوِّعـــــي   شَـــعباً بِـــوادي النيـــلِ لَـــيسَ يَنـــامُ (١)

هذه القصيدة كتبها شوقي بعد عام من حادثة دنشواي ، مما أثار حفيظة بعض النقاد على شوقي ؛ لأنه لم يكتب القصيدة إبان الثورة التي ملأت مصر بعد هذه الحادثة ، يقول شوقي ضيف : " ومع ذلك لم يستجب الشاعر لكل هذه الثورة وما انطوى فيها من غضب وحقد وغيظ إلا بعد مرور عام على الحادث ، وليس من ريب في أن حادث دنشواي أفظع وأبشع من خطاب (كرومر) وتعرضه لإسماعيل وأسرته ، ولكن عند من ؟ عند الشعب ، ولم يكن شوقي من الشعب، فقد نشأ بباب القصر "(٢) . نرى شوقي ضيف في كتابه يلوم على أحمد شوقي أنه التجأ إلى القصر ونسي هموم شعبه ، وأصبح متحدثاً بلسان القصر يفعل ما يريده الخديوي دون تأثر يذكر بما يعانيه الشعب المصري وقتذاك .

في عام ١٩١٤ م اندلعت الحرب العالمية الأولى وظهررت ويلاتها ، الأمر الذي أثر على العالم بأسره ، ومنها مصر بلد شوقي ، فتمكنت إنجلترا من بسط سيطرتها الكاملة على مصر ، وكان الخديوي عباس – المعروف بعدائه للإنجليز – غائباً عن مصر بتركيا ، فرفض الإنجليز عودته إلى مصر ، وقضوا بعزله من منصبه ، وتعيين حسين كامل – الذي عرف بولائه لهم – بدلاً منه على عرش مصر . أخذ المحتلون بتغييرات كبيرة في القصر الحاكم بمصر ، ومن هؤلاء شوقي لمكانته الفكرية والسياسية ، وحبه الشديد للعهد القديم وللخديوي عباس الثاني ، ولم ينسَ السلطان حسين ما كتبه عنه شوقي في وداع اللورد كرومر ، فعمل على نفيه من البلاد وذلك بالتنسيق مع الإنجليز.

اختار شوقي الأندلس منفىً له ولعائلته ، ركب البحر مغادراً وطنه الذي أحبه وكان ذلك في الخامس من أغسطس عام ١٩١٥ م (٣)، غادر وقلبه يعتصر ألماً ، نرى هذا الألم واضحاً عليه عندما يخاطب السفينة التي تحمله للمنفى ؛ فيقول : " فقلت : سيري عوذتك بوديعة التابوت، وبصاحب الحوت ، وبالحي الذي لا يموت ؛ وأسري يا بنة اليم ، زمامك الروح ، وربانك نوح ، فكم عليك من منكوب ومجروح ، إن للنفي لروعة ، وإن للنأي للوعة ، وقد جرت أحكام القضاء ، بأن نعبر هذا الماء ؛ حين الشر مضطرم ، واليأس محتدم ، والعدو منتقم ، والخصم محتكم ، وحين الشامت جذلان مبتسم ، يهزأ بالدمع وإن لم ينسجم ، نفانا حكام عجم ، أعوان العدوان والظلم ، خلفناهم يفرحون بذهب اللجم ، ويمرحون في أرسان يسمونها الحكم . ضربونا بسيف لم يطبعوه ، ولم يملكوا أن يرفعوه أو يضعوه، سامحهم في حقوق الأفراد، وسامحوه

(١) الشوقيات : ص٥٧٩ .
(٢) شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف ، ص٢٠ .
(٣) عشرون من شعراء المنافي والسجون : أحمد سويلم ، دار الطلائع ، القاهرة ٢٠١١م ، ط١ ، ص٤٣ .

في حقوق البلاد، وما ذنب السيف إذا لم يستحِ الجلاد "[١]. يرى المتأمل للنص السابق اللوعة العظيمة ومرارة الفراق التي سيطرت على شوقي وقت خروجه من شواطئ بورسعيد عند بداية قناة السويس، نلاحظ انكساره ، وصدق مشاعره ، وحق له ذلك ، فهل يستطيع الإنسان تحمل الهجرة القصرية التي يفرضها عليه المحتل الغاصب ؟ بتلك الكلمات عبر شوقي عما يجول في وجدانه، ودونه في كتابه أسواق الذهب تحت عنوان (قناة السويس) .

ألقت به السفينة على شواطئ مدينة (برشلونة) في أسبانيا ، هذه المدينة التي اختارها لارتباطها بتاريخ أمتنا الإسلامية والعربية ، " أقام في ضاحية من ضواحي (برشلونة) ، تدعى (فلفديرا) وترتفع كثيراً عن سطح البحر، فيما تحيط بها غابات الصنوبر ومشاهد الطبيعة الأخَّاذة[٢] ". أعجب شوقي بهذا الجمال ؛ لكن الغربة كانت تعكر عليه الإحساس بجمال الطبيعة، نرى ذلك في شعره عندما يسمع صوت البواخر تمر بجانب الضاحية التي كان يقطن فيها ؛ فتحرك بداخله الحنين إلى الوطن والشعور بالغربة ، فيخاطب السفينة بأن ترأف بحاله وتحمله معها إلى وطنه ، فهو على استعداد أن يجعل من نفسه وقوداً لها ، حيث يوضح ذلك في قوله : (الخفيف)

مُـــــــستَطارٌ إذا البَـــــــواخِرُ رَنَّـــــــت	أَوَّلَ اللَيـــــلِ أَو عَـــوَت بَعـــدَ جَـــرسِ
راهِـــبٌ فـــي الـــضُلوعِ لِلـــسُفنِ فَطـــنُ	كُلَّمــــا ثُـــــرنَ شــــاعَهُنَّ بِـــــنَقسِ
يـــا بنَـــةَ الـــيَمِّ مـــا أَبـــوكِ بَخيـــلٌ	مـــا لَــــهُ مولَعــــاً بِمَنـــعٍ وَحَـــبسِ
أَحــــرامٌ عَلــــى بَلابِلِــــهِ الـــــدَو	حُ حَـــلالٌ لِلطَيـــرِ مِـــن كُـــلِّ جِـــنسِ
كُـــــلُّ دارٍ أَحَـــــقُّ بِالأَهــــــلِ إِلّا	فـــي خَبيـــثٍ مِـــنَ المَـــذاهِبِ رِجـــسِ
نَفـــــسي مِرجَـــــلٌ وَقَلبـــــي شِـــــراعٌ	بِهِمـــا فـــي الـــدُموعِ ســـيري وَأَرســـي
وَاِجعَلـــي وَجهَـــكِ الفَنـــارَ وَمَجـــرا	كِ يَـــدَ الثَغـــرِ بَـــينَ رَمـــلٍ وَمَكـــسِ[٣]

ولعل أصدق الأبيات التي أنشأها شوقي في حبه للوطن ما نظمه في قصيدته التي عارض فيها البحتري ، حيث نراه يفضل الوطن عن جنة الخلد وذلك على سبيل المجاز ؛ ليبين مدى تعلقه بوطنه ، وفي ذلك يقول : (الخفيف)

---

(١) أسواق الذهب : أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي ، مطبعة الهلال ، مصر ١٩٣٢م ، ص ٢٨ .
(٢) أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ : فوزي عطوي ، ص٢٣ .
(٣) الشوقيات : ص٣٨٤ .

وَطَنـــي لَـــو شُـــغِلتُ بِالخُلـــدِ عَنـــهُ نـــازَعَتني إِلَيـــهِ فـــي الخُلـــدِ نَفـــسي[1]

تفرغ شوقي في منفاه إلى نفسه ، تجرد من قيود ارتباطه بالقصر ، فأخذ يقرأ الأدب العربي ، ويطلع على آثار شعرائه من أمثال : البحتري ، وابن زيدون ، وغيرهم الكثير، فنجد هذا التأثر واضحاً في معارضاته لهم ، حيث عارض البحتري في سينيته بسينية أخرى تحمل أروع آيات الحب والحنين إلى الوطن ، والتي مطلعها : (الخفيف)

اِخـــتِلافُ النَهـــارِ وَاللَيـــلِ يُنـــسي اُذكُـــرا لِـــيَ الـــصِبا وَأَيّـــامَ أُنـــسي [2]

وعارض ابن زيدون في نونيته بنونية عبر فيها عن شوقه الشديد لوطنه ، وشعوره بالأسى لما يجري على ثرى وطنه ، حيث يقول في مطلعها : (البسيط)

يـــا نـــائِحَ الطَلـــحِ أَشـــباهٌ عَوادينـــا نَـــشجى لِواديـــكَ أَم نَأســـى لِوادينـــا [3]

مكث شوقي في منفاه بالأندلس(أسبانيا) خمس سنوات أخذ يتنقل خلالها في هذا البلد الذي يحمل رائحة من ذكرى قاسية على كل مسلم وعربي ، كيف لا وهي الجنة التي فرط فيها المسلمون ؟ هذه الأرض التي تركت أثراً عميقاً في نفوسنا إلى يومنا الحاضر ، غيرت هذه الفترة من حياته كثيراً ، ففيها عرف الألم والحسرة على فقدان وطنه ؛ فتجمعت مجموعة من الآلام في قلب الشاعر ، ألم ترك الوطن وفراقه وحنينه له ، وشوقه إلى مجالسة الأصدقاء ، وألم الحاجة إلى المال الذي تعود عليه شوقي ، هذه العوامل فجرت ربة الشعر عنده ؛ فأخرجت لنا شعراً لا يضاهى ، حيث اعتبر بعض النقاد أن هذه الفترة قلبت نظرة شوقي رأساً على عقب ، فأصبح شاعر الوطنية الأول ، والمدافع عن الأمة الإسلامية والعربية ، ولنا في ديوانه الكثير من الدلائل على هذا .

كانت بعض الجهود تبذل من أجل عودة شوقي من المنفى ، فكان لأحمد زكي دور في عودة صديقه (شوقي) وذلك في معرض حضوره لمأدبة غداء في قصر عابدين أقامها السلطان حسين كامل ، عندما سأل السلطان عن شاعر باستطاعته مجاراة شعراء الإفرنج ، فقال أحمد زكي : "إن شوقي ممن تزدان بهم الدول ولو كان في زمن الخلفاء لتخاطفته دمشق وبغداد وقرطبة، لقد أفاض على العروبة من نفثاته ومنح الشعر والأدب من نفحاته حسنات باقية وآثارا خالدة . أيصح بعد هذا أن تبقى مصر محرومة من بلبلها الغريد، وأن يرفرف هذا الطائر

---

(١) الشوقيات : ص٣٨٤ .

(٢) السابق : ص٣٨٤ .

(٣) السابق : ص٦٨٠ .

بجناحيه على قرطبة وطليطلة وإشبيلية وغرناطة، بعد أن خرجت منها العروبة خروج الأرواح من الأبدان"، وبعدها طلب السلطان من رئيس وزرائه أن يعمل على عودة شوقي من المنفى [١].

عاد شوقي إلى مصر بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بعد سماح الإنجليز له بالعودة ، فأبحر من أسبانيا إلى إيطاليا ومنها إلى مصر ، " وما إن بلغ القاهرة حتى خرج الشعب المصري عن بكرة أبيه ، يستقبله ويحتفي به ، ويروى أن الجموع حملته على الأعناق ، والدموع تنهمر من عينيه ؛ فقد اعتبره شعبه بطلاً من أبطاله ، لا يهادن الاستعمار ، ولا يتواطأ مع الأعداء على حكام وطنه ، ولا على أبناء شعبه [٢]". يعبر شوقي عن لحظة وصوله لمصر مخاطباً هذا الوطن الغالي : (الوافر)

وَيـــا وَطَنـــي لَقَيتُـــكَ بَعـــدَ يَـــأسٍ	كَـــأَنّي قَـــد لَقيـــتُ بِـــكَ الـــشَبابا
وَلَـــو أَنّـــي دُعيـــتُ لَكُنـــتَ دينـــي	عَلَيـــهِ أُقابِـــلُ الحَـــتمَ المُجابـــا
أُديـــرُ إِلَيـــكَ قَبـــلَ البَيـــتِ وَجهـــي	إِذا فُهـــتُ الـــشَهادَةَ وَالمَتابـــا[٣]

كان استقبال الشعب لشوقي دلالة على حب الجميع له ، فكان استقبال الجماهير له على محطة القطار وفي مقدمتهم حافظ إبراهيم ، ويحييه حافظ قائلاً : (الكامل)

فَالحَمـــدُ لِلَّـــهِ الَّـــذي قَـــد رَدَّهُ	مِـــن بَعـــدِ غُربَتِـــهِ إِلـــى أَوطانِـــهِ
فَتَنَظَّـــروا آياتِـــهِ وَتَـــسَمَّعوا	قَـــد قـــامَ بُلـــبُلُكُم عَلـــى أَغـــصانِهِ [٤]

بعد عودته إلى مصر تغيرت حياته عما كانت عليه قبل نفيه إلى إسبانيا ، ابتعد عن حياة القصر وعكف على أدبه وشعره ، فتأثر بمن حوله ، فنجده لا ينسى هموم شعبه ، يعيش معه في كل صغيرة وكبيرة ، يدون بقلبه وبلسانه هذه الهموم ، يخاطب ويعاتب وينصح ، فها هو يناشد زعماء الأحزاب في مصر بالوحدة وترك الخلافات جانباً ، ومواجهة المحتل بكل الوسائل ، فمصر ما زالت محتلة والسودان حالها يرثى له ؛ فيقول : (الوافر)

إِلامَ الخُلـــفُ بَيـــنَكُمُ إِلامـــا	وَهَـــذي الـــضَجَّةُ الكُبـــرى عَلامـــا
وَفـــيمَ يَكيـــدُ بَعـــضُكُمُ لِـــبَعضٍ	وَتُبـــدونَ العَـــداوَةَ وَالخِـــصاما
وَأَيـــنَ الفَـــوزُ لا مِـــصرُ اِســـتَقَرَّت	عَلـــى حـــالٍ وَلا الـــسودانُ دامـــا [٥]

---

(١) بتصرف : انظر : عشرون من شعراء المنافي والسجون ، ص٤٩-٥٠ .

(٢) أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ : ص٢٤ .

(٣) الشوقيات : ص ١٠٥-١٠٦ .

(٤) عشرون من شعراء المنافي والسجون : ص٥١.

(٥) الشوقيات : ص ٥٦٢ .

يصف شوقي ضيف حياة شوقي بعد عودته من المنفى ، فيقول : " ومن هنا تبدأ الدورة الثانية في حياته الأدبية ، فإنه لم يعد يفكر في القصر ولا في وظيفته فيه ، فقد أصبح حرًّا طليقًا، وهيأ له ثراؤه أن ينعم إلى أقصى حد بهذه الحرية، فخلص لفنه ولشعبه وأخذ يغنيه أغاني وطنية رائعة [1]" . يذكر ضيف في معرض حديثه عن هذه الفترة من حياة شوقي أن هذا من الأسباب التي فاضلت شوقي على صديقه حافظ إبراهيم ، حيث يقول ضيف : " ومرجع ذلك أن فنه كان أروع من فن حافظ، فلما اتجه به إلى تصوير عواطفنا الوطنية وحياتنا السياسية بلغ من ذلك الغاية التي لا تمتد إليها الأعناق [2]".

أصبح شوقي بعد ذلك لسان الأمة العربية الذي لا يفتأ يدافع عن قضاياها وهمومها ، فلم يترك قضية إلا وأدلى بدلوه فيها ، فأنشأ الشعر في ذلك وبعث روح الحمية في نفوس أبناء الأمة العربية ، يستنهض هممهم تجاه قضاياهم المصيرية ، وها هو يعبر عما حل بدمشق من المحتل الفرنسي قائلاً : (الوافر)

سَــــلامٌ مِـــــن صَـــبا بَـــــرَدى أَرَقُّ   وَدَمـــــعٌ لا يُكَفكَـــــفُ يـــــا دِمَـــــشقُ

وَمَعــــــــذِرَةُ اليَراعَـــــــةِ وَالقَـــــوافي   جَـــلالُ الـــرُزءِ عَـــن وَصـــفٍ يَـــدِقُّ

أَلَـــستِ دِمَـــشقُ لِلإِســـلامِ ظِئـــراً   وَمُرضِـــــعَةُ الأُبُـــــوَّةِ لا تُعَـــــقُّ

دَمُ الثُـــــوّارِ تَعرِفُـــــهُ فَرَنـــــسا   وَتَعلَـــمُ أَنَّـــــهُ نـــــورٌ وَحَـــــقُّ [3]

يعود مرة أخرى ويناشد شباب سوريا بمواجهة المحتل ، فالعدو لايعرف إلا لغة السلاح ، يطالبهم بترك الأماني جانباً ، وعدم الانخداع بمغريات المحتل لهم ؛ فيقول : (الوافر)

بَنـــي ســـورِيَّةَ اِطَّرِحـــوا الأَمـــاني   وَأَلقـــوا عَـــنكُمُ الأَحـــلامَ أَلقـــوا

فَمِـــن خِـــدَعِ الـــسِياسَةِ أَن تُغَـــرّوا   بِأَلقـــابِ الإِمـــارَةِ وَهـــيَ رِقُّ[4]

عاش شوقي بقية عمره على هذا المنوال ، لم يترك أمراً يخص الأمة العربية والإسلامية إلا وأطلق لقلمه العنان ليعبر عما يجول في خاطره حتى اختير أميراً للشعراء عام ١٩٢٧ م ، وسنتحدث عن هذا في المبحث القادم .

---

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١٣ ، ص١١٢.

(٢) السابق : ص١١٢ .

(٣) الشوقيات : ص ٤٤٦ – ٤٤٧ .

(٤) السابق : ص ٤٤٧ .

رابعاً : مكانته الأدبية :

أتيحت لشوقي أمور فجرت شاعريته ، فتعليمه في فرنسا أتاح له تعلم اللغة الفرنسية والتعرف إلى آدابها المختلفة وشعرائها ، أما نفيه إلى إسبانيا مكنه من معرفة آداب الأسبان من جهة ، وجعله يتعرف أمجاد العرب في بلاد الأندلس من جهة أخرى ، وما رأيناه من معارضاته للبحتري ولابن زيدون خير دليل على ذلك ، وامتلاكه للغة العربية وهضمها جيداً أنشأ لدى شوقي ثقافة واسعة لم تتوفر لغيره . " وكان أكبر نبع يستقي منه هذه المياه كتاب (الوسيلة الأدبية) للشيخ حسين المرصفي، وهو يضم بين دفتيه أروع ما للقدماء من نماذج كما يضم بعض نماذج البارودي الحديثة، ولم يكد يلم شوقي بهذه النماذج الأخيرة حتى احتواها لنفسه وفنه ، فقد تمثلها تمثلًا رائعًا [١]. فثقافة شوقي كانت وليدة عدة أسباب هي: نسبه المنحدر من أربعة أصول ، وتتلمذه على يد شاعر الشيخ محمد البسيوني البيباني ، تعلمه اللغة الفرنسية ودراسة الأدب الفرنسي ، ورحلاته المتعددة لعدد من الدول العربية والغربية .

أظهر شوقي براعة فذة ، نجد ذلك في ثنايا شعره ، وفي أغراضه المختلفة ، حيث تنوعت أغراض الشعر عنده ، " فنظم في معظم الأغراض والمجالات ، ولا سيما المجالات الوطنية والسياسية ، فضلاً عن الرثاء ، والغزل ، والمدح ، وغيرها . فجاءت أشعاره متسمة بالعواطف القوية ، والأخيلة الرحبة ، والألفاظ السلسة العذبة ، والتراكيب القوية ، وشاعت فيها ومضات متميزة ، أهمها : حب الوطن ، وحب الدين ، وحب الحرية ، وحب الحياة ، وقد تكثفت هذه الومضات معاً ، وارتفعت به إلى مستوى سامق [٢] " .

تبنى شوقي فكر أستاذه الشاعر الكبير محمود سامي البارودي في إحياء التراث وبعث الحياة في الشعر بعدما وصل لمراحل انحطاط ، وكما فعل الباردوي في تأثره بالعصر العباسي ، ظهر هذا جلياً عند شوقي ، فقد تأثر بعدد من شعراء العصر العباسي من أمثال : المتنبي ، البحتري ، أبي تمام ، أبي نواس ، والشريف الرضي ؛ لكن شوقي ما لبث إلا ورسم لنفسه طريقاً واضحاً يسير عليه ، ومن ذلك محافظته على قوالب الشعر وإضفاء روح الحداثة عليها من خلال تعبيره عن الواقع الملموس في عصره .

عارض شوقي الشاعر العباسي أبا نواس في خمرياته وذلك أيام شبابه ، فنظم قصيدة بعد انقضاء شهر رمضان يقول فيها : (الكامل)

رَمَضانُ وَلّى هاتِها يا ساقي   مُشتاقَةً تَسعى إِلى مُشتاقِ

---

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر : مرجع سابق ، ص١١٤.

(٢) بتصرف : انظر : من أعلام الفكر والأدب في التراث العربي : محمد جواد النوري ، مطبعة الشرق العربية، القدس – شعفاط ، ص ٢٠٦-٢٠٧.

ضَـحِكَت إلَـيَّ مِـنَ الـسُرورِ وَلَـم تَـزَل بِنـــتُ الكُـــرومِ كَريمَـــةَ الأَعـــراقِ
هـــاتِ اِســـقِنيها غَيـــرَ ذاتِ عَواقِـــبٍ حَتّـــى نُـــراعَ لِـــصَيحَةِ الـــصَفّاقِ [1]

ولهذه القصيدة قصة طريفة ، إذ تغضَّب بسببها تلميذ اللغة العربية محمد متولي الشعراوي – الداعية الكبير فيما بعد رحمه الله – وعاتب فيها شوقي ، فاستمع لعتابه ثم تلا عليه قوله تعالى في سورة الشعراء : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾[2] ثم تباسطا الحديث .

كانت قريحة شوقي الشعرية قادرة على مجاراة أعلام الشعر في زمن عنفوانه لما يمتلكه من حصيلة لغوية ، هذا التمكن اللغوي رأيناه في غير موضع مما أضفى على شعره بعض السمات والخصائص هي [3] :

١- استلهام التراث العربي والوعي بكنوزه .
٢- العاطفة الهادئة المركزة التي تنأى عن الصخب .
٣- الاعتماد على الإيقاع الموسيقي اعتماداً واعياً بوظيفته في المعنى .
٤- تدفق الصور الفنية المنبثقة من الصورة العامة للعمل الفني .

هذه الخصائص الفنية التي أصبحت منهجاً لشوقي في إبداعه الشعري ، فاستلهامه للتراث العربي، ومجاراته لأشعار العصر العباسي على وجه الخصوص ، وفي بعض الأحيان يستغل بعض الأحداث المشابهة لينظم قصائد يعارض فيها هؤلاء الشعراء ، حيث عارض البحتري في سينيته ، والتي مطلعها : (الخفيف)

اِخـــتِلافُ النَهـــارِ وَاللَيـــلِ يُنـــسي اُذكُـــرا لِـــيَ الـــصِبا وَأَيّـــامَ أُنـــسي [4]

وعبَّر شوقي من خلالها عن شدة حنينه للوطن ، ونيران الغربة التي اشتعلت داخل قلبه ، معلناً رفضه للخضوع لأوامر المحتل ، ومجدداً على ضرورة خروج الاستعمار من وطنه .

وعارض ابن زيدون في نونيته ، ومطلعها : (البسيط)

يـــا نـــائِحَ الطَلـــحِ أَشـــباهٌ عَوادينـــا نَـــشجى لِواديـــكَ أَم نَأســـى لِوادينـــا[5]

---

(١) الشوقيات : ص ٤٥٧ .
(٢) سورة الشعراء : آية ٢٢٤-٢٢٦ .
(٣) البديع في شعر شوقي : منير سلطان ، المعارف ، الإسكندرية ، ط٢ ، ١٩٩٢ م ، ص٣٨ .
(٤) الشوقيات : ص٣٨٤ .
(٥) السابق : ص٦٨٠ .

وكانت تلك القصيدة كسابقتها (السينية) تتمحور حول الغربة والحنين إلى الوطن ، ومدى اشتياقه للعودة إلى مصر ، فقد أنشأها في منفاه بالأندلس .

كما عارض البويصري في نهج البردة قائلاً : (البسيط)

ريمٌ عَلى القاعِ بَينَ البانِ وَالعَلَمِ أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُرِ الحُرُمِ [1]

وفيها مدح شوقي خير مخلوق سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) . وكثير من المعارضات التي أبدع فيها شوقي ، بل أنه تفوق أحياناً على من عارضه ، فكل ذلك كان يستقيه من التراث العربي الأصيل ، كيف لا وهو الذي أخذ على عاتقه إكمال مسيرة أستاذه البارودي في إحياء التراث وبعث الحياة فيه من جديد .

وصلت مكانة شوقي الأدبية إلى ذروة سنامها عندما بويع أميراً للشعراء ، وكان ذلك عندما أعاد شوقي طبع ديوانه (الشوقيات) عام ١٩٢٧ م ، فأقيم له حفل تكريم لما قدمه من أشعار لمصر وللأمة العربية جمعاء ، حيث شاركت في هذا الاحتفال حشود كبيرة ، والحكومة المصرية والبلاد العربية ؛ إذ قدمت منها وفود مختلفة تمجِّد شاعر مصر وتشيد بعبقريته ونبوغه. وقد وضع الشعراء في هذا الحفل على مفرقه تاج إمارة الشعر لا في مصر وحدها ؛ بل في سائر الأقطار العربية ، ومن الشخصيات المشاركة في حفل الإمارة محمد كرد علي عن المجمع العلمي العربي بدمشق ، وشبلي ملاط عن لبنان ، وأمين الحسيني عن فلسطين ، وشكيب أرسلان ، وفندنبرج البلجيكي عن بلده ، وحافظ إبراهيم الذي أعلن البيعة لشوقي باسمه واسم شعراء البلاد العربية [2] قائلاً : (الطويل)

أَميرَ القَوافي قَد أَتَيتُ مُبايِعاً وَهَذي وُفودُ الشَرقِ قَد بايَعَت مَعي [3]

---

(١) الشوقيات : ص٦٠٦ .

(٢) ينظر : شوقي شاعر العصر الحديث ، شوقي ضيف ، ص٣٧ . أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ ، ص٢٥ . الأدب العربي المعاصر في مصر ، شوقي ضيف ص١١٣ .

(٣) ديوان حافظ إبراهيم : ضبطه وشرحه ، احمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الابياري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٣ ، ١٩٨٧ م ، ص١٢٨ .

كانت إمارة الشعر بالنسبة لشوقي مكافأة لما قدمه لمصر وللأمة العربية والإسلامية ، فكان المدافع الأول لهموم الشعب المصري والشعب العربي كذلك ، ناهيك عن براعته الشعرية وأسلوبه العذب ولغته المنسابة كالجداول الهادئة ، فاستحق بجدارة ذلك اللقب .

خامساً : شوقي في ميزان النقد:

تعرض شوقي لنقد كبير سواء بالثناء عليه أو بالهجوم السافر على شخصه وشعره ، ومما أثار غضبهم تكريمه بلقب إمارة الشعر في العصر الحديث ، " فقام نفر من الكتاب يهاجمون شوقي ، وينتقدون مكرميه ، وينكرون عليه مجرد الشاعرية ، وما عملهم هذا إلا دليل على علو كعب الشاعر " (١).

فالكلام عن شوقي يطول ويطول لكثرة من تحدثوا عنه ، حيث يقول عنه شيخ الأدباء المرحوم مصطفى صادق الرافعي : " انفلت من تواريخ الآداب لمصر وحدها كانفلات المطرة من سحابها السائر في الجوزاء ، فأصبحت مصر سيدة العالم العربي في الشعر ، ولم يستطع أحد من الشعراء أن يضع تاريخ الشعر على مفرق مصر ووضعه شوقي وحده "(٢) ويقول عنه الأديب أحمد الزيات : " إنه شاعر غير مدافع تهيأ له مالم يتهيأ لغيره من سلامة الفطرة وكرم النشأة ، وسعة الثقافة ، ونعيم الحياة فأجاد التعبير ، أما معانيه فكثيرها مخلوق ، لم يتمثل في غير خاطره ، وقليلها مطروق نفخ فيه من روحه وخلع عليه من وشيه ، ومشى به إلى حد الكلام ومبتكره " (٣) .

كثير هم من أنصفوا شوقي ، وعبروا بصدق عن إسهامات شوقي في الشعر العربي الحديث، والنقلة النوعية التي أحدثها ، فيجمل الدكتور منير سلطان ذلك في قوله : " جاء شوقي فوجد البناء مستوياً على عوده ، فأكمل في البناء ، جدد في الأركان ، وسّع في الشرفات ، بدّل في المداخل ، بقدر ما تحتمل أعمدة البناء ، بحيث لا تضيع معالمه فينكره من يعرفه ، فصار للشعر العربي قصر منيف ، وفيه باحة واسعة وسور حصين ، ويضم حديقة غنَّاء ، فمنذ أن كان شوقي ، إلى أن مات ، وكل الاتجاهات والمدارس تنطلق من رحابه ، إما غاضبة منه ، أو غاضبة عليه ، لكنها مرتبطة به بصورة من الصور ، ودرجة من الدرجات ، بل اقول ، لولا شوقي ما كانت ، ولا ظهر نجم في سماء الشعر" (٤).

لقد حمل الناقد عباس العقاد لواء النقد ضد شوقي ، فكان هجومه على شوقي ممنهجاً من خلال تناول الموضوعات المتعلقة بشعر شوقي ، ووصل به الأمر إلى الحديث عن شخصية شوقي نفسه ، وجاء نقد العقاد لشوقي في محاور هي : التفكك وافتقاد الوحدة العضوية ، والإحالة (فساد المعنى) ، والتقليد والسرقة .

---

(١) بتصرف : أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ : ص٢٦ .

(٢) أمير الشعراء أحمد شوقي : محمد الطاهر الزنكلوني ، مجلة الأزهر – القاهرة ، الجزء العاشر ، يوليو ١٩٨٦ م ، ص١٦٠٦-١٦٠٧ .

(٣) السابق : ص١٦٠٧ .

(٤) البديع في شعر شوقي : منير سلطان ، ص٢٨-٢٩ .

يذكر الدكتور حماد أبو شاويش خصائص نقد العقاد لشوقي ، ومنها:
١- التجني والتحامل .
٢- النظرة الجزئية .
٣- الاهتمام بشخصية شوقي أكثر من الاهتمام بشعره أحياناً .
٤- التعميم . (١)

سادساً : وفاته :

عانى شوقي أواخر حياته من الأمراض لاسيما السنتين الأخيرتين من حياته ، فعكف على قراءة القرآن وكتب الحديث النبوي ، وكان يُعجب بالغزالي ومؤلفاته والجبرتي وتاريخه (٢).

" وأخيراً حول الساعة الثانية في ليلة ١٤ من أكتوبر سنة ١٩٣٢ م كف البلبل عن شدوه ، فقد سقطت قيثارة الشعر من يده ، ولبّت روحه نداء ربه ، وارتفع النواح والنشيج في مصر والأقطار العربية ، وخرجت الأمة المصرية الكريمة تشيع شاعرها بقلب ملهوف وعين جارية "(٣)

رحم الله الأمير ، فقد عرف نتيجة الحياة بأنها زائلة ، لذلك عبّر بصدق عن طلبه للغفران من الله – تبارك وتعالى – عندما مدح سيد الخلق محمد – صلى الله عليه وسلم – في نهج البردة قائلاً : (البسيط)

إن جَـلَّ ذَنبـي عَـنِ الغُفـرانِ لـي أَمَـلٌ ... فـي اللَـهِ يَجعَلُنـي فـي خَيـرِ مُعتَـصِمِ
أَلقـى رَجـائي إِذا عَـزَّ المُجيـرُ عَلـى ... مُفَـرِّجِ الكَـرَبِ فـي الـدارَينِ وَالغَمَـمِ
إِذا خَفَـضتُ جَنـاحَ الـذُلِّ أَسـأَلُهُ ... عِـزَّ الـشَفاعَةِ لَـم أَسـأَل سِـوى أُمَـمِ
وَإِن تَقَـدَّمَ ذو تَقـوى بِـصالِحَةٍ ... قَـدَّمتُ بَـينَ يَدَيـهِ عَبـرَةَ النَـدَمِ
لَزِمـتُ بـابَ أَميـرِ الأَنبِيـاءِ وَمَـن ... يُمـسِك بِمِفتـاحِ بـابِ اللَـهِ يَغتَـنِمِ
عَلَّقـتُ مِـن مَدحِـهِ حَـبلاً أُعَـزُّ بِـهِ ... فـي يَـومِ لا عِـزَّ بِالأَنـسابِ وَاللُحَـمِ (٤)

---

(١) بتصرف : دراسات في النقد الأدبي : د. حماد أبو شاويش ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، ١٩٩٩م ص٨٧-٩٧ .
(٢) بتصرف : شوقي شاعر العصر الحديث ، شوقي ضيف ، ص٤١ .
(٣) السابق ، ص٤١ .
(٤) الشوقيات : ص ٦١٢-٦١٣.

لقد رثى شوقي عددٌ من الشعراء الكبار من أمثال : سكيب أرسلان ، وخليل مطران ، وقد أصدرت مجلة أبولو أعداداً كثيرة للحديث عن الأمير ودوره في نهضة الشعر العربي (١)، وحوت أشعاراً كثيرة جاءت رثاءً لشوقي ، وكان ذلك بعيد وفاته بأشهر قليلة ، ثم في ذكرى وفاته .

---

(١) العدد الرابع (ديسمبر ١٩٣٢م) ، والخامس (يناير ١٩٣٣م) ، والسادس (فبراير ١٩٣٣م) والسابع (مارس ١٩٣٣م) من مجلة أبولو .

الفصل الأول

الغربة في شعر أحمد شوقي .

المبحث الأول : **الغربة لغة واصطلاحاً .**

المبحث الثاني : **بواعث الغربة .**

المبحث الثالث : **أنواع الغربة .**

الفصل الأول
الغربة في شعر أحمد شوقي

المبحث الأول : الغربة لغة واصطلاحاً :

أولاً : الغربة لغة :

جاءت الغربة في اللغة بمعنى : " الذهابُ والتَّنَحِّي عن الناسِ وقد غَرَبَ عنا يَغْرُبُ غَرْباً وغَرَّبَ وأَغْرَبَ وغَرَّبه وأَغْرَبه نَحَّاه ، وغَرَّبه وغَرَّبَ عليه تَرَكه بُعْداً والغُرْبةُ والغُرْب النُّزوحُ عن الوَطَن والاغْتِرابُ قال المُتَلَمِّسُ : (الطويل)

ألا أَبْلِغــا أَفنــاءَ سَــعدِ بــن مالــكٍ ... رِسالةَ مَن قد صار في الغُرْبِ جانِبُهْ [١]

والاغْتِرابُ والتغرُّب كذلك تقول منه تَغَرَّبَ واغْتَرَبَ وقد غَرَّبه الدهرُ ورجل غُرُب بضم الغين والراء وغريبٌ بعيد عن وَطَنِه الجمع غُرَباء والأُنثى غَريبة "[٢] ، " وغَرُب : عن وطنه – غرابة ، وغربة : ابتعد عنه ، واغترب : نزح عن الوطن ، والغَربة والغُربة : النوى والبعد "[٣]

فإذا تتبعنا الموروث القديم للعرب نجد أن كلمة الغربة واردة بكثرة في الأدب ، فذكروها لفظاً ومعنى ، وذلك ضمن بكائهم على الأطلال في المقدمة الطللية ، والغربة هي السبب الرئيس لهذا البكاء ، حيث يقول امرؤ القيس في معلقته : (الطويل)

قِفــا نَبــكِ مِــن ذِكــرى حَبيــبٍ وَمَنــزِلِ ... بِــسِقطِ اللِــوى بَــينَ الــدَخولِ فَحَومَــلِ[٤]

وقد ذكر الزبيدي في معجمه : التغرب الذَّهاب ، والغرب : النوى والبعد ، والغَرْب والغُربة: النزوح عن الوطن ، والتغريب : النفي من البلد [٥] ، وفي الصحاح جاءت كلمة التغريب بمعنى النفي عن البلاد والتباعد عن الوطن [٦].

فالملاحظ أن الغربة والاغتراب وردا في معظم معاجم اللغة بمعنى واحد ، وهو الذهاب والبعد عن الوطن ؛ لكن معاجم العربية لم تفرق بين مصطلحي الغربة والاغتراب ، فالغربة

---

(١) ديوان المتلمس الضبعي : تحقيق حسن الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٠ ، ص ٢٦٧ ، والمتلمس جرير بن عبد العزّي شاعر جاهلي ، انظر : الأعلام ١١٩/٢ .

(٢) لسان العرب لابن منظور : دار صادر – بيروت ، ط١ ، مادة (غرب) ، ٦٣٨/١ .

(٣) المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ، ص٦٤٧ .

(٤) ديوان امرئ القيس : تحقيق / عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة – بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٤، ص٢١ .

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس : الزبيدي ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ج١ ، ص٤٠٤-٤١٢ .

(٦) الصحاح : لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت، ١٩٧٩ ، ط٢ ، ص١٩١-١٩٢ .

مقترنة بالبعد عن الوطن وفراق الأهل والأحبة ؛ و هي بذلك مرتبطة بالمكان ، أما الاغتراب فهو شعور نفسي يمتلك الإنسان بسبب ما ؛ فيشعر بأنه غريب حتى لو كان في قلب وطنه .

ثانياً : الغربة اصطلاحاً :

تظهر الغربة في أوقات الاضطراب والقلق وعدم استقرار الفرد بسبب الأوضاع السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو جميعها معاً ، كما حدث مع شعراء المهجر في عصرنا الحديث، فالغربة طبيعة متجذرة في النفس البشرية ، " فهي من المشاعر الفطرية التي تختلف من إنسان لآخر، ومن مجتمع لآخر، ذلك لأنها تتلون بطبيعة صاحبها، وبالمجتمع وما يحكمه من أنظمة ومؤسسات، وبطبيعة العصر وما يحتويه من قيم أو أعراف ومعارف، والغربة ظاهرة قديمة رافقت المجتمعات البشرية منذ بدء الخليقة، ولكنها كانت غربة واضحة المصطلح والمفهوم، بينما اتخذت لها صورا معقدة في العصر الحديث، بل صارت من أكثر المفاهيم إثارة للجدل بسب التعريفات الكثيرة التي وضعت لها "[١]

عند الحديث عن الغربة يختلط تعريفها بمعنى الاغتراب ، حتى أننا نجد من يعدهما بنفس المعنى ؛ فالاغتراب : " هو حالة نفسية تصور مدى انعدام السلطة والانخلاع عن الذات والأشياء أو التذمر والعداء والعزلة ، وانعدام المغزى في واقع الحياة والإحباط "[٢] .

إن الشعور بالغربة من أقسى فترات الحياة على المرء ، فرسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) عندما هاجر من مكة إلى المدينة المنورة وقف على أحد جبال مكة قائلاً : " والله إنك لأحب أرض الله إليَّ وإنك لأحب أرض الله إلى الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت "[٣] فالرسول خارج لتبليغ دين الله ؛ لكن الشعور بترك الوطن أثر عليه ، فما بالُنا بالإنسان العادي ؟ فالوطن الأم لا يمكن للمرء أن ينساه ، وكيف ينساه ؟ وهو الدار الأولى التي عرفها ، ونشأ فيها، وتمتع بخيراتها ، ولعب في عرصاتها ؟ إنها ستبقى مسيطرة على فكره ووجدانه حتى لو عاش في عدد من الأماكن بعدها ، حيث يقول أبو تمام الطائي : (الكامل)

نَقِّل فُؤادَكَ حَيثُ شِئتَ مِنَ الهَوى ... ما الحُبُّ إِلّا لِلحَبيبِ الأَوَّلِ

---

(١) تجربة الغربة والحنين عند ابن خفاجة : فتيحة دخموش (رسالة ماجستير) جامعة منتوري ، ٢٠٠٥م، ص١٢ .

(٢) المكان في الشعر الأندلسي : محمد الطربولي ، دار الرضوان ، عمان ، ط١ ، ص٣٣ .

(٣) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي : تحقيق ، عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ١٣٣/٤ .

كَـم مَنـزِلٍ فـي الأَرضِ يَأَلَفُـهُ الفَتـى   وَحَنينُـهُ أَبَـداً لِأَوَّلِ مَنـزِلِ[1]

" إن نظرة الإنسان العربي الأصيل للغربة مختلفة كل الاختلاف عن نظرة العالم الحالية، فالغربة عند شعرائنا غربة وجودية : غربة المكان ، غربة النفس في وطن غير الوطن ، ووسط أهل غير الأهل غربة الروح عن الجذور بينما هي في المفهوم الحديث اغتراب حضاري وموقف يتخذه المثقف الغربي الفارغ قلبه من كل القيم الروحية " [2].

المبحث الثاني : بواعث الغربة :

ظاهرة الغربة قديمة قدم الإنسانية ، فالإنسان القديم لم يستقر في مكان واحد ، والعربي على وجه الخصوص لم يعرف استقراراً ألبتة ، فالنزاعات القبلية والحروب فيما بينهم جعلت من هذه الظاهرة أمراً طبيعياً في حياتهم . فالعرب كانوا يعتاشون على تربية الإبل والأغنام التي تتطلب وجود الماء والكلأ ، فكانت حياتهم مرتبطة بوجود مقومات الحياة لهم ولمواشيهم ، فالتنقل والبعد عن أماكنهم الأصلية وتغربهم بسبب طلبهم للرزق ، ناهيك عن نزاعاتهم الداخلية التي قد تستمر عقوداً ، لذلك وجدنا الشعراء الأوائل يكثرون من البكاء على الأطلال التي سببها الغربة ، فرأيناهم يصفون أيامهم وأماكن محبوباتهم فيما أصبح يعرف بالبكاء على الأطلال ، فهذا طرفة ابن العبد يبدأ معلقته قائلاً : (الطويل)

لِخَولَـةَ أَطْـلالٌ بِبُرقَـةِ ثَهمَـدِ   تَلـوحُ كَبـاقي الوَشْـمِ فـي ظـاهِرِ اليَـدِ

وُقوفـاً بهـا صَـحْبي علـيَّ مَطِـيَّهُمْ   يَقولـونَ: لا تَهْلِـكْ أسـىً وتَجَلّـدِ [3]

من هذا المنطلق أصبح الوقوف على الأطلال سمة ظاهرة عند الشعراء القدماء ، فالمعلقات سواء السبع أو العشر تبدأ بما هو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالغربة ، فامرؤ القيس يقول في مطلع معلقته : (الطويل)

قِفـا نَبـكِ مِـن ذِكـرى حَبيـبٍ وَمَنـزِلِ   بِـسِقطِ اللِـوى بَـينَ الـدَخولِ فَحَومَـلِ[4]

---

(١) شرح ديوان أبي تمام : الخطيب التبريزي ، تحقيق / راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط٢، ١٩٩٤ م ، ج١ ، ص٢٩٠ .

(٢) الغربة والحنين في الشعر الأندلسي : فاطمة صحصح ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ص٣٥ .

(٣) ديوان طرفة بن العبد : تحقيق / مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٢م، ص١٩ .

(٤) ديوان امرئ القيس : تحقيق / عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة – بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٤ م ، ص٢١ .

بقيت هذه الظاهرة حتى بعد ظهور الدين الإسلامي الحنيف ؛ ولكن خفَّت حدتها بعد تمكُّن الإيمان من قلوب الناس ، فأصبح الشعراء يعبرون عن القصيدة مباشرة دون التطرق للوقوف على الأطلال ، فأخذت الغربة تظهر بوضوح في قصائد الشعراء المجاهدين الذين خرجوا لتبليغ دين الله في شتى أصقاع الأرض ، فظهر باعث آخر وهو الجهاد في سبيل الله ، حيث كان المجاهدون يودعون أوطانهم وأهليهم، ويغيبون لفترات طويلة مما يترك في قلوبهم لوعة البعد والفراق التي تجعل الشعراء منهم يعبرون عن ذلك أصدق تعبير ، ومنهم من يصاب في المعارك أو يتعرض لأمر فيه الهلاك مثلما حدث مع الشاعر مالك بن الريب الذي كان فارساً لا يشق له الغبار منتمياً لمجموعة من الصعاليك ، فطلبه القائد سعيد بن عفان (رضي الله عنه) ليكون معه ، وبهذا تغير فكر مالك من صعلوك إلى مجاهد في سبيل الله يقاتل الأعداء ، فهناك روايتان في وفاته : إحداها أنه أصيب في إحدى المعارك ، والأخرى أنه عندما وضع قدمه في خفه لدغته أفعى كانت في الخف ، فأصيب إصابة مميتة كانت سبباً في موته ، فأنشأ قصيدة تحمل في ثناياها لوعة الفراق والغربة عن الأهل ، ولعل هذه القصيدة كانت السبب في شهرة مالك بن الريب التي ذاع صيتها وفيها يقول : (الطويل)

أَلا لَيتَ شِعري هَل أَبيتَنَّ لَيلَةً ... بِجَنبِ الغَضا أُزجي القِلاصَ النَواجِيا
فَلَيتَ الغَضا لَم يَقطَعِ الرَكبُ عرضه ... وَلَيتَ الغَضا ماشى الرِّكابَ لَيالِيا
تَذَكَّرتُ مَن يَبكي عَلَيَّ فَلَم أَجِد ... سِوى السَّيفِ وَالرُّمحِ الرُدَينِيِّ باكِيا
وَلَكِن بِأَكنافِ السُمَينَةِ نسوَةٌ ... عَزيزٌ عَلَيهِنَّ العشية ما بِيا
وَلَمّا تَراءَت عِندَ مَروٍ منِيتي ... وَخَلَّ بِها جِسمي وَحانَت وَفاتِيا
فَيا صاحِبي رَحلي دَنا المَوتُ فَانزِلا ... برابِيَةٍ إِنّي مُقيمٌ لَيالِيا
وَخُطّا بِأَطرافِ الأَسِنَّةِ مَضجَعي ... وَرُدَّا عَلى عَينَيَّ فَضلَ ردائِيا
خُذاني فَجُرّاني بِثَوبي إِلَيكُما ... فَقَد كُنتُ قَبلَ اليَومِ صَعباً قيادِيا
يَقولونَ لا تَبعُد وَهُم يَدفِنونَني ... وَأَينَ مَكانُ البُعدِ إِلا مَكانِيا
فَيا صاحِباً إِمّا عَرَضتَ فَبلِّغَنْ ... بَني مازِنٍ وَالرَّيبَ أَن لا تَلاقِيا

غَريـــبٌ بَعيـــدُ الـــدارِ ثـــاوٍ بِقَفــرَةٍ يَـدَ الـدَّهرِ مَعروفـاً بِـأَن لا تَـدانِيا [1]

إن الأبيات السابقة لتترك أثراً كبيراً في نفس المتلقي ، لما تحويها من آلام وأسى وحزن ، فالشاعر يضيق ذرعاً بالغربة ؛ لكنه يشعر بأنه سيفارق الدنيا فيطلب من أصحابه ويوصيهم ، يذكر أهله وحياته السابقة ويتمنى أن يرجع إلى بلدته الأصلية التي رمز لها بشجر الغضا ، حيث إن الغربة في هذه الحالة يمكن أن تدرج تحت مسمى غربة الموت ، فالشاعر يموت بعيداً عن موطنه الأصلي ، لم يودعه أهله وأحبته .

تلك الأبيات أنموذج لشعر الغربة الذي صدر من المجاهدين في سبيل الله ، ونجد أن سبباً آخرَ وجد في تلك الحقبة وما زال ، إنه الأسر الذي يترك حسرة في القلب وشعوراً بالغربة ؛ لأن المرء لا يستطيع أن يفك أسره ، فهو مرغم على البقاء فيه ، وهو بذلك يشبه إلى حد قريب غربة المنفى التي عاشها الشاعر أحمد شوقي ، وتجربة الأسر موجودة في أدبنا العربي ، ولعل ما يقاسيه شعراء فلسطين خير دليل على غربة الأسر ، فالأسير يعاني مجموعة من المآسي ، فقد حرم من الحرية ومن رؤية الأهل والأحبة ، ومن التمتع بهذه الحياة . وهذا أبو فراس الحمداني يعيش تجربة الأسر عند الروم ، فأنشأ مجموعة من القصائد وهو في الأسر عرفت فيما بعد بالروميات ، يبث فيها آلامه ويشكو غربته ، فيرسل بمجموعة من الأبيات لأمه من خلالها يواسي نفسه في غربته ووحدته ، فيقول : (الطويل)

مُـــصابي جَليـــلٌ وَالعَـــزاءُ جَميـــلُ وَظَنّـــي بِـــأَنَّ اللَـــهَ سَـــوفَ يُـــديلُ
جِـــراحٌ تَحاماهـــا الأُســـاةُ مَخوفَـــةٌ وَسُـــقمانِ بـــادٍ مِنهُمـــا وَدَخيـــلُ
وَأَســـرٌ أُقاســـيهِ وَلَيـــلٌ نُجومُـــهُ أَرى كُـــلَّ شَـــيءٍ غَيـــرَهُنَّ يَـــزولُ
تَطـولُ بِـيَ الـساعاتُ وَهـيَ قَـصيرَةٌ وَفـي كُـلِّ دَهـرٍ لايَـسُرُّكَ طـولُ [2]

ومن بواعث الغربة النفي عن الوطن ، ولعل هذا وجد تحت وطأة الدول الظالمة ، ومن ذلك ما فعله الاستعمار في الوطن العربي ، حيث كان ينفي الطبقة المثقفة التي لها تأثير واضح على الشعب ، ومن هؤلاء الشعراء الذين هم لسان قومهم ، يعبرون بأشعارهم ما يحمس الشباب ويقوي

---

(١) ديوان مالك بن الريب : تحقيق / د. نوري حمودي القيسي ، مجلة معهد المخطوطات العربية" مج ١٥، جـ١ ، ص ٨٨ – ٩٥ ، جمهرة أشعر العرب : لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، تحقيق / علي محمد الباجي ، نهضة مصر – القاهرة ١٩٨١ م ، ص ٦٠٧ – ٦١٤ .

(٢) ديوان أبي فراس الحمداني : تحقيق / خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٤ ، ص ٢٥٢ .

عزيمتهم ، ومن أبرز من عانى ويلات النفي شاعرنا أحمد شوقي ، وأستاذه الشاعر الكبير محمود سامي البارودي (رب السيف والقلم) ، فعندما قامت الثورة العرابية وأحكمت سيطرتها على معظم مصر ، كان البارودي ممن ساعد في قيامها وأيدها واعتبر من أحد قادتها ، فقام الإنجليز بنفيه خارج مصر إلى جزيرة سيرلانكا (سرنديب ثم سيلان قديماً) ، وهناك عانى البارودي الأمرين، مرارة الغربة وقهرها ، ومرارة الوحدة في بلد عز فيه الصديق ، إن إحساسه العميق بالغربة سيطر على كيانه ووجدانه ، فعبر عن ذلك بكثير من الأشعار التي حملت بداخلها آلام الغربة والحنين إلى الوطن ، يقول في إحدى قصائده : (البسيط)

أَظَلُّ فِيهَا غَرِيبَ الدَّارِ مُبْتَئِساً　　نَابِي الْمَضَاجِعِ مِنْ هَمٍّ وَأَوْجَاعِ

لا فِي سَرَنْدِيبَ خِلٌّ أَسْتَعِينُ بِهِ　　عَلَى الْهُمُومِ إِذَا هَاجَتْ وَلا رَاعِي

يَظُنُّنِي مَنْ يَرَانِي ضَاحِكَاً جَذِلاً　　أَنِّي خَلِيٌّ وَهَمِّي بَيْنَ أَضْلاعِي

وَلا وَرَبِّكَ مَا وَجْدِي بِمُنْدَرِسٍ　　عَلَى البِعَادِ وَلا صَبْرِي بِمِطْوَاعِ

لَكِنَّنِي مَالِكٌ حَزْمِي وَمُنْتَظِرٌ　　خَوْفَ الرَّقِيبِ وَقَلْبِي جِدُّ مُلْتَاعِ

أَكُفُّ غَرْبَ دُمُوعِي وَهْيَ جَارِيَةٌ　　خَوْفَ الرَّقِيبِ وَقَلْبِي جِدُّ مُلْتَاعِ

فَإِنْ يَكُنْ سَاءَنِي دَهْرِي وَغَادَرَنِي　　رَهْنَ الأَسَى بَيْنَ جَدْبٍ بَعْدَ إِمْرَاعِ

فَإِنَّ فِي مِصْرَ إِخْوَاناً يَسُرُّهُمُ　　قُرْبِي وَيُعْجِبُهُمْ نَظْمِي وَإِبْدَاعِي (١)

إن المعاناة التي عاشها البارودي لتدل بكل وضوح على مرارة الغربة ، فغربة النفي عن الوطن قاسية ، فالوطن عندما يسلب من الإنسان كأن الروح تؤخذ معه ، فتصبح الهموم والأوجاع كثيرة ، فالبارودي يشتاق لمصر شوقاً لا يوصف ، ويجري على عادة القدماء في تخيل الرفيقين بجانبه ، ويطلب منهما عدم الملامة ؛ لأن الغريب لا يلام بسبب أحزانه وغياب عقله من شدتها ، فيذكر اشتياقه لمصر حيث يقول : (الخفيف)

يَا نَدِيمَيَّ فِي سَرَنْدِيبَ كُفَّا　　عَنْ مَلامِي فَلَيْسَ يُغْنِي الْمَلامُ

أَنَا فِي هَذِهِ الدِّيَارِ غَرِيبٌ　　وَغَرِيبُ الدِّيَارِ لَيْسَ يُلامُ

وَاذْكُرَا لِي فُسْطَاطَ مِصْرَ فَإِنِّي　　بِهَوَاهَا مُتَيَّمٌ مُسْتَهَامُ (٢)

---

(١) ديوان محمود سامي البارودي : تحقيق / علي الجارم ومحمد شفيق معروف ، دار العودة – بيروت ، ١٩٩٨ م ، ص ٣٤١ – ٣٤٢ .

(٢) السابق : ص٦٢٤ .

وهناك باعث آخر مرتبط بالنفي ألا وهو الهجرة ، فالهجرة هي ترك الوطن " سواء كانت فردية أو جماعية ؛ فقد يشعر بعض الأفراد أو الجماعات أن حياتهم في أوطانهم قد أصبحت جحيماً لا يطاق من جراء العراقيل والصعوبات في الحياة السياسية ، أو تعرض البلاد للسيطرة الأجنبية الغاشمة أو الحكم الفردي المستبد ، وقد تتعرض البلاد للضعف والفساد والرشوة ، أو توزيع الثروة توزيعاً مجحفاً مما يسبب لها انهياراً اقتصادياً يترتب عليه عدم قدرتها على توفير الحياة الكريمة ؛ فيضطرون إلى الهجرة طلباً للحرية أو سعياً وراء الرزق (١)"

فالهجرة تنقسم إلى نوعين : النوع الأول وهو هجرة إرادية بسبب سوء الأحوال المعيشية في البلد ، وقلة المصادر التي تكفل الحياة الكريمة للفرد ، أو سوء الأحوال الأمنية بسبب سيطرة المحتل على الوطن ، أو شعور المهاجر بالاغتراب في وطنه مما يدفعه لترك الوطن ، وهذا ما حدث مع شعراء المهجر الذين تركوا أوطانهم ، حيث كونوا مجموعتين : الأولى في أمريكا الشمالية وأسموها الرابطة القلمية ، والثانية في أمريكا الجنوبية وأسموها العصبة الأندلسية ، أما النوع الآخر من الهجرة فهو هجرة قسرية إجبارية وهذا ما حدث مع الشعب الفلسطيني عندما هُجِّر من وطنه عنوةً، فقد قام الصهاينة بطرد أصحاب الأرض واستولوا عليها وكونوا فوقها كيانهم المزعوم ، فهذا النوع من الهجرة يشبه إلى حد كبير النفي ، بل إن النفي أهون من ذلك ؛ لأن الإنسان المنفي وطنه ما زال موجوداً ، ولم يطرد منه أهله بعكس الهجرة الجبرية التي ما زلنا نعانيها لوقتنا الحاضر ، فتأثر جميع أبناء الشعب الفلسطيني من هذه المأساة وما زالوا يعانون آلام الغربة ومآسيها في الشتات ، فالشعراء لسان قومهم يعبرون عن هذه المأساة ، فالغالبية العظمى من شعراء فلسطين تحدثوا عن الغربة في أشعارهم ، بل أصبحت سمة في شعرهم ، ومن أمثال هؤلاء الشاعر عبد الكريم الكرمي الذي يقول في قصيدة له بعنوان (سنعود) أبيات يبكي مرارة الغربة ويؤكد على العودة القريبة حيث رسم طريق الجهاد والمقاومة لهذه العودة ، فيقول : (الوافر)

فِلَسْطِينُ الحَبِيبَةُ كَيفَ أَحْيَا … بَعِيداً عَنْ سُهُولِكِ والهِضَابِ
تُنَادِينِي الشَّوَاطِئُ بَاكِيَاتٍ … وَفِي سَمْعِ الزَّمَانِ صَدَى انْتِحَابِ
تُنَادِينِي الجَدَاوِلُ شَارِدَاتٍ … تَسِيرُ غَرِيبَةً دُونَ اغْتِرَابِ
تُنَادِينِي مَدَائِنُكِ اليَتَامَى … تُنَادِينِي قُرَاكِ مَعَ القِبَابِ

(١) الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة : د. أمين العمصي ، جامعة قاريونس – بنغازي ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ص٦٧ .

ويَـــــسْأَلَنِي الرِّفَــــــاقُ أَلَّا لِقَـــــاءٌ وهَـــلْ مِـــنْ عَـــوْدَةٍ بَعْـــدَ الغِيَـــابِ
غــــداً سَـــنَعُودُ والأَجْيَـــالُ تُـــصْغِي إلـــى وَقْـــعِ الخُطَـــى عِنْـــدَ الإِيَـــابِ
نَعُـــودُ مـــعَ العَواصِـــفِ دَاوِيـــاتٍ مَـــعَ البـــرق المقـــدس و الـــشهابِ
أجـــل ســـتعود آلاف الـــضحايا ضـــحايا الظلـــم تفـــتح كـــل بـــاب (١)

وهنـاك بواعـث للاغتـراب المـرتبط بالإنـسان داخـل مجتمعـه ، ومـن هـذه العوامـل : " العاهـة الخلقية كالعمى مثلاً ، إذ إن مثل هذه العاهة قد تزيد من حدة العوامل النفسية إلى جانب العوامل الأخرى التي يتعرض لها المرء " (٢) ، فالشاعر أبو العلاء المعري (رهين المحبسين) قد أصيب بـالعمى فـي سنواته الأولـى ، الأمـر الـذي شـكل رؤيـة فلسفية عنـد أبـي العـلاء ، فـالعمى وسـوء معاملـة النـاس لـه أثَّر علـى نمط حياتـه حتـى لقب بـرهين المحبسين ، فيـدافع عـن نظـرة النـاس للأعمى فيما ينم عن شعورٍ بالاغتراب حيث يقول :

إذا مَـــرَّ أَعمـــى فَـــارحَموهُ وَأَيقِنـــوا وَإِن لَـــم تُكَفَّـــوا أَنَّ كُلَّكُـــم أَعمـــى (٣)

وفـي قصيدة أخـرى يشكو حزنـه وآلام اغترابـه ، فـالألم جعلـه يعبـر عمـا بداخلـه بـالتوجه إلـى الـواعز الـديني ، فيـذكر فـي هـذه الأبيـات أن أعمـال الخيـر عنـد النـاس غريبـة ، لأنهـم لـم يتعودوا عليها ، فالإنسان منشؤه من تراب وإليه سيأوي ، والبقاء لله – سبحانه وتعالى – فالكل إلى زوال ويبقى وجه الملك الديان الذي خلق الأرض والإنسان ، حيث يقول المعري : (الطويل)

وَجَـدتُ سَـجايا الفَـضلِ فـي النـاسِ غُربَـةً وَأَعـــدَمَ هَـــذا الـــدَهرُ مُغتَرِبيـــهِ
وَإِنَّ الفَتـــى فيمـــا أَرى بِزَمانِـــهِ لَأَشـــبَهُ مِنـــهُ شَـــيمَةً بِأَبيـــهِ
وَوالِـــدُنا هَـــذا التُـــرابُ وَلَـــم يَـــزَل أَبَـــرَّ يَـــداً مِـــن كُـــلِّ مُنتَـــسَبيهِ
يُـــؤَدّي إِلـــى مَـــن فَوقَـــهُ رِزقَ رَبِّـــهِ أَمينـــاً وَيُعطـــي الـــصَونَ مُحتَجِبيـــهِ
وَلا شَـــيءَ مِثـــلُ الخَيـــرِ يُزمَـــعُ تَركُـــهُ وَيُـــصبِحُ مَبـــذولاً لِمُكتَـــسِبيهِ (٤)

---

(١) ديوان أبي سلمى عبد الكريم الكرمي : دار العودة – بيروت ، ط١ ، ١٩٧٨ م ، ص ١٧٣ .
(٢) المكان في الشعر الأندلسي : محمد الطربولي ، دار الرضوان ، عمان ، ط١ ، ص٣٣ .
(٣) شرح اللزوميات :لأبي العلاء المعري ، تحقيق / زينب القوصي – وفاء الأعصر – سيدة حامد – منير المدني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ م ، ج٣ ، ص ١١٨.
(٤) اللزوميات : لأبي العلاء المعري ، تحقيق / أمين عبد العزيز الخانجي ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ج٢ ، ص ٤٣٠.

فعوامل الغربة كثيرة ومتغيرة من زمان إلى آخر ، أما عند شوقي فجاءت ضمن أربعة عوامل رئيسة هي : عامل سياسي ، عامل اجتماعي ، عامل نفسي ، عامل ثقافي .

العامل السياسي :

كان لهذا العامل الأثر الواضح في نشأة الغربة عند شوقي ، فلم ينقطع شوقي عن السفر خارج مصر ، فسافر إلى أماكن كثيرة سواء أثناء تلقيه تعليمه في فرنسا ومنها إلى الجزائر في رحلة علاجية ، وزيارة خاطفة لمدينة لندن ، أم سفره المتكرر عندما عمل في الحكومة المصرية وكان ممثلاً عنها في مؤتمر المستشرقين ، وزياراته مع الخديوي عباس لمركز الحكم في الآستانة ، كل هذه الغربة والبعد عن الوطن كان بإرادة شوقي ، ولم يكن مكرهاً عليه ؛ لذلك لم يترك آلاماً داخل قلبه وكيانه .

إن الغربة الحقيقية هي التي شعر بها شوقي عندما نفي إلى إسبانيا عام ١٩١٤ م ، فقد كان هذا الحدث بمثابة التحول الكبير في حياته ، فمن الحياة الآمنة المطمئنة في ربوع الوطن ، والتنعُّم بخيراته ، إلى أقسى نوبات الشوق للوطن الذي سيطر عليه ، فيشتاق إلى الوطن لكنه لا يستطيع العودة ، تلك أصعب الفترات التي عايشها شوقي ، ولعله يبين ذلك في بعض الكلمات التي قالها على ظهر السفينة التي أبحرت به إلى المنفى : " فقلت : سيري عوذتك بوديعة التابوت، وبصاحب الحوت ، وبالحي الذي لا يموت ؛ وأسري يا بنة اليم ، زمامك الروح ، وربانك نوح ، فكم عليك من منكوب ومجروح ، إن للنفي لروعة ، وإن للنأي للوعة ، وقد جرت أحكام القضاء ، بأن نعبر هذا الماء ؛ حين الشر مضطرم ، واليأس محتدم ، والعدو منتقم ، والخصم محتكم ، وحين الشامت جذلان مبتسم ، يهزأ بالدمع وإن لم ينسجم ، نفانا حكام عجم ، أعوان العدوان والظلم ، خلفناهم يفرحون بذهب اللجم ، ويمرحون في أرسان يسمونها الحكم . ضربونا بسيف لم يطبعوه ، ولم يملكوا أن يرفعوه أو يضعوه، سامحهم في حقوق الأفراد، وسامحوه في حقوق البلاد، وما ذنب السيف إذا لم يستحِ الجلاد. "(١)

ولا ننسى الأبيات التي قالها شوقي واصفاً فيها النفي والتشريد الذي مورس عليه وسلب منه أغلى ما في الوجود ، فالنفي أخذ منه خمس سنوات لم يتمتع بها في وطنه ، سنوات عايشها والوطن في أمسِّ الحاجة لأمثاله ، فيقول : (الكامل)

لَـــولا عَـــوادي النَفـــيِ أَو عَقَباتُـــهُ   وَالنَفـــيُ حـــالٌ مِـــن عَـــذابِ جَهَـــنَّمِ
لَجَمَعـــتُ أَلـــوانَ الحَـــوادِثِ صـــورَةً   مَثَّلـــتُ فيهـــا صـــورَةَ المُستَـــسلِمِ

---

(١) أسواق الذهب : أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي ، مطبعة الهلال ، مصر ١٩٣٢ ، ص ٢٨ .

وَحَكَيتُ فيها النيلَ كاظِمَ غَيظِهِ وَحَكَيتُهُ مُتَغَيِّظاً لَم يَكظِمِ [1]

فالحياة التي عاشها شوقي في الأندلس مزجت فيها آلام الحسرة و الوحدة ومرارة البعد عن الوطن ، فتجربة النفي التي مرت به غيرت مجرى حياته ونظرته إلى الحياة ، فكانت الباعث الأول للغربة الخارجية التي سيطرت على وجوده .

الأحداث السياسية التي عايشها شوقي كان لها تأثير في حياته ، وما أكثرها الأحداث التي عاصرها شوقي ، بدءاً بالحرب العالمية الأولى التي بثت في شعره إشارات واضحة دلت على حالات من الاغتراب منها : (الكامل)

لا تذكُرَنَّ الحربَ أو أهوالها إلا بقلبٍ خاشِعٍ يَتَوَجَّعُ

وَاذْرِفْ على القلبِ الدُّموعَ فكُلُّكُمْ في آدَمٍ أهْلٌ وآدَمُ يَجْمَعُ[2]

ولا ينسى ما آلت إليه أحوال المسلمين بُعيد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وإعلان مصطفى أتاتورك سقوط الخلافة الإسلامية ، شعر المسلمون بفقدان جزءاً مهماً من عقيدتهم ، وشوقي أحد المسلمين الغيورين على دينهم ، آلمه ما حدث وخيَّم الحزن على قلبه ، وأنشأ يقول في مناسبات عدة عن سقوط الخلافة : (الكامل)

الهِندُ والِهَةٌ وَمِصرُ حَزينَةٌ تَبكي عَلَيكِ بِمَدمَعٍ سَحّاحِ

وَالشامُ تَسأَلُ وَالعِراقُ وَفارِسٌ أَمَحا مِنَ الأَرضِ الخِلافَةَ ماحِ

وَأَتَت لَكَ الجُمَعُ الجَلائِلُ مَأتَماً فَقَعَدنَ فيهِ مَقاعِدَ الأَنواحِ

يا لَلرِجالِ لِحُرَّةٍ مَوؤودَةٍ قُتِلَت بِغَيرِ جَريرَةٍ وَجُناحِ [3]

ولا يتوقف الباعث السياسي عند هذه الأمور سابقة الذكر ، بل كان لمعاناة الدول العربية نصيب كبير في شعر شوقي ، وأصدق هذه الأشعار ما نظمه شوقي في نكبة دمشق عندما فتك بها الفرنسيون عام ١٩٢٦ م ، وأنشأ شوقي تلك القصيدة وألقاها في حفل لمساعدة منكوبي سوريا حيث أقيم الحفل بحديقة الأزبكية بالقاهرة ، يقول فيها : (الوافر)

سَلامٌ مِن صَبا بَرَدى أَرَقُّ وَدَمعٌ لا يُكَفكَفُ يا دِمَشقُ

---

(١) الشوقيات : ص٦٠٤-٦٠٥ .

(٢) السابق : ص٤١٥ .

(٣) السابق : ص٢٠٤ .

لَحاهــــا اللَـــــهُ أَنبــــاءً تَوالَـــــت ... عَلـــى سَـــمعِ الـــوَلِيِّ بِمـــا يَـــشُقُّ
تَكــــادُ لِرَوعَــــةِ الأَحـــــداثِ فيهــــا ... تُخـــالُ مِـــنَ الخُرافَـــةِ وَهـــيَ صِـــدقُ
وَقيـــــلَ مَعــــالِمُ التــــاريخِ دُكَّــــت ... وَقيـــــلَ أَصـــــابَها تَلَـــفٌ وَحَـــــرقُ
أَلَـــستِ دِمَـــشقُ لِلإِســــلامِ ظِئــــراً ... وَمُرضِـــــعَةُ الأُبُــــوَّةِ لا تُعَــــقُّ[1]

فالعامل السياسي تمثل في الأحداث التي مرت بها المنطقة ، فالحروب التي كانت تخوضها الدولة العثمانية ، مروراً باتجاه شوقي إلى العمل في السياسة من خلال عمله في الحكومة المصرية ، واشتعال الحرب العالمية الأولى ، وطرد الخديوي عباس ، وتعيين السلطان حسين كامل على عرش مصر ، وسيطرة الإنجليز على مقالد الحكم في مصر ، وسقوط الخلافة الإسلامية على يد مصطفى أتاتورك ، والأحداث التي تعرضت لها بعض الدول العربية .

العامل الاجتماعي :

الإنسان بفطرته كائن اجتماعي ، يتأثر بمجتمعه ويؤثر فيه ، فلا يمكن لأحد أن يعيش منفرداً إلا إذا كان يعاني من حالة مرضية ، فالحياة الاجتماعية مرتبطة بجميع نواحي الحياة ، ولا يمكن التعامل معها منفردة .

من الظواهر الاجتماعية التي تدفع الإنسان للشعور بالاغتراب الظلم الاجتماعي كإرغام الأهل بناتهم للزواج ممن يفوقون أعمارهن بكثير ، هذه الظاهرة التي انتشرت بشكل واسع في مصر آنذاك ، فقال شوقي محارباً هذه الظاهرة : (الكامل)

ظَلَـــمَ الرِجـــالُ نِـــساءَهُم وَتَعَـــسَّفوا ... هَـــل لِلنِـــساءِ بِمِـــصرَ مِـــن أَنـــصارِ
يـــا مَعـــشَرَ الكُتّـــابِ أَيـــنَ بَلاؤُكُـــم ... أَيـــنَ البَيـــانُ وَصـــائِبُ الأَفكـــارِ
أَيَهُمُّكُـــم عَبَـــثٌ وَلَـــيسَ يَهُمُّكُـــم ... بُنيـــانُ أَخـــلاقٍ بِغَيـــرِ جِـــدارِ
عِنـــدي عَلـــى ضَـــيمِ الحَرائِـــرِ بَيـــنَكُم ... نَبَـــأٌ يُثيـــرُ ضَـــمائِرَ الأَحـــرارِ [2]

تأثر شوقي بالمجتمع المصري لاسيما عندما عاد من منفاه ، فكان يواكب كل حدث اجتماعي داخل مصر ، ويقول في ذلك أشعاراً ، أما على صعيد حياته الاجتماعية فيتمثل الاغتراب في فقدانه لأعز الناس على قلبه ، فعندما علم بموت أمه وهو في منفاه اشتعلت النيران

---

(١) الشوقيات : ص٤٤٦ .

(٢) السابق : ص٣٣٣ .

في قلبه ، وكأنها السهام أصابته في سويداء القلب ، شعور بفقدان أحب الناس إلى قلبه ، وفقدان الوطن العزيز عليه ، يقول في قصيدة نظمها رثاء لأمه : (الطويل)

إِلى اللَهِ أَشكو مِن عَوادي النَوى سَهما | أَصابَ سُوَيداءَ الفُؤادِ وَما أَصمى
مِنَ الهاتِكاتِ القَلبَ أَوَّلَ وَهلَةٍ | وَما دَخَلَت لَحماً وَلا لامَسَت عَظما
تَوارَدَ وَالناعي فَأَوجَستُ رَنَّةً | كَلاماً عَلى سَمعي وَفي كَبِدي كَلما
فَما هَتَفا حَتّى نَزا الجَنبُ وَاِنزَوى | فَيا وَيحَ جَنبي كَم يَسيلُ وَكَم يَدمى
وَلَم أَرَ حُكماً كَالمَقاديرِ نافِذاً | وَلا كَلِقاءِ المَوتِ مِن بَينِها حَتما (١)

أكثر شوقي من الرثاء في ديوانه ، ولعل ذلك نابع من كثرة معارفه الذين تعرف عليهم ، حتى أننا نجده يرثي الشخص في أكثر من قصيدة ، كما حدث مع بشارة تقلا ، لِما له من الفضل الكبير عليه والاهتمام به في بداية حياته ، فكان تأثر شوقي بالمجتمع وشعوره أحياناً بضرورة تغيير الواقع للأفضل ، وهذا ما نلمسه في أشعاره .

العامل النفسي :

يعتبر العامل النفسي من أكثر العوامل تأثيراً في شعر الغربة ، فالعامل النفسي مرتبط بشعور الإنسان وتأثره بمن حوله ، ومرتبط ارتباطاً كبيراً بالواقع الذي يعيشه الشاعر ، فتمثل العامل النفسي في شعر شوقي في مجالات ثلاث هي : تعلق شوقي ببلده مصر وجمالها ، وشيخوخة الشاعر ومرضه ، وقلق الموت ، فهذه العناصر الثلاث تتبلور فيها النواحي النفسية التي بعثت الشعور بالغربة والحنين .

كان شوقي متيماً بوطنه ، مغرماً بجمال مصر ونيلها ، كل شيء في مصر كان له وقع حسن في نفس شوقي ، ولعل الرسالة التي أرسلها شوقي – وهو في منفاه في أسبانيا – إلى رئيس جريدة الأهرام يوضح فيها مدى اشتياقه وحنينه لمصر وللشرب من النيل هي تعبير صادق لما يجول في نفس الشاعر من حب صادق ، ومشاعر جياشة لشخص عانى ويلات الغربة عن أعز ما في الوجود حيث يقول شوقي في هذه الرسالة : (البسيط)

يا ساكني مِصرَ إِنّا لا نَزالُ على | عَهْدِ الوَفاءِ وإِنْ غِبْنا مُقِيمِينَا
هَلاَّ بَعَثْتُمْ لنا مِن ماءِ نَهرِكُمُ | شيئاً نَبُلُّ بهِ أَحْشاءَ صادِينَا

---

(١) الشوقيات : ص٥٤٨ – ٥٤٩ .

كــلُّ المَناهِـــلِ بَعـــدَ النِّيـــلِ آسِـــنَةٌ		مـــا أَبْعَـــدَ النِّيـــلَ إلاّ عَـــنْ أَمانِينَـــا [١]

جاء نداء شوقي لأهل مصر ليؤكد لهم على شدة حنينه لمصر ، مصر الشعب ، ومصر النيل ، ومصر الحضارة ، فيقرب لنا صورة الحنين المتجسد في بعد النيل عنه إلا بالأماني ، وجاء حث شوقي لأهل مصر بأن يبعثوا له من مياه النيل ليبل شوقه وحنينه ، فهو لا يستسيغ المياه بعد نهر النيل ولو كانت مناهل .

وتصل الحالة النفسية إلى أعلى مستوياتها عندما يطأ شوقي بقدمه ثرى مصر بعد سنوات من الغربة ، فللوطن مكانة تسيطر على النفس ، وحبه كامن بين ضلوع المرء ، فأول كلمات قالها شوقي أثناء استقبال الجماهير له بعد عودته من المنفى : (الوافر)

وَيـــا وَطَنـــي لَقَيتُـــكَ بَعـــدَ يَـــأسٍ		كَـــأَنّي قَـــد لَقيـــتُ بِـــكَ الـــشَبابا

وَلَـــو أَنّـــي دُعيـــتُ لَكُنـــتَ دينـــي		عَلَيـــهِ أُقابِـــلُ الحَـــتمَ المُجابـــا

أُديـــرُ إِلَيـــكَ قَبـــلَ البَيـــتِ وَجهـــي		إِذا فُهـــتُ الـــشَهادَةَ وَالمَتابـــا [٢]

ومن البواعث النفسية عند شوقي تحسره على فترة شبابه ، وحنينه لتلك الأيام ، كل هذه الأحاسيس يجسدها إكثار الشاعر من ذكره فترة الشباب في قصائده ، لاسيما تلك القصائد التي قالها عندما شارف الستين من العمر ، ففترة الشباب أجمل فترات العمر وأحفلها بالأحداث العزيزة على قلب كل إنسان ، يذكر شوقي ذلك في شيخوخته ، فيخاطب أيام صباه ، وأيام شيبه بمجموعة من الأبيات المعبرة حيث يقول : (الطويل)

أقـــول لأيـــام الـــصبا كلمـــا نـــأتْ		أمـــا لـــكَ يـــا عهـــدَ الـــشباب مُعيـــدُ

وكيـــف نـــأَتْ والأَمـــسُ آخـــرُ عهـــدِها		لأمـــسُ كبـــاقي الغـــابرات عهيـــدُ

جزعـــتُ ، فراعتنـــي مـــن الـــشيبِ بـــسمةٌ		كـــأني علـــى دَرْبِ المـــشيبِ لَبيـــدُ

ومـــن عبـــث الـــدنيا ومـــا عبثـــت ســـدىً		شـــبينا وشـــبنا والزمـــانُ وليـــدُ [٣]

---

(١) الشوقيات : ص٦٨٨ .

(٢) السابق: ص ١٠٥-١٠٦ .

(٣) السابق: ص٢٤٤-٢٤٥ .

فالملاحظ من تلك الأبيات كثرة مدلولات الشباب ، ويقابلها مدلولات الكبر ، وذلك إيحاء من شوقي على عظم حزنه ومعاناته المصاحبة لفترة الشيب ، ولعل أصدق تعبير منه قوله:(جزعت) التي تحمل دلالة الخوف الشديد لما هو قادم في مرحلة الشيب .

إن الشعور بانتهاء فترة الشباب والإقبال على مرحلة الضعف والوهن يترك في النفس ألماً وحسرة ، فمرحلة الشيخوخة يحس الإنسان فيها بدنو الأجل مما يجعله يشعر بنوع من الاغتراب بعدما كان في قمة نشاطه وعنفوانه ، فالقلب يخفق لتلك الأيام ويتمنى أن تعود ؛ ولكن أنّى ذلك فما مضى لا يمكن أن يعود ، يقول شوقي عن ذلك : (الكامل)

خَلُـــقَ الـــشَبابُ وَلا أَزالُ أَصـــونُهُ   وَأَنـــا الـــوَفِيُّ مَـــوَدَّتي لا تَخلُـــقُ

قَلبـــي اِدَّكَـــرتَ اليَـــومَ غَيـــرُ مُوَفَّـــقٍ   أَيّـــامَ أَنـــتَ مَـــعَ الـــشَبابِ مُوَفَّـــقُ

فَخَفَقـتَ مِـن ذِكـرى الـشَبابِ وَعَهـدِهِ   لَهفـي عَلَيـكَ لِكُـلِّ ذِكـرى تَخفُـقُ (١)

أما قلق الخوف من الموت فكان شديد الظهور في شعره ، ولعل ذلك ما أظهر أسباب الاغتراب بشكل واضح عنده ؛ لأن شعور الإنسان بأنه مفارق لهذه الحياة يجعله يشعر بأنه غريب فوق هذه الأرض ، وهذا ما حدث مع شوقي ، حاله كحال كثير من الناس ؛ لكن الشاعر يختلف عن العامة لامتلاكه ملكة الشعر التي يعبر من خلالها عما يجول بين ثنايا قلبه ، فهذا الشعور يغلب على الإنسان في مراحل متقدمة من العمر ، حث يوصي شوقي أبناءه بعدما شعر بدنو الأجل واقتراب الموت منه، يوصيهم بأن الدنيا لا أمان لها ، وأنها فانية لامحالة ، فهي دار ممر وليست دار مقر، حيث يقول: (الوافر)

كـــأني بالحِمـــام أصـــابَ رُكنـــي   فمـــالَ وأيُّ رُكْـــنٍ لا يميـــلُ

وأدْرَكَنـــي ونَجْـــمُ صِـــبايَ عـــالٍ   فَخَـــرَّ الـــنَّجمُ وازدَوَجَ الأُفُـــولُ

فـــلا يغْرُرْكُمـــا وَلَـــدَيَّ بعـــدي   زُهـــا الـــدُّنيا ومنظرُهـــا الجميـــلُ (٢)

---

(١) الشوقيات : ص٢٤٤-٢٤٥ .

(٢) السابق : ص٥١٢ .

العامل الثقافي :

وللكشف عن هذا العامل عند شوقي ، يتضح ذلك من نهجه في نظم الأشعار وبث الحياة في الشعر العربي من جديد ، والاستفادة من عراقة الشعر العربي القديم (الجاهلي ، صدر الإسلام، الأموي ، العباسي ، الأندلسي) ولعل هذا يندرج تحت الثقافة الكبيرة عنده ، فشوقي قد شعر بالواقع الأليم للأدب العربي الذي أصابه الوهن والضعف، وابتعد كثيراً عن لمعانه وبريقه بعدما كان في أزهى حال ، وأنقى صورة، فعكف على استنساخ التجربة العظيمة للشعر من جديد ، فمعارضات شوقي لكثير من الشعراء في العصور الزاهية للأدب العربي ما هو إلا حنين لتلك الأيام ، وشعور بالاغتراب في وقت ندر فيه من ينظم أشعاراً ترتقي لهذا الأدب العظيم ، والملاحظ في ديوان شوقي كثرة هذه المعارضات، فقد عارض شوقي البحتري في سينيته المشهورة في وصف إيوان كسرى ، وعارض ابن زيدون في نونيته المشهورة في غزل ولادة ، وعارض كعب بن زهير والبويصري في قصيدته نهج البردة ، ومعارضاته المختلفة لأبي نواس ، وكذلك تمثله للمتنبي في مواضع كثيرة من القصائد .

كانت معارضات شوقي وإحياؤه للتراث العربي من خلال أشعاره المرتبطة بالحقبة الزاهية للأدب العربي بمثابة دليل على معاناة شوقي من الانحطاط الذي وصل إليه الشعر ، بعدما عمَّ الآفاق ، وتغنت به الدنيا .

إن بواعث الغربة عند شوقي تنوعت بتنوع الحياة التي عاشها ، ومع الفترة العمرية التي قضاها ، فكل حدث مرَّ بحياته ترك أثراً عليه ، حيث تنوعت هذه البواعث إلى سياسية واجتماعية ونفسية وثقافية .

المبحث الثالث : أنواع الغربة :

خُلط بين مفهومي الغربة والاغتراب كثيراً ، فالفصل بينهما أمر صعب ؛ لكن الجامع بينهما أن كلاً من الإنسان الغريب والمغترب يشعر بمرارة الأسى والحزن العميق في النفس ، وفي كلا الأمرين يوجد إحساس بالألم والحرقة التي تحتاج لوقت كبير لكي يبرأ الإنسان من ذلك ، وعلى ذلك فالغربة تتقسم إلى قسمين في شعر شوقي :

الغربة الداخلية : (الاغتراب) :

" وهي شعور الإنسان بالانفصال عن مجتمعه ، وإحساسه بأنه غريب داخل وطنه ، يعرفه شيخ الإسلام الهروي الأنصاري " بأنه أمر يشار به إلى الانفراد على الأكفاء " ، فالاغتراب يكون بين الناس واغتراب المؤمنيين بين المسلمين ، فالمؤمن الحق مغترب بين المسلمين لأن الإسلام درجة والإيمان درجة ، ثم هناك أعلى درجات الاغتراب وأشدها وحشة وهو اغتراب العلماء بين المؤمنين ، فالعلماء أشد الناس غربة ، المعتزلة غرباء ، والخوارج كذلك ، وفلاسفة المسلمين غرباء ، فقد تعرضوا للسجن والقتل وإحراق كتبهم "(١) .

فالاغتراب موجود في حياة الأمة الإسلامية ، نشعر به في درجات فالرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – يقول : " بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء " . (٢)

"أما نظرة العالم الغربي للاغتراب فهي مختلفة باختلاف وجهاتهم الفلسفية ، فيرى (فهيجل) : أن الاغتراب في صميم بنية الحياة الكلية حيث يتجسد في ضياع الإنسان بشخصيته الأولى وتحوله لإنسان آخر ؛ لكن ماركس يرى : أن الاغتراب يُرى في حالات اغتراب الإنسان عن عمله وزملائه بحيث لا يكون الإنسان ذاته ، ويفقد حريته واستقلاله الذاتي ويصبح ملكًا لغيره .

أما الاغتراب عند الوجوديين هو البعد عن الوجود العميق للإنسان ، فينظرون إلى الإنسان أنه حر لا يمكن أن يقيد " (٣).

لقد تجسدت الغربة الداخلية عند شوقي في بعض المواقف التي كان يشعر فيها بشدة الشوق إلى تاريخ الأمة الإسلامية ، وتأييده للمواقف العظيمة للقادة الأتراك وانتصاراتهم في بعض المعارك ، فلعل السبب الرئيس للغربة الداخلية عند شوقي كامن في العامل النفسي المتعلق بأمور الدين وإحياء التراث العريق للأمة الإسلامية والعربية .

---

(١) الغربة والحنين في الشعر الأندلسي : فاطمة صحصح ، مرجع سابق ، ص٣٣ .

(٢) صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ١٣٠/١.

(٣) بتصرف : الغربة والحنين في الشعر الأندلسي ، ص٣٣-٣٤ .

انقسمت حياة شوقي إلى قسمين : قسم قبل نفيه إلى إسبانيا ، والآخر بعد النفي وعودته إلى أرض الوطن ، فكانت تسيطر على القسم الأول حياة مسخرة لمدح السلطة الحاكمة ، وانشغال بأمور الدولة من خلال سفره للعديد من المؤتمرات خارج الوطن حيث كان مبعوثاً من الحكومة المصرية ، وهذا ما وضحناه في التمهيد .

لقد تجسد الاغتراب في شعر شوقي بالناحية النفسية وشعوره بنوع من الضيق النفسي لما مر عليه في فترات حياته ، حيث ركز شوقي في القسم الأول من حياته على أموره الشخصية ، وفي القسم الآخر سخرها للأمة الإسلامية والعربية ، لذا نجد الاغتراب عند شوقي انطلق من عدة نواحٍ تمثلت في غربة الموت التي تحدث عنه كثيراً في ديوانه ، فيقول في موت أمه مجموعة من الأبيات التي تعبر عن شعوره بالغربة حيث يقول : (الطويل)

إِلى اللَهِ أَشكو مِن عَوادي النَوى سَهما	أَصابَ سُوَيداءَ الفُؤادِ وَما أَصمى
مِنَ الهاتِكاتِ القَلبَ أَوَّلَ وَهلَةٍ	وَما دَخَلَت لَحماً وَلا لامَسَت عَظما
تَوارَدَ وَالناعي فَأَوجَستُ رَنَّةً	كَلاماً عَلى سَمعي وَفي كَبِدي كَلما
فَما هَتَفا حَتّى نَزا الجَنبُ وَاِنزَوى	فَيا وَيحَ جَنبي كَم يَسيلُ وَكَم يَدمى
إِذا طُوِيَت بِالشُهبِ وَالدُهمِ شَقَّةٌ	طَوى الشُهبَ أَوجابَ الغُدافِيَّةَ الدُهما
وَلَم أَرَ كَالأَحداثِ سَهماً إِذا جَرَت	وَلا كَاللَيالي رامِياً يُبعِدُ المَرمى
وَلَم أَرَ حُكماً كَالمَقاديرِ نافِذاً	وَلا كَلِقاءِ المَوتِ مِن بَينِها حَتما [1]

إن الأبيات سابقة الذكر تبين مرارة الغربة ، فهذه الأبيات أنشأها شوقي وهو في منفاه عندما وصله خبر وفاة أمه عام ١٩١٨م ، فلم يتمالك نفسه من الحزن ، ففقدان الأحبة في حد ذاته أمر ثقيل على النفس ؛ وهل أحب على القلب من الأم ؟! إن شوقي في هذه الأبيات يشعر بألم الفراق ومرارة البعد عمن يحب وقد وارى الموت أقربهم لقلبه وهو في المنفى .

ينظر شوقي إلى الموت بأنه أمر يجب على الإنسان أن يتعظ منه فهو ينطلق من قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : " كفى بالموت واعظاً "[2] ، ويجسد ذلك صراحة في حديثه عن الموت فيقول : (الهزج)

---

(١) الشوقيات : ص٥٤٨ – ٥٤٩ .

(٢) الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق/ يوسف النبهاني ، دار الفكر – بيروت / لبنان – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م ، ط١ ، ٢/٢٩٨ .

أرى المـــــوتَ علـــــى الغبــــرا ... هـــــوَ الجامعـــــــةُ الكبـــــرى
هـــو الـــــدربُ إلـــــى الـــــدنيا ... هـــو الـــدرب إلـــى الأخـــرى
فـــإن لـــم يـــكُ غيـــرَ المـــو ... تِ مـــــن عاقبـــــة تُـــــدرى
ولا مــــــا يمنـــــعُ المـــــوتَ ... ولا مــــا يـــــصلُ العُمـــــرا[1]

لقد أكثر شوقي في الأبيات السابقة من ذكر الموت ، فلم يخلُ بيت منها من ذكره أو الإشارة إليه ، وهذا راجع إلى الجانب النفسي في حياة شوقي ، المتأثر بما يواجهه من أزمات ومتغيرات تلقي بظلالها على إحساسه بالاغتراب .

ويقول في يوم وفاة والده وكان يوم ميلاد ابنته أمينة ، حيث يذكر حال الدنيا أنها غير ثابتة ، وبها العبر والعظات : (السريع)

يـــا لَيلَـــةً سَـــمَّيتُها لَيلَتـــي ... لِأَنَّهـــا بِالنـــاسِ مـــا مَـــرَّتِ
أَذكُرُهـــا وَالمَـــوتُ فـــي ذِكرِهـــا ... عَلـــى سَـــبيلِ البَـــثِّ وَالعِبـــرَةِ
لِـــيَعلَمَ الغافِـــلُ مـــا أَمـــسُهُ ... مـــا يَومُـــهُ مـــا مُنتَهـــى العيـــشَةِ
هَـــذا فَتـــىً يُبكـــى عَلـــى مِثلِـــهِ ... وَهَـــــذِهِ فـــــي أَوَّلِ النَـــــشأَةِ
وَتِلـــكَ فـــي مِـــصرَ عَلـــى حالِهـــا ... وَذاكَ رَهـــنُ المَـــوتِ وَالغُربَـــةِ[2]

الموت هادم اللذات ومفرق الجماعات ، هذا الإحساس عندما يخيم على المرء يشعر بأن الدنيا لا مخلد فيها وأننا إلى زوال ، عبر شوقي عن هذا الإحساس بقوله : (الخفيف)

بَطَـــلُ المَـــوتِ فـــي الرِوايَـــةِ رُكـــنٌ ... بُنِيَـــت مِنـــهُ هَـــيكَلاً وَفُـــصولا
كُلَّمـــا راحَ أَو غَـــدا المَـــوتُ فيهـــا ... سَـــقَطَ الـــسِترُ بِالـــدُموعِ بَلـــيلا
ذِكرَيـــاتٌ مِـــنَ الأَحِبَّـــةِ تُمحـــى ... بِيَـــدٍ لِلزَمـــانِ تَمحـــو الطُلـــولا
كُـــلُّ رَســـمٍ مِـــن مَنـــزِلٍ أَو حَبيـــبٍ ... سَـوفَ يَمـشي البِلـى عَلَيـهِ مُحـيلا[3]

---

(١) الشوقيات : ص٢٩٤ .
(٢) السابق : ص١٩٣ .
(٣) السابق : ص٤٩٠ .

فالموت حق على كل البشرية ، فهو نهاية كل إنسان ، فمهما لها وتمتع بخيرات الدنيا لابد له من أن يذوق طعم الموت ، يقول شوقي في ذلك : (الكامل)

والمـــوت حـــق فـــي البريـــة قـــاهر ... عجبـــــي لحـــــق قـــــام باســـــتبدادِ
لا جـــد إلا المـــوت والإنـــسان فـــي ... لعـــــب الحيــــاة ولهوهــــا متمــــادِ
مـــن ذم مـــن وردِ الـــشبيبة شـــوكه ... حمـــل المـــشيب إليـــه شـــوك قتـــادِ
حـــرص الرجـــال علـــى حيـــاة بعـــدها ... حـرص الـشحيح علـى فـضول الـزادِ (١)

نرى إحساس شوقي بألم الفراق والشعور بالوحدة والاغتراب بعد فراق أبيه ، وذلك في قصديته التى رثى فيها أباه ، فيقول : (الرمل)

لَيــــتَ شِـــعري هَـــل لَنـــا أَن نَلتَقـــي ... مَـــــرَّةً أَم ذا اِفتِـــــراقُ المَلَـــــوَين(٢)

ويخاطب أيام الصبا ، تلك اللحظات الجميلة في حياته ، عندما رأى الشيب يغزو حياته، فينشئ الأبيات الآتية : (الطويل)

أقـــول لأيـــام الـــصبا كلمـــا نـــأتْ ... أمـــا لـــكَ يـــا عهـــدَ الـــشباب مُعيـــدُ
وكيـــف نـــأَتْ والأَمـــسُ آخـــرُ عهـــدِها ... لأمـــــسُ كبـــــاقي الغـــــابرات عهيـــــدُ
جزعـــتُ ، فراعتنـــي مـــن الـــشيبِ بـــسمةٌ ... كـــأني علـــى دَرْبِ المـــشيبِ لَبيـــدُ
ومـــن عبـــث الـــدنيا ومـــا عبثـــت ســـدىً ... شـــببنا وشـــبنا والزمـــانُ وليـــدُ (٣)

وعندما دنا أجل شوقي بدأ يشعر بالاغتراب الحقيقي ، اغتراب المفارق لهذه الدنيا ، فأخذ ينصح أبناءه بأن الدنيا فانية ، وألا يغروا بها حيث يقول : (الوافر)

كـــأني بالحِمـــام أصـــابَ رُكنـــي ... فمـــــالَ وأيُّ رُكْـــــنٍ لا يميـــــلُ
وأدْرَكَنـــي ونَجْـــمُ صِـــبايَ عـــالٍ ... فَخَـــــرَّ الـــــنَّجمُ وازدَوَجَ الأُفُـــــولُ
فـــلا يغْرُرْكُمـــا وَلَـــدَيَّ بعـــدي ... زُهـــا الـــدُّنيا ومنظرُهـــا الجميـــلُ(٤)

---

(١) الشوقيات : ص٢٤٨ .
(٢) السابق : ص٧٠٨ .
(٣) السابق : ص٢٤٤-٢٤٥ .
(٤) السابق : ص٥١٢ .

نعم ، هذا الشعور الذي غزا فكر الشاعر وأحاسيسه جعل اللسان ينطق بتلك النصائح الثمينة التي تظهر حكمة شوقي ؛ لأنه بدأ يقطف ثمار تجاربه في الحياة ، فها هو يستنكر على أهله صمتهم وهدوءهم وهو طريح فراش الموت فيقول في ذلك : (البسيط)

يـا وَيــحَ أَهلِــيَ أَبلــى بَــينَ أَعيُــنِهِم وَيَـدرُجُ المَـوتُ فـي جِـسمي وَأَعـضائي

وَيَنظُــرونَ لِجَنــبٍ لا هُــدوءَ لَــهُ عَلـى الفِـراشِ وَلا يَـدرونَ مـا دائـي (١)

إن شعور شوقي بدنو الأجل في مرضه الأخير أظهر جلياً تلك الغربة التي سيطرت عليه في نهاية العمر ، فجعل يعبر عن تلك الأحاسيس في قصائد أو ضمن أبيات محددة .

لقد ألقى الجانب النفسى بظلاله على إحساس شوقي بالاغتراب ؛ فطفق يعبر عما يسيطر على تفكيره ووجدانه ، وعما يجول في صدره ، من أسى وحزن يذكرها في الأبيات الآتية، فيقول: (السريع)

الخَــدُّ مِــن دَمعــي وَمِــن فَيــضِهِ يَــشرَبُ مِــن عَــينٍ وَمِــن جَــدوَلِ

وَالــشَوقُ نــارٌ فــي رَمــادِ الأَســى وَالفِكــرُ يُــذكي وَالحَــشا يَــصطَلي

وَالقَلــبُ قَــوّامٌ عَلــى أَضــلُعي كَأَنَّــهُ النــاقوسُ فــي الهَيكَــلِ (٢)

يشعر شوقي بالوحدة ، والفراق لمن أحبهم ، وأن الليالي أبعدتهم عنه ، فيتذكر الليالي الجميلة التي عاشها معهم ، ويحن لتلك الأيام ، فيبكي هذه الليالي التي مرت مرور البرق فينشئ مجموعة من الأبيات منها : (الكامل)

أَبكــي لَياليَنــا القِــصارَ وَصُــحبَةً أَخَــذَت مُخيلَتُهــا تَجــيشُ وَتَبــرُقُ (٣)

ويقول أيضاً في تحمله مصائب الدهر : (البسيط)

صَـبراً عَلـى الـدَهرِ إِن جَلَّـت مَـصائِبُهُ إِنَّ المَـصائِبَ مِمّـا يـوقِظُ الأُمَمـا (٤)

---

(١) الشوقيات : ص٥٣٢ .

(٢) السابق : ص٥٣٢ .

(٣) السابق : ص٤٥٠ .

(٤) السابق : ص٥٧٣ .

لا يقف شوقي عند هذا الحد في وصفه لحالته النفسية ، بل يصل به الأمر إلى التضرع لله – تبارك وتعالى – بأن يخفف عليه ما يعاني ، وأن يعينه على الصبر ويأتي له بالفرج ؛ لأن الدنيا ضاقت عليه ، حيث يقول في أكثر من موضع داعياً الله – جلَّ وعز – : (الرجز)

يـــــا ربَّنـــــا الخطـــــبُ جليـــــلْ ... فَكـــــنْ مُعينـــــاً يـــــا جليـــــلْ
وأعطِنـــــا الـــــصبرَ الجميـــــل ... يـــا خيـــرَ مَـــنْ يُـــولي الجَميـــل
فَـــــسُقْ إلينـــــا الفَرَجـــــا ... فمـــــا عليـــــك مُـــــستحيل [1]

تجعل الحالة النفسية المرء يفكر في أمور كثيرة ، تخيم الحيرة على تفكيره وخياله ، وذلك بسبب الإحساس بالعزلة في مجتمع متقلب ، لا تضبطه السلوكيات ، مجتمع متغير من حال إلى حال ، فشوقي يعبر عن ذلك في قصيدة له بعنوان (حيران) ، يذكر همومه التي منعته النوم ، وسيطرت عليه الأحزان ، ومن هذه القصيدة الأبيات الآتية : (الكامل)

ذادَ الكَـــرى عَـــن مُقلَتَيـــكَ حِمـــامُ ... لَبّـــاهُ شَـــوقٌ ســـاهِرٌ وَغَـــرامُ
حَيـــرانُ مَـــشبوبُ المَـــضاجِعِ لَيلُـــهُ ... حَـــربٌ وَلَيـــلُ النـــائِمينَ سَـــلامُ
بَـــينَ الـــدُجى لَكُمـــا وَعادِيَـــةِ الـــدُجى ... مُهَـــجٌ تُؤَلِّـــفُ بينَهـــا الأَســـقامُ
تَتَعاوَنـــانِ وَلِلتَعـــاوُنِ أُمَّـــةٌ ... لا الـــدَهرُ يَخـــذُلُها وَلا الأَيّـــامُ
يـــا أَيُّهـــا الطَيـــرُ الكَثيـــرُ سَـــميرُهُ ... هَـــل ريـــشَةٌ لِجَناحيـــهِ فَيُقـــامُ
عانَقـــتَ أَغـــصاناً وَعانَقـــتُ الجَـــوى ... وَشَـــكَوتَ وَالـــشَكوى عَلَـــيَّ حَـــرامُ
أَمُحَـــرِّمَ الأَجفـــانِ إِدنـــاءَ الكَـــرى ... يَهنيـــكَ مـــا حَرَّمَـــت حـــينَ تَنـــامُ [2]

ويخاطب قلبه في قصيدة أخرى بألا يجزع لمتغيرات الدنيا ، وأن يصبر على حوادث الدهر ، فحوادث الدهر مستمرة ما استمرت حياة الإنسان ، فيقول : (الكامل)

عَمَـــدَت إِلـــى قَلبـــي بِـــسَهمٍ نافِـــذٍ ... فيـــهِ لِمَحتـــومِ القَـــضاءِ سِـــهامُ
يـــا قَلـــبُ لا تَجـــزَع لِحادِثَـــةِ الهَـــوى ... وَاِصـــبِر فَمـــا لِلحادِثـــاتِ دَوامُ
عَرَفَـت قُلـوبُ النـاسِ قَبلَـكَ مـا الجَـوى ... وَأَذاقَهـــا قَـــدَرٌ لَـــهُ أَحكـــامُ

---

(١) الشوقيات : ص٥٤٠ .
(٢) السابق : ص٥٩٧ .

مـــا كُنـــتُ أَعلَـــمُ وَالحَـــوادِثُ جَمَّـــةٌ   أَنَّ الحَـــــوادِثَ مُقلَـــــةٌ وَقَـــــوامُ[1]

ويقول أيضاً في معرض حديثه عن تغير الأحوال واختلافها : (الكامل)

يــا طيــر مالــك لا تهــيج لــك الجــوى   نـــسمات أســـحار خطـــرن رِقـــاقُ

مـــات الحَمُـــولى والغَـــرامُ فـــلا الـــصِّبا   فـــي العـــالمينَ صِـــبًا ولا العـــشاقُ [2]

إن الحزن عندما يملأ حياة الإنسان يشعر بألم نفسي عميق ، ويؤثر هذا على مجرى حياته، فالقلب يدمع والليل يصبح طويلاً حيث يقول شوقي في ذلك قصيدة مطلعها (القلب يذوب) : (الكامل)

قَلـــــبٌ يَـــــذوبُ وَمَـــــدمَعٌ يَجـــــري   يـــا لَيـــلُ هَـــل خَبَـــرٌ عَـــنِ الفَجـــرِ

حالَـــــت نُجومُـــــكَ دونَ مَطلَعِـــــهِ   لا تَبتَغـــــي حِـــــوَلاً وَلا يَـــــسري

وَتَطاوَلَـــت جُنحـــاً فَخُيِّـــلَ لـــي   أَنَّ الـــصَباحَ رَهينَـــةُ الحَـــشرِ [3]

ويخاطب شوقي الزمان الذي غمر الحياة الاجتماعية بالمصائب في ذاك العصر في مجموعة من الأبيات مخاطباً فيها الزمان أن يخفف من وطأته على الناس ، فمصائبه تنسف الجبال فكيف بالإنسان ؟! حيث يقول :

قـــل لِلزَّمـــانِ يـــصُبُّ مِـــن أحْداثِـــهِ   أوْ لا يـــصُبُّ فمـــا بِنـــا إشْـــفاقُ

غَمَـــرَتْ مـــصائبُه فأغرَقَنـــا بهـــا   والغَمْـــرُ فيـــهِ تَـــستَوي الأعمـــاقُ

لا بُـــدَّ مـــن يـــومٍ تميـــدُ لِهَولِـــهِ   شُـــمُّ الْجِبـــالِ وتُظْلَـــمُ الآفـــاقُ

فهنـــاكَ إمَّـــا طالـــتِ الأعنـــاقُ مـــا   طالـــت وإمـــا زالَـــتِ الأعنـــاقُ[4]

يصل شوقي إلى قناعة أن الدهر مختلف ومتقلب ، وأنه غير ثابت ، فالزمان يعطيك أياماً تسعدك وتفرحك وستأتيك أزمان تشغلك بمصائبها ، لذلك على المرء أن يتأقلم مع هذا الأمر

---

(١) الشوقيات : ص٥٧٥ .

(٢) السابق : ص٤٤٨ .

(٣) السابق : ص٥٧٥ .

(٤) السابق : ص٤٤٥ .

فهناك أيام جميلة تمر عليه ، وأيضاً أيام مريرة ، فعليه أن يكون ابن يومه ، وألا يكدر حياته بتغيرات الدهر ، فيقول : (الوافر)

وأعلَـــــمُ أنَّ للـــــــدَّهرِ اختِلافــــــاً وأنَّ الجـــــدَّ يَـــــنهضُ أو يَـــــزِلُّ

وأنَّ الـــــنَّفسَ لِلإنــــسانِ كــــلٌّ إذا بقيــــت عليـــــه وزالَ كُــــلُّ

عَرَفـــت ســـجيةَ الـــدنيا فـــدعها تَمُـــرُّ علـــى ســـجيتها وتحلـــو[1]

ويقول شاكياً حزنه وباثاً شجونه ، وإحساسه بالألم في واقع مرير : (الطويل)

أتـشغلُ قلبـي الـراحُ عـن بعـضِ مـا بـه وأشـــغالُ قلبــي لــو علمــت كثيــرُ

ومُــضْطربٍ لا يهــدأُ الأَيــكُ تحتَــهُ لَــهُ مثــلُ مــا بــي أنَّــةٌ وزفيــرُ

بــرى البــين ظُفريــه وأذهــب ريــشه وهـــدّ جناحيـــه فكيـــف يطيـــرُ

يكـــاد يلـــين الجـــذع مـــن زفراتـــه وييـــبس منهـــا الفـــرع وهـــو نـــضيرُ

كلانـــا غريـــب فـــي المـــضاجع ليلـــه طويـــل وليـــل العـــالمين قـــصيرُ

أقـــول لـــه والغُـــدر بينـــي وبينـــه ومـــن مـــدمعينا جـــدول وغـــديرُ [2]

أما الاغتراب ذو المنشأ السياسي والديني ، فيتمثل في تأثر شوقي بما يجري حوله ، وأكثر ذلك فيما يخص الشؤون الإسلامية آنذاك ، فالحقبة التي عاشها شوقي كانت مليئة بالأحداث السياسية ، فمع بوادر الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م بدأت الأحوال تتغير في مصر والعالم العربي والإسلامي ، فالإنجليز عزلوا الخديوي عباس حلمي الثاني الذي كان شوقي مقرباً منه ، بل إنَّ شوقي يعتبر لسان الخديوي ، وعينوا مكانه السلطان حسين كامل الذي عرف بتقربه من الإنجليز ، فيعبر شوقي عن شعوره بالألم فيقول : (الكامل)

وهـــوَ العلـــيمُ بـــأنَّ قلبـــيَ موجَـــعٌ وَجَعـــاً كَـــداءِ الثَّـــاكلاتِ دَخـــيلا[3]

---

(١) الشوقيات : ص٥٠٢ .

(٢) السابق : ص٣٢٧ .

(٣) السابق : ص٤٤٥ .

فالأمر يأخذ قلب شوقي كل المأخذ ، فيطلق لقلمه العنان ليعبر عن أصعب فترات حياته إبان الحرب العالمية الأولى ، فهو لا يريد أن يسمع ذكراها ؛ لأنها ملأت الدنيا جحيماً وعذاباً ، حيث يقول في ذلك : (الكامل)

لا تـــذكُرَنَّ الحـــربَ أو أهوالهـــا ... إلا بقلـــبٍ خاشِـــعٍ يَتَوَجَّـــعُ

وَاذْرِفْ علـى القلـبِ الـدُّموعَ فكُلُّكُـمْ ... فـــي آدَمٍ أهْـــلٌ وآدَمُ يَجْمَـــعُ(١)

لكن الهم الأكبر الذي أثر كثيراً على شوقي ، وجعله يشعر بالاغتراب الحقيقي هو سقوط الخلافة الإسلامية على يد مصطفى أتاتورك ، فشوقي كان المدافع الأول عن تلك الخلافة ، وذلك لكثرة قصائده فيها ، ومما يظهر آلام الاغتراب في هذا المجال قصيدته في الخلافة بعنوان (خلافة الإسلام) التي أنشأها بعدما ألغى مصطفى أتاتورك الخلافة ونفى الخليفة ، فيقول شوقي : (الكامل)

عـادَت أَغـاني العُـرسِ رَجـعَ نُـواحِ ... وَنُعيـــتِ بَـــينَ مَعـــالِمِ الأَفـــراحِ

كُفِّنـتِ فـي لَيـلِ الزَفـافِ بِثَوبِـهِ ... وَدُفِنـــتِ عِنـــدَ تَـــبَلُّجِ الإِصـــباحِ

شُـيِّعتِ مِـن هَلَـعٍ بِعَبـرَةِ ضـاحِكٍ ... فـــي كُـــلِّ ناحِيَـــةٍ وَسَـــكرَةِ صـــاحِ

ضَـجَّت عَلَيـكِ مَـآذِنٌ وَمَنـابِرٌ ... وَبَكَـــت عَلَيـــكَ مَمالِـــكٌ وَنَـــواحِ (٢)

نعم ، إن الأسى الذي سيطر على شوقي لما حدث جعله يعبر أصدق تعبير على الحادثة التي هزت كيان العالمين : العالم العربي والإسلامي ، فالكل حزين يعتصره الألم على هذه المصيبة التي لا عزاء لها.

فسقوط الخلافة أسدل الستار عن إحساس شوقي ، هذا الإحساس الصادق الذي ما فتئ يستنهض الهمم من أجل إرجاع هذه الخيمة العظيمة التي كانت تظل المسلمين بظلها ، وتجمعهم بفيها ، فيقول شوقي مجموعة من الأبيات في بعض المؤتمرات التي عُقِدت لإرجاع الخلافة ، حيث عُقِد مؤتمر بالقاهرة وآخر بمكة : (الكامل)

بَعَثُـوا الخِلافَـةَ سِـيرةً فـي النَّـادِي ... أيـــنَ المُبايـــعُ بالإمـــامِ يُنَـــادي

مَـنْ بَـاتَ يَلـتمسُ الخِلافـةَ فـي الكَـرَى ... لـــم يَلـــقَ غيـــرَ خِلافَـــةِ الـــصَّيَّادِ

---

(١) الشوقيات : ص٤١٥ .

(٢) السابق : ص٢٠٣-٢٠٤ .

اليـــوم لاسمـــر الرمـــاح بعـــدة | تغنـــي ولا بيـــض الظُّبـــا بعتـــادِ
هيهـــات عـــز سبيلهـــا وتقطعـــت | دون المـــراد وسائـــل المرتـــادِ
حلـت علـى ذهـبِ المعـز طلاسـمٌ | ومـشت علـى سـيف المعـز عـوادي
أيـــن الكرامـــة والوقـــار لجثـــة | نبـشوا عليهـا القبـر بعـد فـسادِ (١)

إنَّ الملاحظ في الأبيات السابقة يرى كمية الأحزان الكامنة في قلب شوقي بسبب سقوط الخلافة، ويرى بكاءه على صرح الخلافة الذي تعرض للهدم بإيعاز من قوى الكفر والطغيان ، ورثاءه المر لما وصل إليه حال الأمة الإسلامية بعد ضياع الخلافة ، فهذا مصاب جلل أحاط بالمسلمين وبوحدتهم ، كل ذلك جعل شوقي يستنهض همم الغيورين على الدين بقوله : " أينَ المُبايعُ بالإمامِ يُنَادي " ، وفي الأبيات السابقة يذكِّر المسلمين بعزهم ومجدهم التليد ، تلك الأيام التي ساد فيها المسلمون مشارق الأرض ومغاربها ، وأصبحوا منارة العلم وملجأ العلماء ، كل ذلك جعله شوقي مرتبطاً بالخلافة ، فمن المسلَّم به أنَّ شعور الاغتراب ملأ وجدان شوقي فكان وقعه عليه كالصخرة العظيمة المنحدرة من علو على صدره .

ويقول شوقي في حادثة أخرى عندما سقطت (أدرنة) وهي مدينة استولى عليها البلغار عام ١٩١٢ م ثم أعيدت تحت الحكم التركي عام ١٩٢٣ م : (الكامل)

يـــا أُخـــتَ أَنـــدَلُسٍ عَلَيـــكِ سَـــلامُ | هَـــوَتِ الخِلافَـــةُ عَنـــكِ وَالإِســـلامُ
نَـــزَلَ الهِـــلالُ عَـــنِ الـــسَماءِ فَلَيتَهـــا | طُوِيَـــت وَعَـــمَّ العـــالَمينَ ظَـــلامُ
جُرحـــانِ تَمـــضي الأُمَّتـــانِ عَلَيهِمـــا | هَـــذا يَـــسيلُ وَذاكَ لا يَلتـــامُ
بِكُمـــا أُصـــيبَ المُـــسلِمونَ وَفيكُمـــا | دُفِـــنَ اليَـــراعُ وَغُيِّـــبَ الصَمـــصامُ (٢)

لقد جعل شوقي من نفسه مدافعاً عن هموم أمته العربية ، فبعد رجوع شوقي من المنفى أخذ على عاتقه أن يكون لسان قومه ، وذلك من خلال الوقوف بجانب أمته العربية في السراء والضراء ، فكانت الحوادث التي تمر بأي قطر عربي ترخي بظلالها على إحساس شوقي وشعوره، ويتفاعل معها بصدق معبراً بألم وحرقة لما يشعر به تجاه تلك الحوادث ، والأمثلة على

(١) الشوقيات : ص٢٦٧ .
(٢) السابق : ص٥٩٣ .

ذلك كثيرة في شعره ، فيقول وقلبه يعتصر ألماً لما حدث لدمشق وما فعله الفرنسيون في أهلها عام ١٩٢٦م : (الوافر)

سَـلامٌ مِـن صَـبا بَـرَدى أَرَقُّ ... وَدَمـعٌ لا يُكَفكَـفُ يـا دِمَـشقُ
وَمَعـذِرَةُ اليَراعَـةِ وَالقَـوافي ... جَـلالُ الـرُزءِ عَـن وَصـفٍ يَـدِقُّ
وَبـي مِمّـا رَمَتـكِ بِـهِ اللَيـالي ... جِراحـاتٌ لَهـا فـي القَلـبِ عُمـقُ (١)

ويقول في نكبة بيروت عندما ضربها الأسطول الطلياني : (الكامل)

يـا رَبِّ أَمـرُكَ فـي المَمالِـكِ نافِـذٌ ... وَالحُكـمُ حُكمُـكَ فـي الـدَمِ المَـسفوكِ
بَيـروتُ مـاتَ الأُسـدُ حَتـفَ أُنـوفِهِم ... لَـم يُـشهِروا سَـيفاً وَلَـم يَحمـوكِ
سَـبعونَ لَيثـاً أُحرِقـوا أَو أُغرِقـوا ... يـا لَيـتَهُم قُتِلـوا عَلـى طَبَـروكِ (٢)

أما عن الاغتراب الاجتماعي الذي عاناه شوقي فيما يخص حال المسلمين ، وتركهم شريعة رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم – فيقول : (البسيط)

وقَـوْمَ أحمـدَ قـدْ ضَـلُّوا شـريعَتَه ... وضَـيَّعُوا كُـلَّ إسـلامٍ وإيمـانِ (٣)

إنَّ التغيرات التي أصابت الأمة الإسلامية لم يستطع شوقي السكوت عنها ، فآثارها أشعلت في صدره ناراً عندما رأى خير أمة أخرجت للناس تبتعد عن الطريق الذي رسمه الله (عز وجل) لها ، فالقوم لم يلتزموا بتعاليم دينهم ، فلا إسلام باقٍ ولا إيمان .

يلاحظ مما سبق أن الغربة الداخلية عند شوقي متمثلة في عدة نواحٍ ، عبر عنها ضمن قصائده المتناثرة بين ثنايا ديوانه ، فشعوره بالاغتراب تركز في ذكره للموت وتعبيره المستمر عن ذلك في رثاء عدد كبير من الشخصيات ، وأيضاً الحالة النفسية عنده ونظرته لما يحدث معه ، وكل إنسان يتأثر بواقعه ، فوجدنا عدداً من الأبيات التي تحمل مضمون الاغتراب ذي المنشأ النفسي ، كما كان للواقع السياسي للعالم الإسلامي والعربي ومتغيرات الدنيا التي لا تثبت على حال أثر على شعوره بالوحدة .

---

(١) الشوقيات : ص٤٤٦ .
(٢) السابق : ص٤٦٩ .
(٣) السابق : ص٧١٣ .

الغربة الخارجية :

تختلف الغربة الخارجية عن الغربة الداخلية (الاغتراب) فالمرء فيها يشعر بألم الفراق عمن يحبهم من أهل ووطن وأصدقاء ، فالغربة الخارجية الألم فيها كبير ؛ لأن الإنسان مجبر عليها ، فشوقي عندما نفي إلى أسبانيا بدأت مرحلة جديدة في حياته ، مرحلة قلبت الموازين في كيان هذا الشاعر ، فراح يصدح بأقوى الأشعار في شوقه للوطن وحنينه له .

عاش شوقي تجربة الغربة عن الوطن مراتٍ عديدة ، وكان ذلك في بداية حياته عندما سافر لطلب العلم في فرنسا ، ومنها إلى بريطانيا وزيارته التاريخية للجزائر عندما كان مريضاً ، ورحلاته المتكررة مندوباً عن الحكومة المصرية في المؤتمرات التي عقدت في بلاد أوروبا ، وكذلك مرافقته أحياناً للخديوي عباس في زياراته للآستانة في تركيا ؛ لكن تجربة الغربة تلك كانت بمحض إرادته ، فغربته محدودة الأجل ؛ لذلك لم تنتج قريحته الشعرية أدباً خلال تلك الفترات يبين مدى إحساسه بالغربة، وشعوره بالأم والمرارة لفراق أهله ووطنه .

لقد ذاق شوقي مرارة الغربة منذ ركوبه البحر متجهاً إلى منفاه في أسبانيا ، ومنذ اللحظة الأولى بدت عليه ملامح الأسى والحزن ؛ لأنه يعرف أن مقامه سيطول في تلك البلاد ، فيقول شوقي في ذلك : (الخفيف)

وَسَـلا مِـصرَ هَـل سَـلا القَلـبُ عَنهـا ... أَو أَسـا جُرحَـهُ الزَمـانَ المُؤَسّـي

كُلَّمـا مَـرَّتِ اللَيـالي عَلَيـهِ ... رَقَّ وَالعَهـدُ فـي اللَيـالي تُقَسّـي

مُـستَطارٌ إِذا البَـواخِرُ رَنَّـت ... أَوَّلَ اللَيـلِ أَو عَـوَت بَعـدَ جَـرسِ[1]

لقد سببت الغربة جرحاًغائراً في قلب شوقي ، يزداد كلما طال بعده عن مصر ويزيد من شوقه وحنينه ، فالقلب لم ينسها بل إنَّه يستطار عندما يسمع صوت البواخر قادمة ، لعلها تصحبه معها عائدة به إلى الوطن الغالي .

عندما نزل شوقي في إسبانيا – وكان مقامه على إحدى شواطئها – اشتعلت بداخله نار الحنين إلى الوطن والشوق له ، وأخذت الغربة منه كل مأخذ ، فيخاطب البحر بينما هو سائر على الشاطئ ، ويرى السفن تغدو وتروح تنقل المسافرين والبضائع ، فليس باستطاعته الصعود إلى إحداها لتحمله إلى وطنه ، وكأن الذنب يعود إلى البحر الذي تتحرك فوقه السفن ؛ فيقول : (الخفيف)

(١) الشوقيات : ص٣٨٤ .

يـــا ابنَــــةَ الــيَمِّ مـــا أَبــوكِ بَخيــلٌ   مـــا لَـــهُ مولَعـــاً بِمَنـــعٍ وَحَـــبسِ[1]

أَحـــــرامٌ عَلـــــى بَلابِلِـــــهِ الـــــدَو   حُ حَـــلالٌ لِلطَيـــرِ مِـــن كُـــلِّ جِـــنسِ

كُـــــلُّ دارٍ أَحَـــــقُّ بِالأَهـــــلِ إِلّا   فــي خَبيــثٍ مِــنَ المَــذاهِبِ رِجــسِ [2]

إن الحياة التي عاشها شوقي امتازت براحة البال والهدوء والطمانينة ؛ لأنه عاش في كنف القصر والسلطة ، فكم جلس على النيل وتمتع بجماله الساحر ، كل تلك الخواطر تركت أثراً عميقاً في قلب الشاعر ، يتذكر ذلك وقت الغربة فتثار عواطفه فينشئ الأبيات الآتية: (البسيط)

هِجــتُنَّ لــي لَوعَــةً فــي القَلــبِ كامِنَــةً   وَالجُـــرحُ إِن تَعتَرِضـــهُ نَـــسمَةٌ يَثُـــرِ

ذَكَــرتُ مِــصرَ وَمَــن أَهــوى وَمَجلِـسَنا   عَلــى الجَزيــرَةِ بَــينَ الجِــسرِ وَالنَهَــرِ

وَاليَـــومُ أَشـــيَبُ وَالآفـــاقُ مُذهَبَـــةٌ   وَالــشَمسُ مُــصفَرَّةٌ تَجــري لِمُنحَــدَرِ [3]

يكتوي قلبه بنار البعد وألم الغربة فيخاطب الحمام خطاب العاشق المحب للوطن بعدما ضاقت عليه الدنيا ، يصرح بما يجول في صدره فيقول أجمل الأبيات في حب الوطن والتعلق به: (الطويل)

أَبُثُّـــكَ وَجـــدي يـــا حَمـــامُ وَأودِعُ   فَإِنَّـــكَ دونَ الطَيـــرِ لِلـــسِرِّ مَوضِـــعُ

وَأَنــتَ مُعــينُ العاشِــقينَ عَلــى الهَــوى   تَـــئِنُّ فَنُـــصغي أَو تَحِـــنُّ فَنَـــسمَعُ

أَراكَ يَمانِيّـــــاً وَمِـــــصرُ خَميلَتـــــي   كِلانـــا غَريـــبٌ نـــازِحُ الـــدارِ موجَـــعُ

هُمـــا اِثنـــانِ دانٍ فـــي التَغَـــرُّبِ آمِـــنٌ   وَنـــاءٍ عَلـــى قُـــربِ الـــدِيارِ مُـــروَعُ

وَمِــن عَجَــبِ الأَشــياءِ أَبكــي وَأَشــتَكي   وَأَنــتَ تُغَنّــي فــي الغُــصونِ وَتَــسجَعُ [4]

نرى مدى الألم المسيطر على شوقي في الأبيات السابقة ، فالعشق كله لمصر التي غُرِّب عنها وأبعد ، فوجع الغربة جعل البكاء ينهمر من عينيه ، وصقل ربة الشعر عنده لتعبر تعبيراً صادقاً عما يشعر به .

---

(١) في الديوان كتبت كلمة (يا ابنة) هكذا ، والصواب أن تكتب (يا بنة) لأنها وقعت بعد أداة نداء .

(٢) الشوقيات : ص٣٨٤ .

(٣) السابق : ص٣٤٤ .

(٤) السابق : ص٤١٣ .

ولعل أصدق تعبير عن الغربة الخارجية في شعر شوقي نجده في القصيدة الرائعة التي قالها في منفاه في أسبانيا بعنوان (أندلسية) هذه القصيدة اشتملت على أبيات عبرت عن الأسى والحزن الكبيرين داخل قلب الشاعر ، حيث تسيطر عليه ذكريات الأندلس ويشبه ما لقيته الأندلس من ضياع واندثار لماضي المسلمين التليد فيها ، وما لاقاه من غربة وضياع ، فكلاهما سلب منه ما يحب ، فجاء رثاء شوقي نفسه مراً قاسياً في مطلع تلك القصيدة قائلاً : (البسيط)

يَا نَائِحَ الطَلْحِ أَشْبَاهٌ عَوادِينَا ... نَشجى لِوادِيكَ أَم نَأسى لِوادِينَا

مَاذا تَقُصُّ عَلَينَا غَيرَ أَنَّ يَداً ... قَصَّت جَناحَكَ جالَت في حَواشِينا

رَمَى بِنَا البَينُ أَيكاً غَيرَ سامِرِنا ... أَخا الغَرِيبِ وَظِلّاً غَيرَ نادِينا

كُلٌّ رَمَتهُ النَوى رِيشَ الفِراقُ لَنا ... سَهماً وَسُلَّ عَلَيكَ البَينُ سِكّينا

إِذا دَعا الشَوقُ لَم نَبرَح بِمُنصَدِعٍ ... مِنَ الجَناحَينِ عَيٍّ لا يُلَبّينا

فَإِن يَكُ الجِنسُ يا اِبنَ الطَلحِ فَرَّقَنا ... إِنَّ المَصائِبَ يَجمَعنَ المُصابينا(١)

فشوقي هنا بدأ بالنداء ليفصح عمَّا بداخله ، فالبدء بالنداء يجذب انتباه السامع ليشاركه في المأساة التي يعيشها الشاعر ، وخاطب النائح ؛ لأنهما يشتركان في المأساة نفسها ، فكلاهما مبعد ومعذب ، فالمعاناة التي يعيشانها مريرة ، فما يزيد الشاعر ألماً أنه مقيم فوق أرض كانت للمسلمين ، وعمروها لثمانية قرون كانت من أزهى الأماكن في بلاد المسلمين ، وها هو نازح إلى هذا المكان العزيز على قلب كل مسلم ، فتوجع شوقي لا يوصف فالمأساة عظيمة ، والمصيبة كأنها مصيبتان وذلك واضح في قوله : (البسيط)

آهاً لَنا نازِحي أَيكٍ بِأَندَلُسٍ ... وَإِن حَلَلنا رَفيقاً مِن رَوابينا

رَسمٌ وَقَفنا عَلى رَسمِ الوَفاءِ لَهُ ... نَجيشُ بِالدَمعِ وَالإِجلالِ يَثنينا (٢)

عانى شوقي من سنوات النفي التي تحمل فيها ألم الغربة ، فأُجبر على الصبر والتحمل ، حيث يذكر صبره على ألم الغربة ، ويعبر عن النائبات التي حلت عليه بعد الرخاء والهناء في وطنه ، فيقول : (البسيط)

جِئنا إِلى الصَبرِ نَدعوهُ كَعادَتِنا ... في النائِباتِ فَلَم يَأخُذ بِأَيدينا

---

(١) الشوقيات : ص٦٨٠ .

(٢) السابق : ص٦٨١ .

وَمـــا غُلِبنـــا عَلـــى دَمـــعٍ وَلا جَلَـــدٍ   حَتّـــى أَتَتنـــا نَـــواكُم مِـــن صَياصـــينا
وَنـــــابِغيٍّ كَـــــأَنَّ الحَـــــشرَ آخِـــــرُهُ   تُميتُنـــــا فيـــــهِ ذِكـــــراكُم وَتُحيينـــــا [(١)]

فهمومـه كثيـرة حتـى أن الـدمع تحجـر فـي مقلتيـه ، فينـادي علـى الـصبر ؛ لكـن الـصبر لـم يسعفه، فالفراق والبعد قد غلبه فلم تستطع عينه على الدمع ، فأصبح ليله كليل النابغة الذبياني ليل طويل لكثرة همومه ، فالنابغة يقول في وصف الليل : (الطويل)

كِلينـــي لِهَـــمٍّ يـــا أُمَيمَـــةَ ناصِـــبِ   وَلَيـــلٍ أُقاســـيهِ بَطـــيءِ الكَواكِـــبِ
تَطـــاوَلَ حَتّـــى قُلـــتُ لَـــيسَ بِمُـــنقَضٍ   وَلَـيسَ الَّـذي يَرعـى النُجـومَ بِآيِـبِ [(٢)]

مـن أصـعب لحظـات الغربـة عنـدما تفقد شخـصاً عزيـزاً عليك وقـد طـواه المـوت ، وأنـت لا تستطيع أن تودعه بسبب نفيك خارج وطنك ، هذا ما حصل مع شوقي عندما فقد والدته وهو في المنفى ، فلـم يـستطع أن يودعهـا ، الأمـر الـذي تـرك مزيـداً مـن الأسـى بقلبـه ، وزاد مـن شـعوره بالغربـة ، فيبكـي أمـه فـي قـصيدة جسدت الآلام الغائرة في قلبـه ، يشكو فيهـا إلـى الله الغربـة التـي أبعدته عن أعز من في الوجود ؛ فيقول : (الطويل)

إِلـى اللَـهِ أَشـكو مِـن عَـوادي النَـوى سَـهما   أَصـــابَ سُـــوَيداءَ الفُـــؤادِ وَمـــا أَصـــمى
مِـــنَ الهاتِكـــاتِ القَلـــبَ أَوَّلَ وَهلَـــةٍ   وَمـا دَخَلَـت لَحمـاً وَلا لامَـسَت عَظمـا[(٣)]

تُعْرَف الأندلس بجمالها وسحر طبيعتها ومناظرها الخلابة التي قلما تجد في الكون مثيلاً لها؛ لكنَّ شوقي لا يذوق لذلك طعماً ، فمن نشأ بمصر وابتعد عنها عنوة لا يمكن أن ينسى أجواءها وحياتها الرغيدة ، فكل الجنـان لا تساوي هذا الوطن ، يبين شوقي ذلك في القصيدة نفسها التي بكى فيها أمه حيث يقول : (الطويل)

نَزَلـــتُ رُبـــى الـــدُنيا وَجَنّـــاتِ عَـــدنِها   فَمـا وَجَـدَت نَفـسي لِأَنهارِهـا طَعمـا [(٤)]

---

(١) الشوقيات : ص٦٨٠ .
(٢) ديوان النابغة الذبياني : ت/ عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٦ م، ص٢٩.
(٣) الشوقيات : ص٥٤٨ .
(٤) السابق : ص٥٥٠ .

بلغ إحساس شوقي بالغربة مبلغاً عظيماً ، فها هو يعاهد أهل مصر أنه باقٍ على العهد والتمسك بالوطن ، فالوطن مغروس في سويداء قلبه ، لا يستغني عنه رغم كل محاولات العدو لطمس تاريخه وتهجير أبنائه ، فيرسل شوقي برسالة لداود بركات رئيس تحرير جريدة الأهرام ، تحمل في طياتها حنيناً للوطن وتعبيراً عن آلام الغربة ، فيتمنى أن يشرب من النيل ويروي عطشه ويبل شوقه لوطنه ، فالماء لا طعم له بدون النيل ، ثم يتألم في آخر الرسالة بأن النيل أصبح بعيداً كل البعد عن أمنياته حيث يقول : (البسيط)

يـا سـاكني مِـصرَ إنّـا لا نَـزالُ علـى ... عَهْـدِ الوَفـاءِ وإنْ غِبْنـا مُقِيمِينَـا
هَـلاَّ بَعَثْـتُمْ لنـا مـن مـاءِ نَهـرِكُمُ ... شـيئاً نَبُـلُّ بـه أَحْـشاءَ صـادِينَا
كـلُّ المَناهِـلِ بَعـدَ النِّيـلِ آسِـنَةٌ ... مـا أَبْعَـدَ النِّيـلَ إلاّ عَـنْ أَمانِينَـا (١)

تترك هذه الأبيات جروحاً في قلب حافظ إبراهيم (شاعر النيل) الصديق المقرب لأحمد شوقي ، فينشئ مجموعة من الأبيات يبين مدى شوق مصر ونيلها لشوقي ، ويصفه بالبلبل المغرد الذي يطرب النيل وأهله ، فشوقي في القلب مهما فرقت بينهما المسافات ، وتحكم به المحتل الغاشم ، إن حافظ إبراهيم في هذه الأبيات يخفف من آلام شوقي ، ويشعره بأنه في قلوب المصريين ، وأن مصر لن تنساه ، وأنهم على العهد باقون ، قائلاً : (البسيط)

عَجِبـتُ لِلنيـلِ يَـدري أَنَّ بُلبُلَـهُ ... صـادٍ وَيَـسقي رُبـا مِـصرٍ وَيَـسقينا
وَاللَـهِ مـا طـابَ لِلأَصـحابِ مَـورِدُهُ ... وَلا اِرتَـضَوا بَعـدَكُم مِـن عَيـشِهِم لينـا
لَـم تَنـأَ عَنـهُ وَإِن فارَقـتَ شـاطِئَهُ ... وَقَـد نَأَينـا وَإِن كُنّـا مُقيمينـا (٢)

إن أبيات شوقي المرسلة ورد حافظ عليها تبين مدى قوة العلاقة بين هذين الشاعرين الكبيرين، فكلاهما يقاسي من ظلم المحتل وبطشه بمصر وأهلها ؛ لكن ألم الغربة المسيطر على شوقي يختلف عمن يقيم بداخله ، فنار الغربة يصعب السيطرة عليها ، لأن وقودها موجودة آثاره باقية أمام ناظري الشاعر ، فهذه الجراح لا يمكن أن تبرأ بسهولة ، وما هذه الأبيات إلا نتاج طبيعي لما يقاسيه الشاعر في غربته .

عاد شوقي من منفاه بعد خمس سنوات عانى فيها من ألم الغربة والحنين للوطن ، أنشأ الكثير من القصائد التي حملت بداخلها همومه وأحزانه ، فغلب عليها طابع الحالة النفسية لما

---

(١) الشوقيات : ص٦٨٨ .

(٢) السابق : ص٦٨٨ .

قاساه هناك ، كان المضمون لهذه القصائد واحداً ؛ لأنه خرج من معاناة واحدة ، فكانت العودة للوطن بمثابة عودة الروح للجسد ، أكمل شوقي بقية حياته في وطنه ؛ لكن الشعور بالغربة لم يفارق نفسه وشعوره ؛ لأن الفترة التي قضاها في الأندلس عاصرت أحداثاً جساماً مرت بها مصر، فكان ينتهز ذكرى هذه الأحداث ليطلق لقلمه العنان في التعبير عما يُكِنُّ من أحاسيس تجاه الوطن، ففي قصيدة الحرية الحمراء التي أنشأها في احتفالات يوم ١٣ نوفمبر لسنة ١٩٢٧م، في المهرجان السنوي لذكرى ثورة ١٩١٩ م ، بعث برسالة قلبه تجاه هذه الذكرى التي حرم من معايشتها حيث كان في منفاه ، فيقول : (الكامل)

يَـــومَ البُطولَـــةِ لَـــو شَـــهِدتُ نَهـــارَهُ لَنَظَمـــتُ لِلأَجيـــالِ مـــا لَـــم يُـــنظَمِ
غُبِنَـــتْ حَقيقَتُـــهُ وَفـــاتَ جَمالُهـــا بـــاعَ الخَيـــالِ العَبقَـــرِيِّ المُلهَـــمِ
لَـــولا عَـــوادي النَفـــيِ أَو عَقَباتُـــهُ وَالنَفـــيُ حـــالٌ مِـــن عَـــذابِ جَهَـــنَّمِ
لَجَمَعـــتُ أَلـــوانَ الحَـــوادِثِ صـــورَةً مَثَّلـــتُ فيهـــا صـــورَةَ المُستَـــسلِمِ
وَحَكَيـــتُ فيهـــا النيـــلَ كـــاظِمَ غَيظِـــهِ وَحَكَيتُـــهُ مُتَغَيِّظـــاً لَـــم يَكظِـــمِ (١)

هذه المرحلة التي طبعت مظاهر الأسى والحزن على حياة شوقي ، يراقب من بعيد ما يجري في وطنه ، ويتمنى أن يشارك هذا الوطن مقاومة المحتل ؛ لكن العدو أبعده عن مرابع طفولته ، وأزهى بقعة في المعمورة بالنسبة للشاعر ، فيذكر في تلك الأبيات هذه المرحلة التي منعته من التعبير عما يعانيه الوطن .

لقد اختار شوقي أسبانيا منفى له ، هذا البلد الجميل الذي يحمل عبقاً من تاريخ أمتنا الإسلامية في عصرها الذهبي ؛ لكن ألم الغربة أفسد عليه التمتع بجمال هذه المناظر الرائعة ، فشوقي لم ينسَ أن يقدم الشكر للأندلس عندما سمح له بالعودة إلى الوطن ، فأخذ يودع الأندلس بمجموعة من الأبيات التي تحمل الوفاء والعرفان حيث يقول : (الوافر)

وَداعـــاً أَرضَ أَنـــدَلُسٍ وَهَـــذا ثَنـــائي إِن رَضـــيتِ بِـــهِ ثَوابـــا
وَمـــا أَثنَيـــتُ إِلّا بَعـــدَ عِلـــمٍ وَكَـــم مِـــن جاهِـــلٍ أَثنـــى فَعابـــا
تَخِـــذتُكِ مَـــوئِلاً فَحَلَلـــتُ أَنـــدى ذُراً مِـــن وائِـــلٍ وَأَعَـــزَّ غابـــا
مُغَـــرِّبُ آدَمٍ مِـــن دارِ عَـــدنٍ قَـضاها فـي حِمـاكِ لِـيَ اغتِرابـا (٢)

(١) الشوقيات : ص٦٠٤-٦٠٥ .
(٢) السابق : ص١٠٥ .

تلك أبيات ترسم صورة من حياة شوقي التي جسدت الغربة أبعادها ، فشوقي متيم بالأندلس وبجمالها ؛ لكن إحساسه بالغربة وأنه مكره على البقاء فيها ترك في نفسه غصة من علقم منعته من التلذذ بهذا الجمال ، فلقد أبدى شوقي الثناء والشكر والعرفان لبلاد الأندلس التي ضمته في أحضانها خمس سنوات من غربته عن وطنه .

بعد سبع سنوات من انتهاء مأساة شوقي نجده يخرج بقايا آلامه التي تركتها الغربة غائرة في صدره ، فنسيان تلك المرحلة محال ، فقول شوقي : والنفي حال من عذاب جهنم ما هو إلا تفريغ لانفعالاته القديمة التي حرمته من وطنه خمس سنوات ، يبين من خلال تلك الأبيات أنه كان يتمنى مشاركة وطنه تلك الأحداث ؛ ليرسم بكلماته هذه الحوادث التي لا تنسى من تاريخ بلده ، فهذه القصيدة جزء من قصائد قالها شوقي بعد غربته ، حيث عبر عن الغربة بأبيات متناثرة في عدد من قصائده ، ففي مقتل أحد عشر طالباً مصرياً من طلاب بعثة للعلم في أوروبا عام ١٩٢٠ م سقطوا بسبب اصطدام للقطار هناك ، استقبلت البلاد جثامينهم استقبالاً حافلاً شاركت فيه جميع أطياف الشعب المصري ، حيث يقول ضمن هذه القصيدة أبيات عن الغربة وأحوالها ، (الطويل)

أَلا فــي سَــبيلِ اللَّـــهِ ذاكَ الــدَمُ الغــالي ... وَلِلمَجــدِ مــا أَبقــى مِــنَ المَثَــلِ العــالي
وَبَعــضُ المَنايــا هِمَّـــةٌ مِــن وَرائِهـــا ... حَيـــــاةٌ لِأَقـــــوامٍ وَدُنيـــــا لِأَجيـــــالِ
أَعَينَــــيَّ جـــودا بِالـــدُموعِ عَلـــى دَمٍ ... كَــريمِ المُــصَفّى مِــن شَــبابٍ وَآمــالِ
تَناهَـت بِـهِ الأَحـداثُ مِـن غُربَـةِ النَـوى ... إِلـى حـادِثٍ مِـن غُربَـةِ الـدَهرِ قَتّـالِ (١)

إن الغربة أخرجت الأحاسيس الكامنة داخل شوقي ، فالشعر يزدهر في الأحزان والآلام ، والنفي الذي تعرض له شوقي جعل ربة الشعر تشتعل داخل هذا الشاعر الكبير ، فأصبح شوقي بعد غربته يتأثر بكل إنسان مغترب قد ذاق من الغربة ألواناً ، حيث يقول في تكريم للموسيقار سامي الشوا : (البسيط)

ذكَّـــرتَ خَلْقـــاً وَراءِ البَحـــرِ مُغْتَرِبـــاً ... مَآلِفـــــاً وَصَـــــباباتٍ وَأَوْطَانـــــا (٢)

---

(١) الشوقيات : ص ٥٢٤.

(٢) السابق : ص ٦٩٦.

لقد عاش شوقي نوعين من الغربة ، كانت الغربة تلك واضحة جلية ، حيث عاشها في المنفى لمدة خمس سنوات ، امتلأت بتعابير وأحاسيس صادقة ومختلطة بالحرقة والألم ، وظهرت ضمن مجموعة قصائد أنشأها في الأندلس المسماة بالأندلسيات ، حيث اشتملت على خليط من مشاعر الغربة والحنين للوطن ، وذكر لماضي الأندلس إبان الحكم الإسلامي فيها ، فجاءت أبياتها معبرة عن إحساسه بالغربة في المنفى ، ورفضه الواقع المرير الذي يعيشه ، وبعض الأبيات التي قالها بعد عودته للوطن والتي اشتملت على معاني الغربة ، أما الغربة الثانية التي وجدت ضمن حياة شوقي ولم ترتبط بمكان معين فهو شعوره بالاغتراب أحياناً ، وظهر ذلك في بعض قصائده، حيث اختلط هذا الإحساس بأحاسيسَ أخرى في مجمل حياته ، وكان شعوره بالاغتراب كامناً في حالات نفسية سيطرت على الشاعر، وذكره الموت ودنو الأجل ، وحديثه عن واقع الأمة الإسلامية قبل سقوط الخلافة وبعدها .

الفصل الثاني

الحنين في شعر أحمد شوقي .

المبحث الأول : الحنين لغة واصطلاحاً .

المبحث الثاني : الحنين في شعر أحمد شوقي .

المطلب الأول : الحنين إلى الوطن .

المطلب الثاني : الحنين إلى الأهل والأصدقاء .

المطلب الثالث : الحنين إلى الذكريات الماضية .

المطلب الرابع : الحنين الديني .

المطلب الخامس : الحنين إلى المكان .

المطلب السادس : الحنين إلى المحبوب .

الفصل الثاني
الحنين في شعر أحمد شوقي

عند الحديث عن الحنين لا يمكن الفصل بينه وبين الغربة ، فكلاهما متلازمان تلازم الروح للجسد ، فالغربة هي المسبب الرئيس للحنين ، والحنين ظاهرة إنسانية وشعور أصيل في النفس البشرية ، فالنفس البشرية تحن لكل شيء ترك فيها إحساساً لأمر ما ، حيث يعد الحنين من الدوافع الفطرية عند الإنسان ، فهو مرتبط بالشعور الإنساني ووجوده .

إن غرض الحنين مسيطر على الشعر العربي ؛ لأن الشعر ما هو إلا تعبير عن أحاسيس نائمة أو منومة داخل النفس للحنين فيها الجزء الأكبر ، فعندما يقال الشعر لا بد أن يبث بداخله جزءاً من هذه الأحاسيس . فالإنسان كتلة من المشاعر المتداخلة تظهرها التجارب التي يخوضها في معترك الحياة ، ولعل الحنين مرتبط ارتباطاً كلياً بإحساسه بالغربة أو الاغتراب ، وكما للغربة أسباب وبواعث فهناك للحنين كذلك ، وأكثر باعث للحنين هو الغربة عن الأهل والديار ، حيث يقول حازم القرطاجني : " ولما كان أحق البواعث بأن يكون هو السبب الأول الداعي إلى قول الشعر هو الوجد والاشتياق والحنين إلى المنازل المألوفة وألافها عند فراقها ، وتذكر عهودها وعهودهم الحميدة فيها ، وكان الشاعر يريد أن يبقي ذكراً أو يصوغ مقالاً يخيل فيه حال أحبابه ويقيم المعاني المحاكية لهم في الأذهان مقام صورهم وهيئاتهم ، ويحاكي فيه جميع أمورهم حتى يجعل المعاني أمثلة لهم ولأحوالهم أحبوا أن يجعلوا الأقاويل – التي يودعونها المعاني المخيلة لأحبابهم المقيمة في الأذهان صوراً هي أمثلة لهم ولأحوالهم – مرتبة ترتيبا يتنزل من جهة موقعه من السمع منزلة ترتيب أحويتهم وبيوتهم "(١).

إن الحنين مرتبط بعنصرين أساسين هما : اللذة والألم ، فشعور الإنسان بالألم في واقعه الجديد يذكره بالأيام الجميلة ، تلك الأيام التي تمثل له عنصر اللذة في وقت مضى ، وقد تكون اللذة والراحة مرتبطةً بزمن معين كأيام الشباب والذكريات الجميلة ، وقد تكون وليدة مكان يعز على المرء فراقه كحنين المبعد عن وطنه لأسباب النفي أو التهجير ، " فهناك جدلية بين اللذة

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : حازم القرطاجني ، تحقيق / محمد الحبيب بن الخوجة ، دار المغرب الإسلامي – بيروت ، ط ٣، ١٩٨٦ ، ص٢٤٩ . انظر : الغربة والحنين في الشعر الأندلسي : فاطمة صحصح ، مرجع سابق ، ص١٦ .

والألم ، كما بين الغربة والحنين ، أو الحاضر والماضي ، فأحد الحدين متضمن في الآخر ، فالغربة تستدعي الحنين ، والحاضر يستدعي الماضي ، واللذة تستدعي الألم " (١)

" إن الحنين مرتبط بثقافة الفرد الذي يمثل مناخ الأدب على أنواعه ، والفن ، وعلم التراث، وكل ماله بالإبداع والخلق والحس المرهف ، هذا المناخ الفني المبدع الذي نسميه بمجال الحنين العربي . ذلك أن الحنين نتاج العمل النفس اجتماعي (بمعنى العمل النفساني) الجمعي الذي يعبر عن محاكاة حاضرة وراهنة للماضي بهدف استعادته والتحالف معه ؛ لتغيير الواقع الراهن المحبط والمقلق . فمجال الحنين هو نتيجة باهرة وفذة لعملية الخلق الفكري والأدبي العربية (وكل أمة منكوبة ومكبوتة تنتج أيضاً مجال حنينها) ، وككل عملية إبداعية فإن مجال الحنين عملية دفاعية لها وظيفة تحويل الماضي الجامد إلى حاضر متحرك يعيش راهناً في وجدان الإنسان الخلَّاق فيقطع عليه وحدته ، وذلك أن في الحنين أسوة حسنة تشعر الإنسان الصابر بأنه ليس مقطوعاً من شجرة ، وبأن الصعب يمكن أن يمضي وتعود بعده الأيام إلى مجاريها ". (٢)

المبحث الأول : الحنين لغة واصطلاحاً :

أولاً : الحنين لغة :

جاءت كلمة الحنين في اللغة بمعنى : " الشديدُ من البُكاءِ والطَّرَبِ وقيل : هو صوتُ الطَّرَبِ كان ذلك عن حُزْنٍ أو فَرَحٍ ، والحَنِينُ الشَّوْقُ وتَوَقانُ النَّفس والمَعْنَيان متقاربان" (٣) ، حيث يقال : " حَنَّ إليه يَحِنُّ حَنِيناً فهو حانٌّ والاسْتِحْنانُ الاسْتِطْرابُ واسْتَحَنَّ اسْتَطْرَبَ "(٤) ، والحنين : الشوق (٥) " وحَنّت الإبلُ نَزَعَتْ إلى أَوْطانِها أَو أَوْلادِها والناقةُ تَحِنُّ في إِثْرِ ولَدِها حَنِيناً تَطْرَبَ مع صَوْت وقيل حَنِينُها نِزَاعُها بصوتٍ وبغير صوتٍ والأَكثر أَن الحَنين بالصَّوْتِ "(٦) .

الجذر اللغوي للحنين من مادة (حنن) ، فأدغم حرفا النون فأصبح (حنَّ) وحنّ حنيناً ، وقد وردت بعض الكلمات المشاركة للحنين من نفس الاشتقاق ، فجاءت كلمة الحّنان وهو اسم من

---

(١) الغربة والحنين في الشعر الأندلسي ، مرجع سابق ، ص١٥.

(٢) المجال النفس اجتماعي العربي : د. عباس مكي ، معهد الإنماء العربي – بيروت ، ١٩٩١ ، ص١٠٧-١٠٨ .

(٣) لسان العرب لابن منظور ، مادة (حنن) ، ١٣/ ١٢٨-١٢٩ .

(٤) السابق : ١٢٩/١٣ .

(٥) المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، المكتبة الإسلامية – إستانبول ، ص٢٠٤

(٦) لسان العرب لابن منظور ، مادة (حنن) ، ١٣/ ١٢٩.

أسماء الله – جل وعز – ويعني الرحيم بعباده . والحَنَان الرحمةُ والعطفُ ، ومنه قوله تعالى مخاطباً نبيه يحيى–عليه الصلاة والسلام –: ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾(١) والحِنَّةُ بالكسر رقَّةُ القلبِ .

إن الظاهر من تعريفات الحنين اللغوية جميعها أنها مرتبطة بالعواطف ، سواء أكان صوتاً أم اشتياقاً ، أم نزوعاً إلى الوطن ، فالحنين يدل على الصوت والشوق والطرب والرحمة .

ثانياً : الحنين اصطلاحاً :

الحنين في الاصطلاح له نصيب من اشتقاقاته اللغوية ، فالحنين هو الشوق واللهفة لكل عزيز على النفس قد بَعُد عنها ، وهو بذلك شعور داخلي ينتج عن ألم يعانيه الإنسان نتيجة فقده أشياءَ عزيزةً عليه .

ارتبط مفهوم الحنين عند القدماء بالوطن والديار ، وقد صنف الجاحظ رسالة في الحنين إلى الأوطان ، وذكر فيها مجموعة من الأبيات لعدد من الشعراء في الحنين للوطن ، ومدى ارتباطهم بتلك الديار التي مثلت لهم حياة وروحاً ، حيث يقول : " فاوضتُ بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار والنزاع إلى الأوطان، فسمعته يذكر أنه اغترب من بلده إلى آخر أمهد من وطنه، وأعمر من مكانه، وأخْصَبَ من جَنَابه، ولم يزلُ عظيمَ الشأنِ، جليلَ السُّلطان، تدين له من عشائر العرب سادتها وفتيانها، ومن شعوب العجم أنجادها وشجعانها، يقود الجيوش ويسوس الحروب، وليس ببابه إلا راغبٌ إليه، أو راهبٌ منه ؛ فكان إذا ذكر التربة والوطن حنّ إليه حنينَ الإبل إلى أعْطانِها "(٢) .

ربط الجاحظ الحنين في رسالته بالوطن من حيث أنه السبب الرئيس للحنين ؛ ويرى الباحث أن بعض النقاد القدامى اعتبروا الحنين غرضاً شعرياً : كالغزل ، والفخر ، والهجاء ، والمديح ، وباقي الأغراض الشعرية الأخرى ، ولعل الحنين يدخل في غالبية الأغراض تلك ؛ لكن قدامة بن جعفر قصر الحنين ضمن باب النسيب حيث قال : " قد يدخل في النسيب التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابة ، والبروق اللامعة ، والحمائم الهاتفة ، والخيالات الطائفة ، وآثار الديار العافية ، وأشخاص الأطلال الداثرة " (٣) .

---

(١) سورة مريم : آية رقم ١٣ .

(٢) الحنين إلى الأوطان : لأبي عثمان الجاحظ ، دار الرائد العربي – بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٢ ، ص ٦ . والأعطان هي مبارك الإبل عند الماء ، وهي جمع عطن . انظر لسان العرب : ٢٨٦/١٣ .

(٣) نقد الشعر : قدامة بن جعفر ، تحقيق / د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ص١٣٤ .

أفرد مؤلفو الحماسات باباً خاصاً بالحنين ، وأسموه باب الحنين إلى الأوطان ، فابن الشجري في حماسته خصص باباً للحديث عن الحنين إلى الأوطان ، ذكر فيه أقوال لبعض الشعراء في الحنين منها قول عمرو بن الوليد بن عقبة (المكنى بأبي قطيفة) في حنينه للمدينة ، فيقول : (الطويل)

ألا ليتَ شعري هل تغيّر بعدنا ... جنوب المصلى أو كعهدي القرائنُ
أم الدورُ أكنافُ البلاطِ عوامرٌ ... من الحي أم هل بالمدينة ساكنُ
أَحِنُّ إلى تلكِ البلادِ صَبَابَةً ... كأني أسيرٌ في السلاسلِ راهنُ
إذا برقت نحو الحجازِ سحابةٌ ... دعا الشوقَ مني برقُها المتيامنُ
فلم أنأَ عنها رغبة عن بلادِها ... ولكنّه ما قدرَ الله كائنُ (١)

وذكر الزجاجي في أماليه أبياتاً في حنين الإبل لبعض الأعراب فيقول : أنشدنا الأخفش قال أنشدنا المبرد لبعض الأعراب: (الطويل)

حَنَّتْ قَلُوصِي آخرَ اللّيل حَنَّةً ... فيا روعةً ما راعَ قَلبي حَنِينُها
سَعت في عِقالَيها ولاحَ لعينِها ... سنا بارقٍ وهناً فَجُنَّ جُنونُها
تَحِنُّ إلى أهلِ الحجازِ صَبَابَةً ... وقدْ بُتَّ مِنْ أهلِ الحجازِ قرينُها
فيا رب أطلق قيدها وجريرها ... فقد راعَ أهلَ المسجدينِ حنينُها (٢)

وقد عُرِف عن الأعراب تعلقهم بإبلهم وذكرها بكثرة في أشعارهم ، والإبل عندها ظاهرة الحنين لمنازلها ولأبنائها ، فالشاعر يصف حنين ناقته الذي ترك أثراً في قلبه .

يعتبر الحنين ظاهرة واضحة في الشعر العربي منذ البدايات الأولى لكتابة الشعر ، فوقوف الشعراء على الأطلال في بداية قصائدهم ما هو إلا حنين لها ولمحبوباتهم ، ويرى الباحث أن ذكر الأطلال في القصيدة كان سمة من سمات الشعر العربي أو ما يعرف بـ (المقدمة الطللية) ويمتاز هذا النوع من الشعر بصدق العاطفة ؛ لأن التجربة الشعورية نابعة من ثنايا القلوب ،

---

(١) الحماسة الشجرية : ابن الشجري ، تحقيق / عبد المعين الملوحي و أسماء الحمصي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٠ ، ص ٥٦٨ – ٥٦٩ .

(٢) أمالي الزجاجي : لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي ، تحقيق / عبدالسلام هارون ، دار الجيل – بيروت، ط٢ ١٩٨٧ ، ص ٢٠٠ – ٢٠١ . الحماسة الشجرية ص ٦٠٤– ٦٠٥ ، وهذه الأبيات لم أقف على قائلها .

وإحساس الشعراء المرهف بفقدان من يعزونهم ، فالحنين وليد مجموعة من العوامل النفسية تخيم على الشاعر في وقت محدد فينشئ أشعاراً تلخص تلك العواطف .

يجد المتتبع لعصور الشعر العربي عبر مراحله المختلفة أنَّ عاطفة الحنين تهيمن عليه ؛ لأن الشعر يمثل عواطف إنسانية ، والحنين من أرفع تلك العواطف وأرقها ، فشعراء العصر الجاهلي أكثروا من حنينهم للأطلال وقصدوا بها من يحبون ، ومثال ذلك كثير في الشعر الجاهلي ، فهذا عنترة بن شداد يحن إلى موطن قبيلته (عبس) ويشده الحنين لذكرياته الجميلة هناك مع من أحبهم ، ويذكر أيام شبابه التي لا يمكن له أن يمحو أثرها ، فيقول : (البسيط)

يــا مَنــزِلاً أَدمُعـــي تَجــري عَلَيـــهِ إِذا ضَــنَّ الــسَحابُ عَلــى الأَطــلالِ بِــالمَطَرِ
أَرضُ الـــشَرَبَّةِ كَـــم قَــضَّيتُ مُبتَهِجـــاً فيهــا مَــعَ الغيــدِ وَالأَتــرابِ مِــن وَطَــرِ
أَيّـــامَ غُـــصنُ شَـــبابي فـــي نُعومَتِـــهِ أَلهــو بِمــا فيــهِ مِــن زَهــرٍ وَمِــن ثَمَــرِ (١)

لقد أخذ الحنين من عنترة كل مأخذ ، فجعل دموعه تجري وتنهمر انهمار الأمطار على تلك الأيام الخوالي التي مثلت الحياة التي عشقها وتمنى أن تعود ، فهذا غيض من فيض من الشعر الجاهلي على الحنين سواء الحنين للوطن أو للمحبوب أو للذكريات الجميلة .

وفي عصر صدر الإسلام كثر شعر الفتوحات الإسلامية التي تغرب فيها الشعراء مبلغين دين الله في أصقاع الأرض ، فظهر الحنين للمنازل وللأهل والأحبة ، يتغنون بأرضهم وجمالها، " وها هو أحدهم ابتعد عن موطنه (نجد) ولكنه لا يفتأ يكرر طرفه صوب دياره فيها ، يحن إليها ويتغنى بمفاتنها ؛ فترابها مسك وعنبر وزهر الأقاحي يرسم لوحة رائعة في تلك الأرض ، وهو وإن كان لا يستطيع أن يراها لبعده عنها إلا أن صورتها محفورة في قلبه ، ولكن هذه النظرات الوالهة سرعان ما تثيره للبكاء ، ومن ثم فهو لا يجد راحة لقلبه وقد شغل إما بحرب وإما بالنزوح والاغتراب ، فيقول : (الطويل)

أكـــرر طرفـــي نحـــو نجـــد وإننـــي إليـــه وإن لـــم يـــدرك الطـــرفُ أنظـــرُ
حنينـــاً إلـــى أرض كـــأن ترابهـــا – إذا مُطـــرت – عـــودٌ ومـــسكٌ وعنبـــرُ
بـــلادٌ كـــأن الأقحـــوانَ بروضـــة ونـــور الأقـــاحي وشـــى بُـــردٍ محبَّـــرُ

---

(١) شرح ديوان عنترة بن شداد : الخطيب التبريزي ، تحقيق : مجيد طراد ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط١، ١٩٩٢م ، ص٨٤ .

أَحِـــنّ إِلـــى أَرضِ الحِجـــازِ وَحـــاجَتي خِيـامٌ بِنَجـدٍ دونَهـا الطَّـرف يَقـصرُ (١)

أما في العصر الأموي فحاله يشبه عصر صدر الإسلام ، حيث ظهرت فيه مجموعة من الأسباب الباعثة للحنين ، فالفتوحات الإسلامية التي امتدت إلى خارسان شرقاً ، وكثرت التنقلات مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية ، أضف إلى ذلك ما يعيشه الشعراء في حياتهم ، فهذا الشاعر جرير بن عطية أشهر شعراء عصره يحن إلى أماكن دياره التي غاب عنها ، فيصف الغربة بأبشع الصفات ، فيقول : (الوافر)

عَفـــا نَهيـــا حَمامَـــةَ فَـــالجَواءُ لِطـــولِ تَبـــايُنٍ جَـــرَتِ الظِبـــاءُ

فَمِـــنهُم مَـــن يَقـــولُ نَـــوىً قَـــذوفٌ وَمِـــنهُم مَـــن يَقـــولُ هُـــوَ الجَـــلاءُ

أَحِـــنُّ إِذا نَظَـــرتُ إِلـــى سُـــهَيلٍ وَعِنـــدَ اليَـــأسِ يَنقَطِـــعُ الرَجـــاءُ (٢)

ففي تلك الأبيات ينعت الغربة بالشؤم ؛ لأنها جعلت الناس يعتبروها جلاء وغربة بعيدة ، فالنجم يذكره بأرضه ويشعل نار الحنين بداخله ، فهو لم يقطع اليأس ويرجو بأن يعود إلى المكان العزيز عليه .

لقد كثر الحنين في العصر العباسي بقسميه ، وأمثلته كثيرة في هذا العصر الحافل المليء بأشعار شملت جميع أغراض الشعر العربي ، والشعراء في هذا العصر أكثروا من شعر الحنين بشى أنواعه ، فالشاعر أبو فراس الحمداني يحن لمحبوبته حنيناً أثار الشوق بداخله ، وحرك أشجانه لبعده عنها ، حيث يقول : (الطويل)

لَعَـــلَّ خَيـــالَ العامِرِيَّـــةِ زائِـــرُ فَيُـــسعَدَ مَهجـــورٌ وَيُـــسعَدَ هـــاجِرُ

وَإِنّـي عَلـى طـولِ الـشِماسِ عَـنِ الـصِبا أَحِـــنُّ وَتُـــصبيني إِلَيـــكِ الجَـــآذِرُ (٣)

---

(١) الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني : مرجع سابق ، ص١٠٧-١٠٨ .

(٢) ديوان جرير : جرير بن عطية العامري ، دار بيروت للطباعة – بيروت ، ١٩٨٦ ، ص١٣ .

(٣) ديوان أبي فراس الحمداني : مرجع سابق ، ص١٢٤ . والشِّماس : الامتناع والإباء . الجآذر : جمع الجؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية ، تشبه به المرأة واسعة العينين .

لقد كان حنين الشاعر لمحبوبته كبيراً ، فقد سيطر الشوق والوصل عليه مما زاد من حنينه وتعلقه بمحبوبته العامرية ، فالحنين عند أبي فراس في تلك الأبيات جسد الحنين إلى المحبوب ، وهو ضرب من ضروب الحنين .

إنَّ الشعر في العصر الأندلسي اتسم بمجموعة من السمات أبرزها سيطرة غرض الحنين على مجموعة كبيرة من الشعراء ؛ وذلك يرجع لتعلقهم ببلادهم وشوقهم لبلاد المشرق التي يحبون أن يعيشوا في أكنافها ويحادثوا أهلها ، وأمثلة الحنين في هذا العصر كثيرة لا حصر لها وأفردت لها مجموعة من الأطروحات العلمية ، ومثال الحنين في هذا الشعر ما قاله ابن خفاجة الأندلسي في حنينه لبلدته وللأمكنة الجميلة ولمن سكنها من الأحبة ، فيقول : (الطويل)

أَلا هَـــل إِلـــى أَرضِ الجَزيـــرَةِ أَوبَـــةٌ	فَأَســـكُنَ أَنفاســـاً وَأَهـــدَأَ مَـــضجَعا
وَأَغـــدو بِواديهـــا وَقَـــد نَـــضَحَ النَـــدى	مَعـــاطِفَ هاتيـــكَ الرُبـــى ثُـــمَّ أَقـــشَعا
أُغـــازِلُ فيهـــا لِلغَزالَـــةِ سُـــنَّةً	تُحَـــطُّ الـــصَبا عَنهـــا مِـــنَ الغَـــيمِ بُرقُعـــا
وَأَيـــنَ فِنـــا دارٍ إِلَـــيَّ حَبيبَـــةٍ	وَحَـــسبُكَ مُـــصطافاً هُنـــاكَ وَمَربَعـــا (١)

فالشاعر في هذه الأبيات يتمنى العودة إلى بلده ، ويحن لتلك الجزيرة التي خيم جمالها على تفكيره وأحلامه ، فيطلق لتلك الأحلام العنان لتجول في تلك الديار وترسم له صورة أحبها الشاعر وعايشها في تلك البلاد ، يحن لمحبوبة وللمناظر الجميلة ، فهذه النفس الأندلسية التي عشقت الجمال ، ولعل شوقي تأثر بجمال تلك البلاد وتاريخها العريق فجعلته ينشئ أجمل القصائد في الحنين إلى الوطن .

إن القارئ للشعر العربي يجد كثرة ظاهرة الحنين بداخله ، حيث إن الشعراء لم يفردوا غرضاً خاصاً بالحنين في قصائد مستقلة ، بل كان ذلك ضمن قصائد تنتمي لأغراض أخرى ، كالغزل ، والوصف .

---

(١) ديوان ابن خفاجة الأندلسي : تحقيق / عبد الله سنده ، دار المعرفة – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦ ، ص ١٨٩-١٩٠ .

المبحث الثاني : الحنين في شعر أحمد شوقي :

إنَّ الحنين هو شوق عارم وانفعال شديد لتلك الأحاسيس الداخلية للإنسان ، تثيرها مجموعة من العوامل ، فتدفع ربة الشعر لقول أصدق الألفاظ وأعذبها تعبيراً لما هو موجود داخل نفس الشاعر ، هذا الحنين الذي ظهر جلياً في شعر شوقي في مراحل عدة من حياته ، ولعل أبرز تلك المراحل هي غربته عن وطنه .

تعددت أغراض الحنين عند شوقي وتنوعت ، وبعضها أخذ نصيب الأسد من هذا الغرض ، فكانت النسبة متفاوتة بين تلك الأنواع ، فالحنين إلى الوطن خيم على أشعار المنفى التي أنشأها وهو في منفاه ، حيث اتسمت هذه الأشعار بطابع الشوق الجارف والحنين الملتهب للوطن العزيز على قلب الشاعر ، فالحديث يطول عن هذا الغرض حيث جاء على عدة مطالب مقسم كل منها على حدة وقد جاءت كالآتي :

المطلب الأول : الحنين إلى الوطن :

يرتبط لفظ الحنين للوهلة الأولى بالوطن ، وذلك للعلاقة الوطيدة بين الإنسان ووطنه ، فتعلق المرء بالوطن أمر فُطِر عليه البشر بل كل الكائنات ، فالطيور مثلاً تهاجر وترجع إلى موطنها الأصلي ، وباقي الكائنات الحية ، " ومنذ القديم ارتبط الشّوق والحنين بالوطن ، فصار الحنين إلى الأوطان شائعاً في كل العصور سواء للوطن والقبيلة والحي أم الشّعب والأمة الكبيرة ، وسواء أكان مسقط رأس أم لم يكن، فالحنين إلى الأوطان انتماء وولاء وحب وحنين "[(١)] .

بدت مظاهر هذا الغرض عند شوقي وانجلت معالمها بعد نفيه عن وطنه إلى آخر يوم في حياة هذا الشاعر الكبير ، عاش شوقي بداية حياته حياة هادئة مطمئنة تمتع فيها بخيرات وطنه، وأخذ يسافر لعدد كبير من البلاد العربية والغربية ، كانت هذه المرحلة قبل نفيه عن وطنه واتخاذه لإسبانيا مكاناً للنفي ، في تلك الفترة لم يجرب شوقي البعد الحقيقي عن الوطن ، فكان الحنين للوطن أمراً طبيعياً عنده مثله كمثل أي إنسان يعيش على ثرى وطنه ، هذا الأمر جعل من شعره في الحنين للوطن يقتصر على مناسبات وأيام معدودة تحدث فيها عن الوطن وجماله وسحره الخلاب الذي يسلب النفس .

---

(١) الحنين والغربة في الشعر العربي : د. يحيى الجبوري ، دار مجدلاوي ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، ص١٠.

لقد برز الحنين إلى الوطن في شعر شوقي بروزاً ظاهراً جلياً خلال فترة النفي ، خمس سنوات قضاها امتلأت حياته فيها حنيناً وشوقاً ولوعةً للوطن ، هذا الحين من الدهر غذّى ربة الشعر عند شوقي وأنبتها نباتاً حسناً ، فأخذ شوقي يصدح بأعذب الأشعار في حنينه للوطن ، معبراً عن آلام البعد عن وطنه ، فحنين شوقي إلى وطنه انقسم إلى قسمين : قسم إبان نفيه إلى الأندلس ، وكان هذا القسم أقوى وعاطفته أشد ، وقسم آخر قاله بعد عودته من المنفى وعبر فيه عن صدق المشاعر تجاه وطنه بعدما ذاق ويلات الغربة والبعد عن الوطن .

تجلى الحنين إلى الوطن في قصائد عديدة ، أكثرها وضوحاً ما قاله في المنفى من قصائد عرفت بالأندلسيات ، فالشاعر لم ينس بلاده ، ومتعلق بها تعلقاً شديداً ، حيث يقول في ألم البعد عن الوطن وشدة الشوق له : (الخفيف)

وَسَلا مِصرَ هَل سَلا القَلبُ عَنها ... أَو أَسا جُرحَهُ الزَمانَ المُؤَسّي

كُلَّما مَرَّتِ اللَيالي عَلَيهِ ... رَقَّ وَالعَهدُ في اللَيالي تُقَسّي

مُستَطارٌ إِذا البَواخِرُ رَنَّت ... أَوَّلَ اللَيلِ أَو عَوَت بَعدَ جَرسِ

راهِبٌ في الضُلوعِ لِلسُفنِ فَطنُ ... كُلَّما ثُرنَ شاعَهُنَّ بِنَقسِ(١)

لقد عانى شوقي من الغربة وامتلك الحنين لوطنه كل خياله ، فطفق ينشئ تلك الأشعار لكي يصبر نفسه ؛ ولكن هيهات هيهات فالجرح غائر ، والعدو ظالم ، فشوقي يتخيل أنَّ له صاحبين يخاطبهما ويطلب منهما أن يسألا وطنه سؤالاً غرضه النفي المطلق هل نسيها قلبه العاشق المحب ، أو استطاع الزمان المداوي أن يعالج جروحه ، فجواب شوقي النفي المطلق ، ومن المعروف أن طول فترة البعد عن الوطن يمكن أن تنسي الإنسان بعض الذكريات في وطنه ؛ لكن شوقي كسر هذه القاعدة فما زادته طول الليالي إلا شوقاً وحنيناً وتعلقاً بالوطن ، فمصر محفورة في قلبه لايستطيع نسيانها أو أن يتخيل الحياة بدونها ، لقد عاش شوقي بجانب شاطئ البحر وكانت إقامته بجانب إحدى الموانئ في إسبانيا ، فكان كلما سمع صوت البواخر تجدد أمل العودة عنده إلى مصر ، فقلبه يخفق عندما يسمع تلك البواخر لعلها تصحبه معها إلى مصر ؛ لكنه يصاب بحسرة شديدة عندما تذهب من غير أن تأخذه معها فيشبها بالذئب المخادع الذي حمل له الفزع وقطع الأمل في العودة إلى وطنه ، ولقد تحول قلب شوقي إلى راهب متعبد باقٍ على عهده لمصر بالحب والشوق يتابع حركات السفن فهي السبيل الوحيد لإرجاعه إلى وطنه ،

---

(١) الشوقيات : ص٣٨٤ .

لم ينتهِ حنين الشاعر بل أخذ يخاطب السفن لعلها ترأف بحاله وتعطف عليه ، فيقول : (الخفيف)

يا بنَةَ اليَمِّ ما أَبوكِ بَخيلٌ	ما لَهُ مولَعاً بِمَنعٍ وَحَبسِ[1]
أَحرامٌ عَلى بَلابِلِهِ الدَو	حُ حَلالٌ لِلطَيرِ مِن كُلِّ جِنسِ
كُلُّ دارٍ أَحَقُّ بِالأَهلِ إِلّا	في خَبيثٍ مِنَ المَذاهِبِ رِجسِ
نَفَسي مِرجَلٌ وَقَلبي شِراعٌ	بِهِما في الدُموعِ سيري وَأَرسي
وَاِجعَلي وَجهَكِ الفَنارَ وَمَجرا	كِ يَدَ الثَغرِ بَينَ رَملٍ وَمَكسِ[2]

إن حنين المغترب إحساس لا يوصف ، يدفع صاحبه إلى مخاطبة الجمادات ليواسي نفسه ، فشوقي هنا يخاطب السفينة ويذكرها أن أباها البحر كريم مع جميع الناس فلماذا يبخل عليه ويجعله حبيساً في أرض المنفى ؟ لكن شوقي يحدد أصل هذه المعاناة ألا وهو الاستعمار الظالم الذي يسلب خيرات الوطن ويستبيح كل شيء ، ويمنع أصحاب الأرض تلك الخيرات بل ويطردهم عنها ، فشعور شوقي بالظلم جعله يؤصل لحكمة مفادها أنَّ أصحاب الأرض لهم الحق الكامل بأرضهم وخيراتها ، وكل وطن أحق بأبنائه ، ولا ينكر هذا إلا من تنكر للإنسانية واتبع المذاهب النجسة ، فشوقي عندما عرف الحقيقة المرة بأنه لن يعود إلى وطنه بهذه السهولة اكتفي بإرسال التحيات مع السفن بحيث يجعل من أشواقه وقوداً ومن دموعه بحراً تسير فيه وترسي تلك السفن على شواطئ مصر حاملة الأشواق والتحيات من شاعر تعلق بمصر وشواطئها .

إنَّ جمال الطبيعة في الأندلس خلاب يسلب العقول والنفوس ، هذه الأجواء عايشها شوقي في تلك البلاد ؛ لكن هم الغربة والشوق الجارف والحنين اللامتناهي لوطنه حرمه من تلك الأجواء، حيث يقول : (الخفيف)

وَطَني لَو شُغِلتُ بِالخُلدِ عَنهُ	نازَعَتني إِلَيهِ في الخُلدِ نَفسي
وَهَفا بِالفُؤادِ في سَلسَبيلٍ	ظَمَأٌ لِلسَوادِ مِن عَينِ شَمسِ
شَهِدَ اللَهُ لَم يَغِب عَن جُفوني	شَخصُهُ ساعَةً وَلَم يَخلُ حِسّي[3]

(١) في الديوان كتبت كلمة (يا ابنة) هكذا ، والصواب أن تكتب (يا بنة) لأنها وقعت بعد أداة نداء .

(٢) الشوقيات : ص٣٨٤ .

(٣) السابق : ص٣٨٤ .

يظهر من تلك الأبيات عظيم الشوق والحنين الذي ملك كيان الشاعر ووجوده ، فقد بالغ شوقي مبالغة كبيرة في حبه للوطن حيث النفس المتعلقة بالوطن التي لا ترضى به بديلاً ، حتى لو كان في جنات الخلد لتمنى العودة للوطن ، وهذا من الخيال ؛ لكنه يبين مدى شوق الشاعر وحنينه لوطنه ، فشوقي استخدم حرف الشرط لو وهو حرف امتناع لامتناع ، ثم يرسم لنا شوقي تلك الصورة الرائعة في مدى حنينه للوطن ، ففؤاده ظمآن لمناطق عدة في مصر ، وقلبه مشتاق ليروي العطش الشديد لمصر وأهلها وضواحيها لا سيما (عين شمس) التي قضى فيها فترة من ريعان شبابه ، ثم يشهد الله (جل وعز) على ما في قلبه من حنين إلى مصر ، فمصر لم تغب عن إحساس شوقي وبصره .

إنَّ الحياة التي قضاها شوقي في منفاه لم تنسِه مصر وأهلها ، بل زاد الحنين من تعلقه بوطنه مما جعله يرسم أجمل أبيات الشوق والحنين إلى الوطن ، فيجلس مع نفسه ويذكر هذا البلد العظيم ، يتذكر لياليه وحياته بين ربوع مصر وخيراتها ، فينشئ قائلاً في قصيدة ملئت شوقاً وحنيناً : (البسيط)

لَكِنَّ مِصرَ وَإِن أَغضَت عَلى مِقَةٍ	عَينٌ مِنَ الخُلدِ بِالكافورِ تَسقينا
عَلى جَوانِبِها رَفَّت تَمائِمُنا	وَحَولَ حافاتِها قامَت رَواقينا
مَلاعِبٌ مَرِحَت فيها مَآرِبُنا	وَأَربُعٌ أَنِسَت فيها أَمانينا
وَمَطلَعٌ لِسُعودٍ مِن أَواخِرِنا	وَمَغرِبٌ لِجُدودٍ مِن أَوالينا
بِنّا فَلَم نَخلُ مِن رَوحٍ يُراوِحُنا	مِن بَرِّ مِصرَ وَرَيحانٍ يُغادينا
كَأُمِّ موسى عَلى اِسمِ اللَهِ تَكفُلُنا	وَبِاِسمِهِ ذَهَبَت في اليَمِّ تُلقينا
وَمِصرُ كَالكَرمِ ذي الإِحسانِ فاكِهَةٌ	لِحاضِرينَ وَأَكوابٌ لِبادينا(١)

لقد جاءت تلك الأبيات بعيد حديث شوقي عن الأندلس ورثائها ، فيستدرك قوله بأنَّ مصر تلك الأم الحنون هي جنة الله في أرضه ، هذا الشعور الممزوج بالحنين والشوق لمصر أباح عن مفارقات كثيرة في وصف مصر بأوصاف تعجز الكلمات عن توضيحها ، إنَّ نظرة شوقي لمصر مليئة بالعرفان للوطن الأم ، فإن تقطعت السبل به فأمه الحنون (مصر) تسقيه من أعذب العيون ، ثم يكمل شوقي تلك الصورة التي تجسد الحنين لمصر بذكر خيراتها وتذكر ماضيه الجميل بها ، يصرح شوقي بما يجول في صدره بأن الفراق لم ينسه تلك الليالي فرائحة مصر

---

(١) الشوقيات : ص ٦٨١ .

الزكيـة تمـلأ أنفـه وفكـره ، وريحانهـا مـا زال يجـدد لـه الأمـل فـي عودتـه الحتميـة لمرابـع طفولتـه وصباه، يشبه شوقي مصر بأم موسى (عليها السلام) عندما ألقت ابنها موسى (عليه الصلاة والسلام) في اليم لا تريد الهلاك له بل أن هذه الطريقة الوحيدة لنجاته ، وكذلك مصر حنونة على أبنائها تكفلهم اسم الله وتدعو لهم بالسلام والأمان ، فهي كريمة معهم تعطي ولا تنتظر والواجب على أبنائها أن يردوا هذا الإحسان، وذلك ما يذكره شوقي في مواطن أخرى لرد الجميل لوطنهم الأم مصر .

لقد نبت الحزن وتغلل بداخل شوقي في منفاه ، هذا الحزن من الفراق والبعد عن الوطن ترك الشاعر يدعو عناصر الطبيعة لمشاركته في أحزانه ؛ ليخفف من الضغط النفسي الرهيب الواقع على إحساس شوقي ووجدانه ، حيث يقول : (البسيط)

يـا سـارِيَ البَـرقِ يَرمـي عَـن جَوانِحِنـا	بَعــدَ الهُــدوءِ وَيَهمــي عَــن مَآقينــا
لَمّـا تَرَقـرَقَ فـي دَمـعِ الـسَماءِ دَمـاً	هــاجَ البُكــا فَخَــضَبنا الأَرضَ باكينــا
اللَيــلُ يَــشهَدُ لَــم نَهتِــك دَياجِيَــهُ	عَلــى نِيــامٍ وَلَــم نَهتِــف بِــسالينا
وَالــنَجمُ لَــم يَرَنــا إِلّا عَلــى قَــدَمٍ	قِيــامَ لَيــلِ الهَــوى لِلعَهــدِ راعينــا (١)

يدعو شوقي البرق ليشاركه تلك الأحزان ، فالحنين أخذ منه كل مأخذ ، بل إنَّ قلب شوقي يخفق كما يخفق البرق لذلك يطلب شوقي من البرق أن يساعده في التخفيف مما أثقل جوانحه وأن ينوب عنه بالبكاء ، فدمع الشاعر يكاد يجف من شدة المصيبة وهولها ، عمد شوقي إلى عناصر الطبيعة لتشاركه أحزانه مرة أخرى ، فهاهي السماء تبكي لمأساة الشاعر فينخلط دمع السماء ودمع الشاعر الذي سال دماً مخضبين الأرض التي اكتست بلون أحمر .

انتقل شوقي بعد وصف شدة حنينه للوطن وذكر مآسيه ومشاركة الطبيعة له ؛ ليدلل على العلاقة بين عناصر الطبيعة وتاريخ مصر العريق ، فالليل يشهد على أن أجدادنا لم يغدروا أحداً، بل كانوا مثالاً للفارس الحق وللشجاعة فلا يستغلون الليل لغفلة الناس فهم شجعان يتحلون بصفات العزة والوفاء ، فشوقي يفتخر بأجداده المسلمين بوفائهم للعهود ليدلل على أنه مثلهم ، فهو باق على عهده مع أحبابه ومع أم الأحباب كلهم مصر العزيزة على قلبه ، فمصر أرض

---

(١) الشوقيات : ص ٦٨١ .

الأبوة والميلاد وفيها قضى الشاعر أجمل لحظات حياته ، يصف ذلك في أبيات تحمل بداخلها الشوق الجارف لمصر قائلاً : (البسيط)

أَرضُ الأُبُـــوَّةِ وَالمـــيلادِ طَيَّبَهـــا ... مَـرُّ الـصِبا فـي ذُيـولٍ مِـن تَـصابينا

كانَـــت مُحَجَّلَـــةٌ فيهـــا مَواقِفُنـــا ... غُـــرّاً مُسَلـــسَلَةَ المَجـــرى قَوافينـــا

لَـوِ اِسـتَطَعنا لَخُـضنا الجَـوَّ صـاعِقَةً ... وَالبَـرَّ نـارَ وَغـىً وَالبَحـرَ غِـسلينا

سَـعياً إِلـى مِـصرَ نَقـضي حَـقَّ ذاكِرِنـا ... فيهـــا إِذا نَـــسِيَ الـــوافي وَباكينـــا

كَنـــزٌ بِحُلـــوانَ عِنـــدَ اللَـــهِ نَطلُبُـــهُ ... خَيـــرَ الوَدائِـــعِ مِـــن خَيـــرِ المُؤَدّينـــا

لَـو غـابَ كُـلُّ عَزيـزٍ عَنـهُ غَيبَتَنـا ... لَـــم يَأتِـــهِ الـــشَوقُ إِلّا مِـــن نَواحينـــا

إِذا حَمَلنـــا لِمِـــصرٍ أَو لَـــهُ شَـــجَناً ... لَـم نَـدرِ أَيُّ هَـوى الأُمَّـينِ شـاجينا [(١)]

إن ذكر شوقي المتكرر لوطنه لهو خير دليل على شدة الحاجة التي ألمت به ، فإحساس شوقي المرهف وحنينه لوطنه جسَّد هذا الشعر المليء بالإحساس والعاطفة الفياضة ، يذكر أيام صباه وفترة شبابه المليئة بالذكريات الغالية عليه ؛ لكنه يتذكر أن مصر محتلة والعدو استباح خيراتها فهو مستعد لمواجهته بشتى السبل ويعلن الحرب عليه ناراً تلتهم أركان هذا المحتل الظالم الذي سلب العباد والبلاد حريتهم ، كل ذلك من أجل مصر التي تحمل الذكرى ، فهي في قلبه حتى لو نسي كل وافٍ وباكٍ ، يعتصر قلب الشاعر ألماً وقهراً ، فالفراق لم يكن لمصر وحدها ، فهناك أمه التي ربته وأنشأته خير نشأة ، فهوى الأُمَّينِ ملأ قلبه الأم مصر وأمه البيولوجية ، حيث نسب الشوق والحنين لنفسه فهو الذي غاب عن الوطن مكرهاً مبعداً منفياً .

إن الحسرة التي ألمت بشوقي عززت فيه حبه لوطنه ، فقد جسد بشعره أنموذجاً يحتذى في التعلق بالوطن وعدم التفريط فيه ، وعلى الرغم أن شوقي نفي إلى أجمل الأماكن (إسبانيا) ذات الطبيعة الخلابة إلا أن حنينه منعه من التمتع بتلك الخيرات ، والتلذذ بالجمال الساحر للطبيعة هناك، حيث يقول : (الطويل)

نَزَلـــتُ رُبـــى الـــدُنيا وَجَنّـــاتِ عَـــدنِها ... فَمـــا وَجَـــدَت نَفـــسي لِأَنهارِهـــا طَعمـــا

أَريـــحُ أَريـــجَ المِـــسكِ فـــي عَرَصـــاتِها ... وَإِن لَـــم أُرِح مَـــروانَ فيهـــا وَلا لَخمـــا

إِذا ضَـــحِكَت زَهـــواً إِلَـــيَّ سَـــماوَها ... بَكَيتُ النَدى في الأَرضِ وَالبَأسَ وَالحَزما

---

(١) الشوقيات : ص ٦٨٣-٦٨٤ .

أُطيـــــفُ بِرَســــــمٍ أَو أُلِـــــمُّ بِدِمنَــــــةٍ		أَخـالُ القُـصورَ الزُهـرَ وَالغُـرَفَ الـشُمّا[١]

لقد زار شوقي أماكن كثيرة تميزت تلك المناطق بالمناظر الخلابة والطبيعة الساحرة ، حيث الجنان والأنهار ؛ لكنه لم يتمتع بها وكيف يشعر بالمتعة والوطن يرزخ تحت نير المحتل الذي أبعدته عنه ؟! تلك حالة من التناقض إذن حلت بشوقي ، يتجول في أجمل مناطق العالم فلا يطعم هذا الجمال ، فالألم ألمان في تلك المنطقة حيث الغربة عن الوطن والتاريخ العريق للمسلمين في الأندلس هذا الملك الضائع التي يحمل عبقات من المسك والطيب ، يحمل رائحة المسلمين في كل مكان في تلك المناطق ، فالأجواء جميلة ممتعة تسعد أي نفس ؛ لكن آلام شوقي لا يمكن معلاجتها بهذه السهولة ، ولعل خبر موت أمه الذي وصله وهو في المنفى نزل عليه كالصاعقة ، حيث فقد إحدى الأُمَّينِ اللتين تشكلان له خارطة الطريق نحو المستقبل ، فها هو يعبر عن ذلك قائلاً : (الطويل)

فَمـا بَرَحَـت مِـن خـاطِري مِـصرُ سـاعَةً		وَلا أَنـتِ فـي ذي الـدارِ زايَلـتِ لـي هَمّـا

إِذا جَنَّنـــي اللَيـــلُ اِهتَـــزَزتُ إِلَيكُمـــا		فَجَنحـا إِلـى سُـعدى وَجَنحـا إِلـى سَـلمى

وَحَنَّـــت نَـــواقيسٌ وَرَنَّـــت مَـــآذِنٌ		وَرَفَّـت وُجـوهُ الأَرضِ تَـستَقبِلُ الـسُلمى

أَتـى الـدَهرُ مِـن دونِ الهَنـاءِ وَلَـم يَـزَل		وَلوعـــاً بِبُنيـــانِ الرَجـــاءِ إِذا تَمّـــا [٢]

فمصر لم تفارق خياله ووجدانه ، وكذلك أمه الغالية عليه ، فكلما حل الليل وأرخى سدوله جاء الحنين معه والاشتياق لكل شبر من مصر وأهلها ، إن الحنين الذي يفوح من جميع أجزاء ذاكرة شوقي يجعل منه نبراساً ينير له الطريق المظلمة في غربته ، فكل شيء يحن لمصر ويتمنى العودة القريبة ليعم الهناء والفرح والسعادة ، والتنعم بسحر الوطن الغالي . إن الهجرة التي فرضت على شوقي غيرت من إحساس شوقي تجاه وطنه ، فإحساس شوقي بمكانة الوطن قبل النفي لم تكن كبعده ، وذلك واضح في أشعاره ، فالوطن ذلك المفهوم الغامض الذي لايمكنه أن تشعر بقيمته إلا عندما يسلب منك ، وهذا ما يذكره شوقي حيث يقول في حنينه للوطن وفرحه عند الإياب إليه : (البسيط)

يـا مَـن هَجَـرتُ إِلـى الأَوطـانِ رُؤيَتَهـا		فَرُحـــتُ أَشـــوَقَ مُـــشتاقٍ لِأَوطـــانِ

أَتَـــذكُرينَ حَنينـــي فـــي الزَمـــانِ لَهـــا		وَسَـكبِيَ الـدَمعَ مِـن تَـذكارِها قـاني [٣]

---

(١) الشوقيات : ص٥٥٠ .

(٢) السابق : ص٥٥٠ .

(٣) السابق : ص٧٠٤ .

فالشوق الكبير للوطن إبان نفيه ، والحياة البائسة التي قضاها بعيداً عن وطنه ، والدمع المسكوب على فراق الوطن والأحبة الذي تحول للون الدم من شدة الألم والتوجع لدليل لكل إنسان على أهمية الوطن ، فيتذكر حنينه في بلاد الغربة بعدما عاد إلى وطنه ، تلك فترة من عمره أصَّلت للوطنية العظيمة في قاموس شوقي ، بحيث أضحى شوقي رمزاً للوطنية في ذلك العصر، واعتبر من شعراء الوطنية الأوائل الذين ضحوا من أجل مصر ، وعبروا عن ذلك أصدق تعبير من خلال تضحياتهم وأشعارهم في حب الأوطان وحنينهم الجارف إلى مصر وخيراتها ، وتحديهم للعدوان المستمر دفاعاً عن هذا الحب الأصيل تجاه أوطانهم .

إن شوقي ما فتئ يتذكر وطنه عندما يشاهد شيئاً يحرك فيه ذكرياته في بلده ، ويذكر ذلك في قالب شعري ممتلئ بالتعبير الصادق ومن ذلك قوله : (البسيط)

هِجــتُنَّ لــي لَوعَــةً فــي القَلــبِ كامِنَــةً وَالجُـــرحُ إن تَعتَرِضــــهُ نَــــسمَةٌ يَثُــــرِ

ذَكَــرتُ مِــصرَ وَمَــن أَهــوى وَمَجلِــسَنا عَلــى الجَزيــرَةِ بَــينَ الجِــسرِ وَالنَهَــرِ

وَاليَــــومُ أَشــــيَبُ وَالآفــــاقُ مُذهَبَــــةٌ وَالــشَمسُ مُــصفَرَةٌ تَجــري لِمُنحَــدَرِ (١)

لقد بقي شوقي على العهد الذي قطعه على نفسه بأن يبقي على الحنين الكامل لمصر ، وألا يفضل مكاناً على وطنه ، فهو يرى أشياء تعترضه تحرك لوعة الفراق الغائرة في قلبه ، فجرحه لم يندمل بعد بل معرض للتجديد عن أي إثارة له ، فيذكر مصر وأحبابه فيها ومناطق طالما جالسهم عليها .

مثلت السفينة في حياة شوقي رموزاً كثيرة أقواها على الإطلاق عندما كان ينظر إليها أنها المخلص له من بعده عن مصر ، فخاطبها مراراً وتكراراً علها تقدم له ما يريد من عودة سالمة إلى ثرى الوطن ، فها هو يشكرها شكراً لا يوصف حيث يقول في عودته إلى الوطن بعدما ذاق ويلات الغربة : (الوافر)

شَــكَرتُ الفُلــكَ يَــومَ حَوَيــتِ رَحلــي فَيــــا لِمُفــــارِقٍ شَــــكَرَ الغُرابــــا

فَأَنــــتِ أَرَحتِنــــي مِــــن كُــــلِّ أَنــــفٍ كَــأَنفِ المَيــتِ فــي النَــزعِ اِنتِــصابا (٢)

(١) الشوقيات : ص٣٤٤ .

(٢) السابق : ص١٠٥ .

لقد قدَّم شوقي الشكر الجزيل للفلك لأنها أسهمت في إنهاء معاناة استمرت خمس سنوات عانى فيها الكثير بعيداً عن مصر ، هذا الشكر الممزوج بالحنين إلى وطنه بلور رسالة لكل محتل أن حنين المغترب عن الوطن لا يقدر ولا يوصف ، وأن الأوطان مهما فعل المحتل لا تمحى من وجدان أهلها .

إنَّ أصدق تعبير عما شعر به شوقي تجاه الوطن تلك اللحظة التي وصل فيها إلى وطنه بعد نفيه ، خاطب مصر خطاب الطفل المشتاق لأمه بعدما ابتعدت عنه ولم يرها لسنوات ، فمصر هي الأم الثانية لشوقي ، الأم التي ما فتئ شوقي يتغنى بها بعدما تألم كثيراً في بعده عنها ، حيث يقول حينما وصل إليها : (الوافر)

وَيـــا وَطَنـــي لَقَيتُـــكَ بَعـــدَ يَـــأسٍ	كَـــأَنّي قَـــد لَقيـــتُ بِـــكَ الـــشَبابا
وَكُـــلُّ مُـــسافِرٍ سَـــيَئوبُ يَومـــا	إِذا رُزِقَ الـــــسَلامَةَ وَالإِيابـــــا
وَلَـــو أَنّـــي دُعيـــتُ لَكُنـــتَ دينـــي	عَلَيـــهِ أُقابِـــلُ الحَـــتمَ المُجابـــا
أُديـــرُ إِلَيـــكَ قَبـــلَ البَيـــتِ وَجهـــي	إِذا فُهـــتُ الـــشَهادَةَ وَالمَتابـــا[1]

فشوقي في هذه الأبيات يجسد الشوق العظيم لوطنه ، والذي يخاطبه بعد طول غياب وشوق شديد لرؤيته ، فشوقي كان ضائعاً يبحث عن وطنه ولم يترك منفذاً حتى فتش فيه ، واليوم يلاقيه بعدما يئس من العثور عليه ، ويشبه هذا بعودة الشباب لإنسان هرم فكيف يكون ذلك ؟ الأمر الذي يعد نوعاً من المعجزات ، هذه الصورة التي توضح مدى الحنين الكامن بقلب شوقي تجاه وطنه ، ويذكر شوقي في هذه المناسبة حكمة مفادها أنَّ كل مسافر لابد له من عودة لوطنه سالماً غانماً ، فشوقي عندما قال هذا الأبيات التى غالى فيها كثيراً في وصفه لحبه الشديد لمصر وحنينه لوطنه ، والذي عدَّ حب الوطن ركناً رئيساً من الدين جعله بمثابة البيت الحرام ، ولعل ذلك نابع من المرارة التي عايشها شوقي في الغربة وتملك الحنين إلى الوطن بالتفكير الشعوري واللاشعوري .

---

(١) الشوقيات : ص ١٠٥-١٠٦ .

يصف شوقي عودته إلى وطنه ، العودة المجللة أجمل تيجان الفرح والسعادة ، فركائب الشاعر تسير مرفوعة الرأس مطمئنة النفس فرحة ، يذكر ذلك المشهد المعبر عن الفرح الكبير الذي غمر فكر الشاعر ووجدانه قائلاً : (الوافر)

وَقَـــد سَـــبَقَت رَكـــائِبِيَ القَـــوافي   مُقَلَّـــدَةً أَزِمَّتَهـــا طِرابـــا

تَجـــوبُ الـــدَهرَ نَحـــوَكَ وَالفَيـــافي   وَتَقـــتَحِمُ اللَيـــالِيَ لا العُبابـــا

وَتُهـــديكَ الثَنـــاءَ الحُـــرَّ تاجـــاً   عَلـــى تاجَيـــكَ مُؤتَلِقـــاً عُجابـــا

هَـــدانا ضَـــوءُ ثَغـــرِكَ مِـــن ثَـــلاثٍ   كَمـــا تَهـــدي المُنَـــوَّرَةُ الرِكابـــا

وَقَـــد غَـــشِيَ المَنـــارُ البَحـــرَ نـــوراً   كَنـــارِ الطـــورِ جَلَّلَـــتِ الـــشِعابا

وَقيـــلَ الثَغـــرُ فَاِتَّـــأَدَت فَأَرسَـــت   فَكانَـــت مِـــن ثَـــراكَ الطُهـــرِ قابـــا

فَـــصَفحاً لِلزَمـــانِ لِـــصُبحِ يَـــومٍ   بِـــهِ أَضـــحى الزَمـــانُ إِلَـــيَّ ثابـــا (١)

فشوقي في غاية السعادة والسرور ؛ لأنه كحَّل ناظريه برؤية وطنه من جديد ، فركائبه تختال طرباً وشوقاً لبلوغها المراد ، تسير محملة بالحنين الذي يكنه شوقي لوطنه ، فهي تجوب الدهر والأماكن والصحراء والتضاريس المختلفة وتقطع الأزمان لكي تصل هذا البلد الذي حُرِمه الشاعر حيناً من الزمن ، حيث تهديه الثناء والشكر ليُوضَع تاجاً عرفاناً منها لفضل الوطن على جميع أبنائه ، فالوطن نبراس يضيء الطريق لفلذات أكباده ؛ لكي يعرفوا المنهج القويم ليسيروا عليه ويخدموا وطنهم ويعملوا على رفعته ، يصف النور الذي أنار البحر هادياً لمن ركبوا البحر الطريق ، فوطنه منار لكل ضال ، فالسفينة التي ركبها شوقي عرفت الطريق من شدة النور المشع من مصر ، عبر شوقي عن فرحته المطلقة بتلك العودة الميمونة واصفاً الزمان بأنه وفيٌّ معه وصادق حيث أعاده إلى وطنه سالماً غانماً .

إن عودة شوقي لمصر التي انتظرها على أحر من الجمر جعلته ينشئ أشعاراً صادقة نابعة من ذلك الحنين الكامن بين ثنايا القلب ، حيث كتب كلمات في مصر خلدها التاريخ وذلك وقت وصوله لها ، واصفاً هذا المشهد بقوله : (الوافر)

أُنـــادي الرَســـمَ لَـــو مَلَـــكَ الجَوابـــا   وَأُجزيـــهِ بِـــدَمعِيَ لَـــو أَثابـــا

وَقَـــلَّ لِحَقِّـــهِ العَبَـــراتُ تَجـــري   وَإِن كانَـــت سَـــوادَ القَلـــبِ ذابـــا

---

(١) الشوقيات : ص ١٠٥-١٠٦ .

سَـــبَقنَ مُقَـــبِّلاتِ التُـــربِ عَنّـــي وَأَدَّيـــــنَ التَحِيَّـــــةَ وَالخِطابـــــا
فَنَثـــري الـــدَمعَ فـــي الـــدِمَنِ البَـــوالي كَنَظمـــي فـــي كَواعِبِهـــا الـــشَبابا
وَقَفــتُ بِهـــا كَمـــا شـــاءَت وَشـــاؤوا وُقوفـــاً عَلَّـــمَ الـــصَبرَ الـــذِهابا
لَهـــا حَـــقٌّ وَلِلأَحبـــابِ حَـــقٌّ رَشَـــفتُ وِصـــالَهُم فيهـــا حَبابـــا
وَبَـــينَ جَـــوانِحي وافٍ أُلـــوفٌ إِذا لَمَـــحَ الـــدِيارَ مَـــضى وَثابـــا (١)

لقد تعب شوقي من مخاطبة وطنه عندما كان بعيداً عنه ، حاول بكل الطرق أن يوصل رسائله وأشواقه الحارة لمصر لكن دون جدوى ، فأخذ يرسلها عبر السفن المغادرة من منفاه لعلها تفيء بالغرض المأمول ؛ لكنه اليوم يقف فوق ثرى الوطن ملازماً لمصر ، وأهلها في استقبال حافل لهذا الشاعر الكبير ، ينادي شوقي على وطنه الذي أحبه حباً جماً صادقاً ، يأتي هذا النداء ليخبر به مصر عما يكن لها ؟ فيسأل إذا كان الوطن باستطاعته الإجابة والرد عليه ! فهو مستعد لمخاطبته بالدموع لو أراد ، فالدموع لا تجري إلا لأجلك يا مصر ، لقد جف الدمع من تلك العيون بكاءً على فراق الوطن ، حتى أن سويداء القلب قد ذابت من شدة اللوعة والحنين ، فاليوم تسبقه الدموع لتؤدي قرابين الطاعة لمصر والولاء لها ، تؤدي التحية الممزوجة بدمع القلب لثرى الوطن الغالي .

أما القسم الآخر من حنين شوقي إلى وطنه فقد ظهر بُعَيد عودته من المنفى ، حيث أصبح داخل وطنه متنعماً بنعمة الوطن وكفى بها من نعمة ، لقد أرست مرحلة النفي قواعد الحنين العظيمة بقلب شوقي ، فعرف أن الوطن نعمة لا تقدر بثمن ، هذه النعمة لا يستشعرها إلا من حُرِم منها ، فكان شوقي كلما أراد السفر لغرض ما يستشعر الحنين الكبير لمصر ولكل شيء عزيز عليه فيها ، حيث يقول في رحلة سفر : (البسيط)

مِـــصرُ العَزيـــزَةُ مـــا لـــي لا أُوَدِّعُهـــا وَداعَ مُحـــــتَفِظٍ بِالعَهـــــدِ مُـــــدَّكِرِ
خَلَّفــتُ فيهــا القَطــا مــا بَــينَ ذي زَغَــبٍ وَذي تَمــائِمَ لَــم يَــنهَض وَلَــم يَطِــرِ (٢)

(١) الشوقيات ١٠٤-١٠٥ .
(٢) السابق : ص٣٤٥ .

ها هو شوقي يستنكر على كل شخص أن يلومه في حبه لمصر ، فمصر غالية على قلبه ، قد أخذت منه العهود والمواثيق ، لاتفوته فرصة لإظهار الشوق لمصر ولكل شيء جميل فيها– ما أكثرها تلك الأشياء – إلا وكان خير معبر عن هذا الحنين الصادق .

لقد سكن جمال مصر في خلايا شوقي ، فكان كلما رأى شيئاً جميلاً فاضل جمال مصر عليه ، حيث نلاحظه يمتدح ذلك المكان ويثني عليه ؛ لكن في نهاية حديثه يربط ذلك بجمال وطنه ، ومن ذلك ما قاله في وصف البوسفور وهو مضيق يتميز بجماله الخلاب وكان تحت حكم الدول العثمانية ، حيث يقول : (الوافر)

لِأَجلِكِ سِرتُ في بَرٍّ وَبَحرِ ... وَأَنتِ الدَهرَ أَنتِ بِكُلِّ قُطرِ
حَنَنتِ إِلى الطَبيعَةِ دونَ مِصرِ ... وَقُلتِ لَدى الطَبيعَةِ أَينَ مِصرُ [(١)]

إن النفس تعشق كل جميل ، فالإنسان بطبعه يهوى الطبيعة الساحرة ، فشوقي عندما زار الآستانة مر على مضيق البوسفور وهناك سُحِر بجمال الطبيعة ؛ لكنه لا يستطيع مقاومة حنينه لمصر ، لأنها ملكت العقل والوجدان .

تنوع حنين شوقي إلى وطنه بعد العودة من المنفى ، فبعدما كان هدفه الرجوع إلى مصر، ومسامرة الأهل والأحباب ، والتمتع بخيرات وطنه الكثيرة ، اتجه إلى الهدف الأسمى وهو استنهاض الهمم من أجل الدفاع عن الوطن ، ومقاومة المحتل وطلب الحرية الكاملة من سيطرة العدو على مناحي الحياة المختلفة آنذاك ، فأوضاع مصر لا تسر الصديق بل كانت تمر بمؤامرات خبيثة تحاك ليل نهار لإفساد هذا البلد ، لقد وقف شوقي سداً منيعاً أمام تلك المؤامرات، فبدأ ببث الروح المعنوية في نفوس الشباب لكي يواجهوا تلك المخططات ، حيث يقول:(الكامل)

يا مِصرُ أَشبالُ العَرينِ تَرَعرَعَت ... وَمَشَت إِلَيكِ مِنَ السُجونِ أُسودا
يا فِتيَةَ النيلِ السَعيدِ خُذوا المَدى ... وَاِستَأنِفوا نَفَسَ الجِهادِ مَديدا
وَتَنَكَّبوا العُدوانَ وَاِجتَنِبوا الأَذى ... وَقِفوا بِمِصرَ المَوقِفَ المَحمودا
الأَرضُ أَليَقُ مَنزِلاً بِجَماعَةٍ ... يَبغونَ أَسبابَ السَماءِ قُعودا [(٢)]

---

(١) الشوقيات : ص ٣١٣ .

(٢) السابق : ص ٢٢٨-٢٢٩ .

يخاطب شوقي مصر ويطمئنها بأن شبابها نزلوا الوغى أسوداً ، لا يخافون بطش المحتل وغطرسته ، فهم لا يبالون من القتل والسجن ، هؤلاء الشباب أخذوا على عاتقهم تحرير الوطن ، ومقاومة المحتل بشتى السبل ، وهنا يناشدهم شوقي بالاستمرار في هذا الدرب ، وأن يستعدوا للمواجهة ، ويستأنفوا نفس الجهاد ويلقنوا كل من تسول له نفسه تخريب مصر واستغلالها دروساً في كيفية التعامل مع مصر ، فمصر تختلف عن أي بلد ، إنَّ إحساس شوقي بالخطر المحدق التي تتعرض له مصر دفعه لحمل راية الجهاد في مواجهة الأوضاع الصعبة التي حلَّت بوطنه ، فالوطن إن لم يقف الجميع مدافعين عنه أصبح لقمة سائغة للطامعين ؛ لذلك نرى شوقي يطالب الجميع بتحمل مسؤولياتهم وأن يقفوا لمصر ذلك الموقف المحمود .

إن بث الحماسة في نفوس أبناء الوطن وعناصره الفتية سمة بارزة عند شوقي ، فكثيرة تلك الأشعار التي ساقها شوقي في هذا المجال ، كانت هذه الأشعار ذات المنشأ النفسي عند شوقي، فهذه الطريقة ما هي إلا ترجمة لشوقه وحبه الشديد للوطن ، حيث كثرة مخاطباته الشباب للذود عن حمى الوطن ، واستنكاره عليهم التكاسل والتباطؤ في هذا الأمر ، يقول شوقي باعثاً الهمم ومستنكراً التقاعس على أبناء وطنه في خدمة وطنهم : (الوافر)

بَنِي الأَوطَانِ هُبّوا ثُمَّ هُبّوا	فَبَعضُ المَوتِ يَجلِبُهُ السُباتُ
مَشى لِلمَجدِ خَطفَ البَرقِ قَومٌ	وَنَحنُ إِذا مَشَينا السُلَحُفاةُ
يُعِدّونَ القُوى بَرّاً وَبَحراً	وَعُدَّتُنا الأَماني الكاذِباتُ [(١)]

يستنكر شوقي على أبناء مصر الركون إلى الراحة والاعتماد على الغير ، فالغرب متقدمون في كل شيء يقدمون لأوطانهم خدمات جليلة يسيرون في تقدمهم بسرعة البرق ، وأبناء مصر مشيهم للمجد كمشي السلحفاة غاية في البطء ، فوجب على أبناء الوطن أن يتركوا الأماني الخادعة التي تصيب الإنسان بالإحباط والفشل ، وأن يعمدوا إلى الجد والمثابرة لرفعة الوطن ورقيه ، وجعله في مصاف الدول المتقدمة .

لقد أفرد شوقي أمكنة كثيرة في شعره للحديث عن مصر ، تحدث عن مصر العروبة ، ومصر الوحدة ، ومصر التاريخ والحضارة ، ومصر الجميلة ، وهذه بعض الأوصاف التي ذكرها

---

(١) الشوقيات : ص ١٧٧ .

متحدثاً عن أمه الثانية التي يحن إليها وهو مقيم على ثراها ، يصرح بحبه لها والعلاقة القوية التي تجمعه بها فيقول : (الوافر)

أُحِبُّـكِ مِـصرُ مِـن أَعمـاقِ قَلبـي ... وَحُبُّـكِ فـي صَـميمِ القَلـبِ نـامي
سَـيَجمَعُني بِـكِ التـاريخُ يَومـاً ... إِذا ظَهَـرَ الكِـرامُ عَلـى اللِئـامِ
لِأَجلِـكِ رُحـتُ بِالـدُنيا شَـقِيّاً ... أَصُـدُّ الوَجـهَ وَالـدُنيا أَمـامي
وَأَنظُـرُ جَنَّـةً جَمَعَـت ذِئابـاً ... فَيَـصرُفُني الإِبـاءُ عَـنِ الزِحـامِ
وَهَبتُـكِ غَيـرَ هَيّـابٍ يَراعـاً ... أَشَـدَّ عَلـى العَـدُوِّ مِـنَ الحُـسامِ (١)

يؤكد شوقي على حبه لمصر ، فمصر في قلبه لا يمكن أن تنسى وحبها مثل شجرة تنمو وتكبر داخل قلبه ، فهي التاريخ والحاضر والمستقبل من وجهة نظره ، حيث إنَّ تاريخه مرتبط بتاريخها ، يواجه كل من يعاديها بشعره الذي يلهب النفوس ويبث فيها روح العزيمة والإصرار على تقديم الغالي والنفيس من أجل مصر ، لقد عبر شوقي بالحب الكبير لوطنه بكلماته وتعبيراته التي وقعها على المحتل أشد من السلاح ، وهذا ما دفع المحتل قبل ذلك لنفيه إلى الأندلس ؛ لكي يتخلص من عنصر مهم في تشجيع أبناء مصر للمقاومة والتحدي .

لقد كان شوقي لا يترك أي مناسبة وطنية إلا ويضفي عليها بصماته الشعرية معبراً عن حنينه لوطنه وشوقه الشديد لثرى الوطن ، ومؤكداً على أهمية الوطن لجميع المصريين ، فواجب عليهم التضحية من أجل وطنهم مصر ، فها هو شوقي يختار مناسبة عيد الجهاد ليؤكد على مبادئه التي جُبِل عليها في استعداده للدفاع عن الوطن ومجاهدة المحتلين الذين يحاولون سلب خيرات مصر حيث يقول : (الوافر)

خَطَونـا فـي الجِهـادِ خُطـاً فِـساحا ... وَهادَنّـا وَلَـم نُلـقِ الـسِلاحا
رَضـينا فـي هَـوى الـوَطَنِ المُفَـدّى ... دَمَ الـشُهَداءِ وَالمـالَ المُطاحـا
وَلَمّـا سُـلَّتِ البـيضُ المَواضـي ... تَقَلَّـدنا لَهـا الحَـقَّ الـصُراحا
فَحَطَّمنـا الـشَكيمَ سِـوى بَقايـا ... إِذا عَـضَّت أَرَيناهـا الجِماحـا
وَقُمنـا فـي شِـراعِ الحَـقِّ نَلقـى ... وَنَـدفَعُ عَـن جَوانِبِـهِ الرِياحـا

---

(١) الشوقيات : ص ٦٠٤ .

نُعـــالِجُ شِـــدَّةً وَنَـــروضُ أُخـــرى وَنَـسعى الـسَعيَ مَـشروعاً مُباحـا [1]

هذه هي الروح العالية التي يتحدث بها شوقي في تعبيره عن عشقه لمصر ، والتحاقه بركب المجاهدين عن وطنه لاسيما بعدما عانى الأمرين من الغربة والنفي بعيداً عن مصر ، فاليوم يظهر المعدن الصافي لشوقي كعادته في تعامله مع قضايا وطنه وشعبه ، فلقد اشتغل شوقي عنهم قبل النفي بمغريات الحياة ؛ لكنه اليوم يحسن صنعاً وصنيعاً في جهاده من أجل مصر ، فالوطن يحميه برفقة أبناء شعبه بالسلاح المشهر دائماً في وجه الغاصبين ، هذا الوطن الذي يهديه شوقي الدماء والأموال رخيصة في حبه ، ذلك الحق المبين في تاريخ مصر في دفاع أبنائها عنها ، فهم وقفوا مشمرين مستعدين لمواجهة أعتى قوة في العالم من أجل أن تنعم بلادهم بالأمن والأمان ، حيث يجابهون الشدائد ويهونون الصعاب دفاعاً عن مصر وأهلها .

تجلى حنين شوقي لمصر في أناشيده لها ، فبدأ شوقي يغرد أعذب الألحان وأشدى الأصوات في حبه لمصر واعترافه بفضلها عليه وجميع أبناء وطنه ، أصبح شوقي يحمل رسالة الوطن كل الوطن ، من رفعة ، وجهاد ، وإصلاح ، وتطوير ، فكان بشعره يوجه البوصلة نحو الطريق الصحيح ، فيقول الشعر في الوطن كتعبير منه عن فضل الوطن على أبنائه المصريين الشرفاء، ويبرهن للقاصي والداني أن مصر عزيزة على أبنائها ، حيث يقول في قصيدة تحمل آيات من الشكر والعرفان والحب الصادق لمصر : (المتدارك)

اليَـــومَ نَـــسودُ بِوادينـــا وَنُعيـــدُ مَحاسِـــنَ ماضـــينا

وَيُـــشيدُ العِـــزَّ بِأَيـــدينا وَطَـــنٌ نَفديـــهِ وَيَفـــدينا

وَطَـــنٌ بِـــالحَقِّ نُؤَيِّـــدُهُ وَبِعَـــينِ اللَـــهِ نُـــشَيِّدُهُ

وَنُحَـــسِّنُهُ وَنُزَيِّنُـــهُ بِمَآثِرِنـــا وَمَـــساعينا

سِـــرُّ التـــاريخِ وَعُنـــصُرُهُ وَسَـــريرُ الـــدَهرِ وَمِنبَـــرُهُ

وَجِنـــانُ الخُلـــدِ وَكَـــوثَرُهُ وَكَفـــى الآبـــاءُ رَياحينـــا

نَتَّخِـــذُ الـــشَمسَ لَـــهُ تاجـــا وَضُـــحاها عَرشـــاً وَهّاجـــا [2]

---

(١) الشوقيات : ص ١٩٨ .

(٢) السابق : ص ٦٨٧ .

إن حنين شوقي لمصر معين لا ينضب وشعور صادق يبرهن على ذلك شعره ذو العاطفة الجياشة والتجربة الشعورية النابعة من إحساس مرهف ، يظهر ذلك في تغنيه بوطنه واعتزازه بذلك الوطن ، فالفداء عنوان لهذا الحنين ، والتضحية سبيل لرفعة الوطن وتقدمه ، فلقد أكد شوقي على أهمية الوطن من خلال ذكره فضائل الوطن على كل من يعيش فوق ثراه ، فالمصريون يتنعمون بتلك الفضائل ويعيدون محاسن أسلافهم وتاريخهم العظيم ، وكل فرد يشارك في رفعة هذا الوطن ليصبح عزيزاً له مكانته بين الدول ، وصرحاً شامخا يُشار إليه بالبنان ، فيحرص شوقي على ضرورة تقديم كل فرد من أبناء الوطن مزيداً من الأعمال لرفعة مصر والتأكيد على أن تاريخ مصر حافل بالمنجزات الجبارة ، التي شيدها من قبلهم على مر العصور، فواجب على كل فرد من أبنائه إكمال هذا الطريق الذي بدأه الآباء ، وجعل مصر عنوان الحضارة ومنارة العلم ؛ لأن مصر فيها كل مقومات الحضارة والرقي .

إنَّ حرص شوقي على بناء وطنه والعمل على رقيه نابع من المكانة العظيمة لمصر داخل كيان شوقي وشعوره الكبير بعمق المسؤولية الملقاة على عاتقه في تشجيع شباب مصر على الجد والاجتهاد حيث يقول : (المتدارك)

أَبنـــــي الأَوطـــــانَ أَلا هِمَـــــمُ ... كَبِنـــــــــاءِ الأَوَّلِ يَبنينـــــــــا
سَــــعياً أَبَــــداً سَــــعياً سَــــعياً ... لِأَثيــــــلِ المَجــــــدِ وَلِلعَليــــــا
وَلنَجعَــــل مِــــصرَ هِــــيَ الــــدُنيا ... وَلنَجعَــــل مِــــصرَ هِــــيَ الــــدُنيا [(١)]

هذا هو الهدف المنشود عند شوقي ، جعل مصر هي الدنيا ومنارة العالم أجمع ، فيناشد أبناء وطنه لتحقيق هذا الهدف ورفع الهمم للوصول إلى المجد والعلياء .

لا يقف نداء شوقي لأبناء وطنه عند أمر محدد ، بل إنَّ نداءه متجدد ومستمر ، يخاطبهم في كل وقت وحين ويستنهض هممهم ، فيؤكد مرة أخرى على هذا في نشيد مصر الذي يحفظه كل مصري فيقول : (الوافر)

بنـــــي مـــــصرٍ مكـــــانكمُ تهيَّـــــا ... فَهَيَّـــــا مَهـــــدُوا للمُلـــــكِ هيَّـــــا
خـــــذوا شـــــمسَ لـــــه حليَّـــــا ... أَلـــــم تَـــــكُ تـــــاجَ أَوّلِكـــــم مَلِيَّـــــا؟!
علـــــى الأخـــــلاقِ الملـــــكَ وابنـــــوا ... فلـــــيسَ وراءَهـــــا للعِـــــزِّ رُكـــــن

---

(١) الشوقيات : ص ٦٨٧ .

ألـــيس لكـــم بـــوادي النِّيـــل عـــدنُ وكوثرهـــا الـــذي يجـــري شـــهيّا؟

لنـــا وطـــنٌ بأَنفـــسِنا نَقيـــه وبالـــدُّنيا العريـــضة ِ نَفتديـــه

إذا مـــا ســـيلتِ الأرواحُ فيـــه بـــذلناها كـــأنْ لـــم نعـــطِ شـــيًّا(١)

يطالب شوقي أبناء مصر العمل على تكوين ملك عظيم لمصر ، والمحافظة على الأخلاق التي هي أساس لتكوين أي دولة ، فمصر خيراتها كثيرة لا تعد ولا تحصى ، فعلى سبيل المثال لا الحصر هناك نهر النيل يجري كوثراً في أراضي مصر ، هذا النهر الذي يبعث الحياة لسكان مصر ، لقد أكثر شوقي في شعره من التأكيد على ضرورة فداء مصر وحمايتها من الكروب والأخطار المحدقة التي تكاد تفترسها ؛ لذلك نجد هذا الحس الوطني لا يفارق شوقي في معظم قصائده عندما يتحدث عن الوطن ، فأرواح أبناء مصر رخيصة من أجل فدائها والتضحية في سبيلها ، حتى عندما تسال الدماء يبذلها كل مصري ويشعر بأنها لا تساوي شيئاً أمام فضائل مصر عليه .

يرسم شوقي صورة لوطنه التي تشمل عدة مناحٍ في الحياة ، فمصر أنموذج للحياة الهادئة المطمئنة التي تشمل شرائح الشعب كافة ، الكل يعيش حياته المليئة بالسعادة حتى لو كانت حياة ضنك وضيق ، يصف ذلك شوقي قائلاً : (الوافر)

لنـــا الهـــرَمُ الـــذي صـــحِبَ الزمانـــا ومـــن حَدَثانِـــه أَخـــذ الأَمانـــا

ونحـــنُ بنـــو الـــسَّنا العلـــي ، نمانـــا أَوائـــلُ عَلَّمـــوا الأُمَـــمَ الرُّقِيـــا

تطـــاولَ عهـــدهمْ عـــزا وفخـــرا فلمـــا آل للتـــاريخِ ذُخْـــرا

نـــشأنا نـــشأة ً فـــي الجـــدِ أخـــرى جَعَلنـــا الحـــقَّ مَظْهرَهـــا العَلِيّـــا

جعلنـــا مِـــصْرَ مِلَّـــة َ ذي الجَـــلالِ وألفنـــا الـــصليبَ علـــى الهـــلالِ

وأقبلنـــا كـــصفٍّ مـــن عـــوالِ يـــشدُّ الـــسَّمْهَرِيُّ الـــسَّمْهَرِيّا

نـــرومُ لمـــصرَ عـــزًّا لا يـــرامُ يـــرفُّ علـــى جوانبـــه الـــسَّلامُ

ويـــنعَمُ فيـــه جيِـــرانٌ كِـــرامُ فلـــن تجـــدَ النَّزيـــلَ بنـــا شـــقيَّا

نقـــومُ علـــى البنايـــة ِ محـــسنينا ونعهَـــدُ بالتَّمـــامِ إلـــى بنينـــا

---

(١) الشوقيات : ص ٧٧٤ .

إلَيْكِ نَمـوتُ . مِـصْرُ . كمـا حَيينـا ويبقـــى وجهـــكِ المفـــديُّ حيَّـــا[1]

هذا الجو الوحدوي بين أبناء مصر الذي يبينه شوقي رمز لمقومات الحياة فيها ، فالجد عنوان كل فرد فيها يجد ويجتهد لخدمة الوطن ، لا تقف عجلة التطوير بل هي مستمرة بتكاتف الجميع ، فالمسلم والقبطي يكملان المسيرة نحو المجد الذي وضعه الفراعنة الأوائل ، الذين وضعوا حجر الأساس لبناء حضارة كبيرة على ضفتي نهر النيل ما زالت آثارها حاضرة تستقطب جميع العالم ؛ ليتعرفوا على دقة البناء وبراعة الهندسة المعمارية قبل آلاف السنين .

إنَّ الحنين إلى الوطن فطري عند كل إنسان ؛ لكن هذا الشعور تختلف مخرجاته من شخص إلى آخر ، فهو مرتبط بما يعتري الإنسان من أزمات تظهر مدى الحنين الكامن في إحساس الإنسان تجاه وطنه ، فحنين شوقي إلى وطنه مصر تجسد في عدة أشكال ، تنوعت بتغير الظروف المحيطة به ، فالنشأة التي نشأها شوقي لم تظهر بوادر هذا الحنين إلا في مواطن قليلة؛ لأن شوقي اشتغل في البداية بأمور القصر الحاكم ولم يكترث بأمور وطنه إلا قليلاً ، أما الشكل الآخر الذي أظهر الحنين الكبير إلى الوطن عنده ما لاقاه من نفي عن الوطن وغربة قاسية عانى فيها معاناة البعد وحاجته الشديدة إلى حنان الوطن ، وكانت تلك المرحلة مفجرة الحنين للوطن عند شوقي ، فالبعد ومرارة الغربة قادرة على إظهار كل إحساس كامن تجاه الوطن، لأن الصدق عنوان لتلك الحالة التي تسيطر على الإنسان المغترب ، والشكل الأخير الذي أظهر حنين شوقي إلى وطنه دفاعه المتواصل عن الوطن ، وحث الشباب بمواصلة الجهاد لتحرير مصر من الاستعمار والعمل على رفعة الوطن ورقيه .

---

(١) الشوقيات : ص ٧٧٤-٧٧٥ .

المطلب الثاني : الحنين إلى الأهل والأصدقاء :

إنَّ حنين المرء إلى أهله وأصدقائه حالة طبيعية متأصلة في النفس البشرية ، فالعائلة والأصدقاء هما الإطار العاطفي والنفسي لكل إنسان ، هذا الإطار التي تدور فيه معظم العلاقات الإنسانية ، والحالة الشعورية التي تعتري الإنسان نتيجة بُعد وفراق لمن أحبهم من أهله وأصدقائه تغذي الحنين وتقوي روافده ، وليس شرطاً أن يكون الإنسان مغترباً عن أهله وأصدقائه لكي يشعر بالحنين إليهم ، فالحنين مرتبط ارتباطاً شرطياً بالحب الصادق النابع من القلب تجاه الأهل والأصدقاء .

لقد ظهر هذا النوع من الحنين عند شوقي ، وذلك في حنينه الكثير لمن أحبهم ممن قضى معهم أغلب فترات حياته ، فشوقي ما فتئ يذكر الأهل كلما تذكر أهمية العائلة وكذلك الأصدقاء الذين عايشوه فترات مهمة في حياته .

من السمات الشخصية لشوقي أنه شاعر يقدر العلاقات الاجتماعية ، ويتعامل مع أهله معاملة قائمة على الود والحب المتبادل ، فكان يذكر لكل ذي فضل فضله ، ومن حبه لهم أنه كان لا يتحمل الأذى عليهم ولا يستطيع أن يراهم يتألمون عندما تلم بهم وعكات صحية ، هذا شوقي الإنسان الذي يحن لكل شخص أدخل الفرح والسعادة إلى قلبه يوماً ما ، فحنين شوقي إلى الأهل تنوع بين أمه وأبيه وجدته وأبنائه .

إنَّ حنين شوقي إلى أمه كبير لا يوصف ، والحنين الكامن في شوقه لأمه برز في معاملته الصالحة لها طوال حياتها ، فشوقي لم يتحدث كثيراً عن أمه ، بل كان حنينه لها مرتكز على المعاملة الطيبة والتقدير والعرفان بفضلها عليه ، بقي حنين شوقي لأمه أفعالاً ولم يترجم إلى أقوال إلا بعدما وصله خبر وفاتها وهو في منفاه بالأندلس ، فانفجر حنينه أشعاراً ؛ لإحساسه بالفراق الحقيقي ، ذلك الفراق الذي أثار لوعة في قلبه أنتجت شعراً صادقاً معبراً عن حنين كبير ، حيث يقول في قصيدة رثى فيها أمه : (الطويل)

إِلى اللَهِ أَشكو مِن عَوادي النَوى سَهما ... أَصابَ سُوَيداءَ الفُؤادِ وَما أَصمى

مِنَ الهاتِكاتِ القَلبَ أَوَّلَ وَهلَةٍ ... وَما دَخَلَت لَحماً وَلا لامَسَت عَظما

تَوارَدَ وَالناعي فَأَوجَستُ رَنَّةً ... كَلاماً عَلى سَمعي وَفي كَبِدي كَلما

فَما هَتَفا حَتّى نَزا الجَنبُ وَاِنزَوى ... فَيا وَيحَ جَنبي كَم يَسيلُ وَكَم يَدمى

طَوى الـشَرقَ نَحـوَ الغَـربِ وَالمـاءَ لِلثَّرى إِلَـــيَّ وَلَـــم يَركَـــب بِـــساطاً وَلا يَمّـــا[1]

إنَّ لجوء شوقي إلى الله – تبارك وتعالى – لدليل على عظم المصيبة التي يعيشها ، وهل هناك مصيبة أعظم من فقدان الأم ؟! حيث يشبه شوقي ذلك الخبر الصادم بسهم قاتل أصاب سويداء القلب ، هذا الحب الجم الذي يكنه شوقي لأمه أنتج لوناً مختلفاً من الحنين الممزوج بالأسى والحزن لفراق جزء رئيس من قلبه . كانت هذه القصيدة بعدما أعلن عن هدنة في الحرب العالمية الأولى حيث كانت الفرحة ظاهرة وبادية على محيا شوقي ؛ لأنها سبيل لعودته إلى أمه ووطنه ، فجاء الخبر مع البرق ذلك الخبر الذي أفسد عليه حياته خبر وفاة مهجة فؤاده التي أُبعد عنها وعن وطنه ، حيث أرادت الأم البقاء في مصر ورفضت الخروج مع ابنها إلى المنفى الذي فُرض عليه ، وشوقي يذكر هذا المأساة التي حلت به وكأنها الصاعقة ، يبين ذلك في وصفه للمصيبة بأنه المدمر للقلوب بلا رحمة ولا تهاون ، حيث سيطرت على شوقي حالة من الحزن الشديد وصلت به لحد الانهيار ، فقد كان يمني النفس بالعودة إلى أمه ووطنه ؛ لكن الموت سلب منه فرحة غائرة في القلب لم يستطع أن يظهرها ، فمصيبته بفقدان أمه عظيمة يصفها بالسهم الذي دمر كبده وجنبه وقلبه ، فقد وصله خبر الوفاة قاطعاً الشرق نحو الغرب حاملاً معه أحزان تهد جبالاً فما بالنا بشاعر مرهف الإحساس والوجدان ؟!

لقد عايش شوقي مأساة كبيرة بعدما كانت مصيبة واحدة أصبحت مصيبتين ، فالأمر لم يقف على نفيه عن الوطن ، بل وصول خبر وفاة أمه التي تشكل رقماً صعباً في حياته ، لا يمكن أن يندثر هكذا بكل سهولة ، هذا الألم لا يعرف شوقي كيفية الخلاص منه ، فيلجأ إلى الدعاء ويدعو لأمه دعاءً مراً حيث يقول : (الطويل)

لَــكِ اللَــهُ مِــن مَطعونَــةٍ بِقَنــا النَــوى شَــهيدَةَ حَــربٍ لَــم تُقــارِف لَهــا إِنمــا

مُدَلَّهَـــةٍ أَزكَـــى مِـــنَ النــــارِ زَفــرَةً وَأَنــزَهِ مِــن دَمــعِ الحَيــا عَبــرَةَ سَــحما

سَــقاها بَــشيري وَهــيَ تَبكــي صَــبابَةً فَلَـم يَقـوَ مَغناهـا عَلـى صَـوبِهِ رَسـما

أَسَــت جُرحَهــا الأَنبــاءُ غَيــرَ رَفيقَــةٍ وَكَـم نـازِعٍ سَـهماً فَكـانَ هُـوَ الـسَهما[2]

---

(١) الشوقيات : ص٥٤٨ .

(٢) السابق : ص٥٤٩ .

إنَّ دعاء شوقي لأمه بالرحمة والمغفرة ينم عن حب كبير لأمه داخل قلبه ، فهو لم يستطع الذهاب لإلقاء نظرة الوداع على أمه ؛ لأن الاحتلال منعه من ذلك ، فلا يملك سوى الدعاء لأمه بقلب صادق بالرحمة والمغفرة .

لقد عانى شوقي من لوعة الفراق التي نزلت به بعد فقدانه أمه ، وحرمانه من المشاركة في تشييعها ، فلم يستطع فعل شيء سوى إرسال الدعوات الصادقة لروح أمه ، ورسم صورة لهذه الجنازة المهيبة ، وتشييع هذا الجسد الطاهر ، أظهرت الصورة التي رسمها ليوم وداع والدته مدى التفاعل الشعبي المشارك في تشييعها ، حيث جميع فئات الشعب المصري ، فيصف ذلك قائلاً : (الطويل)

فَلَمـا بَـدا لِلنـاسِ صُـبحٌ مِـنَ المُنـى ... وَأَبـصَرَ فيـهِ ذو البَـصيرَةِ وَالأَعمـى
وَقَـرَّت سُـيوفُ الهِنـدِ وَارتَكَـزَ القَنـا ... وَأَقلَعَـتِ البَلـوى وَأَقـشَعَتِ الغُمّـى
وَحَنَّـت نَـواقيسٌ وَرَنَّـت مَـآذِنٌ ... وَرَفَّـت وُجـوهُ الأَرضِ تَـستَقبِلُ الـسُلمى
أَتـى الـدَهرُ مِـن دونِ الهَنـاءِ وَلَـم يَـزَل ... وَلوعـاً بِبُنيـانِ الرَجـاءِ إِذا تَمّـا
إِذا جـالَ فـي الأَعيـادِ حَـلَّ نِظامَهـا ... أَوِ العُـرسِ أَبلـى فـي مَعالِمِـهِ هَـدما
لَـئِن فـاتَ مـا أَمَّلتِـهِ مِـن مَواكِـبٍ ... فَـدونَكِ هَـذا الحَـشدَ وَالمَوكِـبَ الـضَخما
رَثَيـتُ بِـهِ ذاتَ التُقـى وَنَظَمتُـهُ ... لِعُنـصُرِهِ الأَزكـى وَجَـوهَرِهِ الأَسـمى(١)

إن الوداع الذي جسده شوقي في قصيدته التي رثى فيها أمه يعبر عن مدى حنينه لها ، وصدق العواطف الجياشة لأمه ، فقد صور آلامه وأحزانه وبثها في قالب شعري رائع ، وضَّح حنينه الكبير المكنون بين ثنايا قلبه ، حنين الابن المنفي البعيد عن أمه ووطنه ، تموت أمه فلا يراها ، فيغلبه الحنين لها والحزن على فراقها ، ولوعة نزلت بقلبه ؛ ولكن حسبه من ذلك الحشد الكبير المشارك في جنازة أمه ، حيث تكون من فئات عديدة مرموقة من أبناء شعبه .

يُذكر أنَّ شوقي بعدما كتب رثاء أمه عندما وصله خبر وفاتها وهو في الأندلس كانت تعتريه حالة من الحزن الشديد لم يقوَ على مقاومتها ، فظلت هذه القصيدة حبيسة دفاتره وقراطيسه ، حتى أنه عندما طُلِب منه أن يقرأها لم يستطع من شدة حنينه لأمه ، وبقيت تلك القصيدة في

(١) الشوقيات : ص٥٥٠ .

كتبه إلى أن فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها ، ونشرت بعد وفاته في الصحف ، ودونت في ديوانه تحت قسم المراثي .

يحن شوقي لأبيه كذلك ، حيث يعبر عن ذاك الحنين عندما يرثي أباه ، " فالرثاء الذي يفصح فيه الشاعر عن مواجده وأشواقه إلى المرثي ، فلا يعدد المناقب والخصال فحسب ، بل يتجاوزها إلى بكاء حار يعبر فيه عن حرقة الفؤاد ، ونيران الفقد "[١] ، فذلك من الحنين الصادق للمرثي ، ومنه قول شوقي في رثاء أبيه (الرمل) :

لَيــتَ شِــعري هَــل لَنــا أَن نَلتَقــي　　　مَــــرَّةً أَم ذا اِفتِــــراقُ المَلَــــوَين

وَإِذا مُــــتُّ وَأودِعــــتُ الثَــــرى　　　أَنَلقَّــــى حُفــــرَةً أَو حُفــــرَتَين[٢]

فهذا الرثاء النابع من القلب متجذر في وجدان شوقي ، وفيه صدق العاطفة المليئة بالمودة ، فحنين شوقي لأبيه يتمثل في العلاقة القوية بينهما ، وتلاحم أسري كبير بين الابن وأبيه ، فيتمنى بقاء أبيه بجانبه لا يفارقه أبداً ، فرثاء شوقي لأبيه تعبير صادق عن شحنات الألم التي تعصر القلب من هذا التباعد والفراق الذي فرضه عليهم الموت .

أما حنينه لجدته فقد كان ظاهراً بين ثنايا شعره ، فهذه الجدة التي لم تفتأ تقدم الغالي والنفيس لحفيدها ، وتدافع عنه أمام والديه كلما فعل شيئاً لا يرضيهما ، حيث يقول شوقي في تعلقه بها وحنينه الدائم لها : (مجزوء الرجز)

لــــي جَـــدَّةٌ تَـــرأَفُ بـــي　　　أَحنــــى عَلَــــيَّ مِــــن أَبــــي

وَكُــــلُّ شَــــيءٍ سَــــرَّني　　　تَــــذهَبُ فيــــهِ مَــــذهَبي

إِن غَــــضِبَ الأَهــــلُ عَلَــــي　　　يَ كُلُّهُــــم لَــــم تَغــــضَبِ[٣]

إنَّ حنين شوقي لجدته لم يتوقف عن هذه الكلمات ، فقد كان تطبيقاً عملياً في معاملته الطيبة معها ، ومعرفته لفضلها في دعمه وتشجيعه حتى علا صيته بين الناس ، فكان يقدرها

(١) الحنين في الشّعر الزّنكي والأيوبي: مي إبراهيم عمرو ، رسالة ماجستير من جامعة الخليل ٢٠١١م، ص٨٢ .

(٢) الشوقيات : ص٧٠٨.

(٣) السابق : ص١٥٠ .

ويجلها ، حتى عندما فارقت الحياة رثاها بأبيات صادقة عبر فيها عن حنينه الكبير لجدته ، حيث يقول في رثائها : (الوافر)

صَـــلاةُ اللَــــهِ يـــا تِمـــزارُ تَجـــزي ثَـــراكِ عَـــنِ الـــتِلاوَةِ وَالـــصَلاةِ
وَعَـــن تِـــسعينَ عامـــاً كُنـــتِ فيهـــا مِثـــلَ المُحـــسِناتِ الفُـــضلَياتِ
بَـــرَرتِ المُؤمِنـــاتِ فَقـــالَ كُـــلٌّ لَعَلَّــــكِ أَنـــــتِ أُمُّ المؤمِنــــاتِ
وَكانَـــت فـــي الفَـــضائِلِ باقِيـــاتٌ وَأَنـــتِ اليَـــومَ كُـــلُّ الباقِيـــاتِ
فَلَـــم أَرَ قَبلَـــهُ المَـــريخَ مُلقـــىً وَلَـــم أَســـمَع بِـــدَفنِ النَيِّـــراتِ
هُنـــاكَ وَقَفـــتُ أَســـأَلُكِ اِتِّئـــاداً وَأُمـــسِكُ بِالـــصِفاتِ وَبِالـــصَفاةِ
وَأَنظُـــرُ فـــي تُرابِـــكِ ثُـــمَّ أُغـــضي كَمـــا يُغـــضي الأَبِـــيُّ عَلـــى القَـــذاةِ
وَأَذكُـــرُ مِـــن حَياتِـــكِ مـــا تَقَـــضّى فَكـــانَ مِـــنَ الغَـــداةِ إِلـــى الغَـــداةِ(١)

أما حنين شوقي لأبنائه فقد كان منقطع النظير ، حيث الأب الحنون الذي يخاف على أبنائه من نسمات الهواء العليل ، فكان يصاب بحالة من الحزن الشديد عندما يمرض أحد أبنائه ، ومن شدة خوفه عليهم لا يتحمل الأذى الواقع بهم فكان يسافر إلى الإسكندرية هرباً من المعاناة التي تسببها له آلامهم وتألمهم من المرض ، هذا الإحساس الرقيق الذي سيطر على شوقي تجاه أبنائه، فكان كثير التغني بهم وبحبهم الشديد الكامن داخل قلبه والظاهر للعيان ، فيقول في قصيدة يرد بها على من ادعوا أنَّه يفرِّق بين أبنائه ويفاضل بينهم حيث يقول راداً عليهم : (الطويل)

يقولـــون لـــم تطـــري عليـــا وأختـــه وتنـــسى حـــسنا والحـــسين كـــريم
فقلـــت فـــؤادي للثلاثـــة منـــزل همـــا طنبـــاه والحـــسين صـــميم
ثلاثـــة أســـباب لأنـــسي ولـــذتي يبـــارك فيهـــا مـــانحي ويـــديم
إذا مـــا بـــدا أن أفاضـــل بيـــنهم أبـــي لـــي قلـــب عـــادل ورحـــيم
أحـــب صـــغار العـــالمين لأجلهـــم وبعطـــف قلبـــي ذو أب ويتـــيم(٢)

---

(١) الشوقيات : ص١٩٢-١٩٣ .
(٢) السابق : ص٥٩٠ .

هذا الحب الكبير الذي يكنه شوقي لأبنائه ينبع من حنين جارف لتلك الوردات المتفتحة في حياته ، فشوقي كثير التعلق بأبنائه لايفارق بينهم ولا يفاضل ، يثني على كل واحد منهم ، فكلهم يحتلون سويداء قلبه ، وهم أسباب سعادته في هذا الدنيا ، هذا الحب الذي جعله يحب صغار الناس ؛ لأنه يقدر تلك العلاقة بين الأبناء وآبائهم .

حازت ابنته أمينه على نصيب الأسد في شعره من هؤلاء الأبناء ، ولعل ذلك يكمن في أنها البنت الوحيدة له ، فقد كان له ثلاثة من الولد وابنة واحدة ، فأنشد شوقي لابنته أشعاراً كثيرة، ففي ذكرى مولدها الأول غرّد قائلاً : (مجزوء الرجز)

أَمينَتـي فـي عامِهـا   الأَوَّلِ مِثـلُ المَلَـكِ
صـالِحَةٌ لِلحُـبِّ مِـن   كُـلٍّ وَلِلتَبَـرُّكِ
كَـم خَفَـقَ القَلـبُ لَهـا   عِنـدَ البُكـا وَالـضَحِكِ
وَكَـم رَعَتهـا العَـينُ فـي   الـسُكونِ وَالتَحَـرُّكِ
فَـإِن مَـشَت فَخـاطِري   يَـسبِقُها كَالمُمـسِكِ
أَلحَظُهـا كَأَنَّهـا   مِـن بَـصَري فـي شَـرَكِ
فَيـا جَبـينَ الـسَعدِ لـي   وَيـا عُيـونَ الفَلَـكِ
وَيـا بَيـاضَ العَـيشِ فـي ال   أَيّـامِ ذاتِ الحَلَـكِ
إِنَّ اللَيـالي وَهـيَ لا   تَنفَـكُّ حَـربَ أَهلِـكِ
لَـو أَنـصَفَتكِ طِفلَـةً   لَكُنـتِ بِنـتَ المَلِـكِ[١]

لقد رسم شوقي حنينه لابنته عبر صورة حسية بالغة في الدقة ، حيث الحنان الفطري الذي فطر الله – تبارك وتعالى – البشر على حب الأبناء حيث يقول تعالى : " ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا " [٢] ، فشوقي يتابع ابنته التي أكملت عامها الأول في كل صغيرة وكبيرة، فعندما تبكي يتعرف على سبب بكائها ويزيله ، وعندما تضحك يخفق القلب فرحاً بفرحها، وعندما تمشي ترعاها العين خوفاً من أي مكروه يصيبها ، فابنته تمثل عنصر السعادة

---

(١) الشوقيات : ص٤٧٠-٤٧١ .

(٢) سورة الكهف : ٤٦ .

في حياته . لقد عبر شوقي في تلك المناسبة عما يشعر به تجاه ابنته أمينة ، وفي عامها الثاني يدعو لها بالسلامة حيث يقول : (المتقارب)

أَمينَــــــةُ يـــــا بِنتِـــــيَ الغالِيَـــــه أُهَنّيـــــــكِ بِالــــــسَنَةِ الثانِيَـــــــه

وَأَســـأَلُ أَن تَـــسلَمي لـــي الـــسِنينَ وَأَن تُرزَقـــي العَقـــلَ وَالعافِيَـــه[١]

إنَّ حرص شوقي على تهنئة ابنته أمينة بعيد ميلادها للسنة الثانية يوضح مدى المكانة التي تحتلها في قلبه ، والحنين الذي يكنه لها ، حيث يدعو لها بالخير والعافية وأن تسلم من غدر الزمان ومصائبه ، وأن يرزقها الله العقل الراجح ، فكان شوقي يلبي كل طلباتها التي تتمناها عليه، حيث طلباتها مجابة ، يقول في ذلك : (المتقارب)

وَلـــي طِفلَـــةٌ جـــازَتِ الـــسَنَتَينِ كَـــبَعضِ المَلائِـــكِ أَو أَطهَـــرُ

بِعَينَـــينِ فـــي مِثـــلِ لَـــونِ الـــسَماءِ وَسِـــنَّينِ يـــا حَبَّـــذا الجَـــوهَرُ

أَتَتنِـــيَ تَـــسأَلُني لُعبَـــةً لِتَكـــسِرَها ضِـــمنَ مـــا تَكـــسِرُ

فَقُلـــتُ لَهـــا أَيُّهَـــذا المَـــلاكُ تُحِـــبُّ الـــسَلامَ وَلا أُنكِـــرُ[٢]

لقد أعطى شوقي ابنته اهتماماً كبيراً منذ صغرها ، فكان كثير التغني بها ووصفها ، حيث يصفها بأجمل الأوصاف ، فوصفه لها بأنها ملاك ذات عينين سماويين ، وسِنَّينِ كأنهما اللولؤ والجواهر ، يبين مكانتها عنده ، ولعل تلك المكانة الكبيرة لابنته والحنين الجم لها ما أوضحه لنا عندما كان على ظهر السفينة مسافراً حيث يقول عندما رأي بنتاً صغيرةً ذكرته بابنته أمينه حيث يقول في تلك الحادثة : (مجزوء الرمل)

هـــــذه نـــــورُ الـــــسّفينةْ هَـــــذه شِـــــبهُ أَميْنَـــــة

هَـــــذِهِ صـــــورَتُها مُـــــن بِنَـــــةٌ عَنهـــــا مُبينَـــــه

هَـــــذِهِ لُؤلُـــــؤَةٌ عِـــــن دي لَهـــــا مِثـــــلٌ ثَمينَـــــه

مِـــن بَنـــاتِ الـــرومِ لَكِـــن لَـــم تَكُـــن عِنـــدي مَهينَـــه

أَنـــا مَـــن يَتـــرُكُ لِلـــدَي يـــانِ فـــي الـــدُنيا شُـــؤونَه

يـــا مَـــلاكَ الفُلـــكِ لـــي صِـــن وُكِ فـــي تِلـــكَ المَدينَـــه

---

(١) الشوقيات : ص٧٦٦.

(٢) السابق : ص٣٠٧ .

أَنــــــتِ فـــــي الفُلـــــكِ بَهـــــاءٌ	وَهـــــوَ فـــــي حُلـــــوانَ زينَـــــه
ناجِـــــهِ وَاذكُـــــر لَـــــهُ وَج	دَ أَبيـــــــهِ وَحَنينَـــــــه
وَأَفِـــــدهُ أَنَّنـــــي فـــــي ال	بَحـــــرِ مُـــــذ دُســـــتُ عَرينَـــــه
لَـــــستُ بِـــــالنَفسِ ضَـــــنيناً	وَبِـــــهِ نَفـــــسي ضَـــــنينَه
أَســـــأَلُ الـــــرَحمَنَ يُرعـــــي	كَ وَإِيّـــــــاهُ عُيونَـــــــه[١]

إنَّ قوة الحنين تظهر عندما يبتعد الإنسان عمن أحبهم وعشقهم ، فشوقي عندما رأى هذه البنت الغربية تذكر ابنته وغالبه الحنين ليذكر أوصافها من خلال وصفه لهذه البنت الغربية ، حيث وصفها بالملاك ، وأنها زينة لمدينة حلوان ، ثم يرسل التحيات والأشواق الحارة لابنته عبر محاكاته لمن رآها على الفلك ، فهي ساكنة في القلب متربعة على عرشه ، فوجده لها لا يوصف، وحنينه عظيم لها ، يخبرها أنَّه في أشد شوق لرؤيتها ومجالستها ، يسأل الله بقلب صادق أن يرعاها ويحفظها من أي مكروه .

أما حنينه للأهل عامة فتمثل في ذكره لهم بالخير ، وحفظه للعلاقة الطيبة التي تجمعه بهم ، والمعاملة التي تقوم على الحب المتبادل ، فكانوا نعم الأهل لنعم الابن ، وشكلوا في حياته لوناً جميلاً زاهياً أرخى على حياته الفرح والمرح ، والنعيم والسرور ، حيث يصف هذه العلاقة في أبيات يذكر فيها هؤلاء الأهل قائلاً : (الوافر)

ومـــــا جـــــاملتم أهـــــلا ولكـــــن	ذهبـــــتم مـــــذهبا وهـــــو الجميـــــلُ
وكنـــــت إذا التمـــــست لكـــــم بـــــديلاً	أعـــــاتبكم بـــــه عـــــز البـــــديل
حفظـــــت الـــــود والـــــود انتقـــــال	وإن الحـــــافظين لـــــه قليـــــل
وبـــــت أصـــــون فـــــي الحـــــب اعتقـــــادي	ورأي لا يغيـــــره أصـــــيل[٢]

فقد حفظ شوقي ود أهله ، فلا يمكنه الاستغناء عنهم حيث مكانتهم كبيرة في قلبه ، يذكرهم دائماً بالخير ويصون حبهم ، فهم عنوان للحياة الكريمة التي تفيأ ظلالها معهم ردحاً من الزمن ، تلك المكانة كانت منبعاً لحنين شوقي لأهله ، هذا الحنين نهل من وجدانه وأشعاره الشيء الكثير،

(١) الشوقيات : ص٦٦٥.

(٢) السابق : ص٥١٣ .

فجسّد شعراً يطرب النفس ويسليها ، ومن تلك الأشعار التي أوضحت حنين شوقي وبينته تجاه أهله ، حيث يقول : (الوافر)

وَأَحبـــابٍ سُـــقيتُ بِهِـــم سُـــلافاً وَكـانَ الوَصـلُ مِـن قِـصَرٍ حَبابـا

وَنادَمنـا الـشَبابَ عَلـى بِـساطٍ مِـنَ اللَـذاتِ مُختَلِـفٍ شَـرابا

وَكُـلُّ بِـساطِ عَـيشٍ سَـوفَ يُطـوى وَإِن طـالَ الزَمـانُ بِـهِ وَطابـا

كَـأَنَّ القَلـبَ بَعـدَهُمُ غَريـبٌ إِذا عادَتـهُ ذِكـرى الأَهـلِ ذابـا

وَلا يُنبيـكَ عَـن خُلُـقِ اللَيـالي كَمَـن فَقَـدَ الأَحِبَّـةَ وَالـصَحابا (١)

إنَّ شوقي لا يقوى على البعد عن الأهل والأحباب والأصدقاء ، فكلما تذكرهم فاض القلب حنيناً لهم ولتلك الأيام التي عايشهم فيها ، فالإنسان لا يستطيع تحمل فقدان الأحبة والأهل ؛ لأنهم عنصر يساعده على التمتع بالحياة ونعيمها ، لقد أكثر شوقي من ذكره للأهل والأصدقاء ، وجعل من ذلك تعبيراً لما يكنه لهم من حب ومودة ، فكان كلما فقد عزيزاً عليه لم يستطع إلا أن يعبر عن ذلك الحب تعبيراً صادقاً نابعاً من علاقة وطيدة تجمعه به ، فلنا في رثاء شوقي الشيء الكثير ، ومنه رثاؤه لصديقه الشاعر حافظ إبراهيم حيث يقول : (الكامل)

قَـد كُنـتُ أوثِـرُ أَن تَقـولَ رِثـائي يـا مُنـصِفَ المَـوتى مِـنَ الأَحيـاءِ

لَكِـن سَـبَقتَ وَكُـلُّ طـولِ سَـلامَةٍ قَـدَرٌ وَكُـلُّ مَنِيَّـةٍ بِقَـضاءِ

الحَـقُّ نـادى فَاِسـتَجَبتَ وَلَـم تَـزَل بِـالحَقِّ تَحفِـلُ عِنـدَ كُـلِّ نِـداءِ

وَدِدتُ لَـو أَنّـي فِـداكَ مِـنَ الـرَدى وَالكـاذِبونَ المُرجِفـونَ فِـدائي (٢)

إنَّ رثاء شوقي لحافظ إبراهيم مثال على الحب الكبير الذي يكنه شوقي لأصدقائه ، فكان يتمنى الموت قبل حافظ حتي لا يتفجع بموت صديقه ، حتى أنه لم يكمل مدة قصيرة بعد وفاة صديقه ففاضت روحه إلى بارئها .

لقد عانى شوقي في منفاه من البعد عن الأصدقاء والعيش وحيداً بعيداً عن أنسه وفرحه، هذه المعاناة التي تحدث عنها كثيراً ، وعبر عن فترات احتاج فيها إلى الشعور بجو ممتلئ

(١) الشوقيات : ص٧٦ .
(٢) السابق : ص١١٦ .

بالصداقة والود ، يذكر شوقي ذلك في قصيدة قالها وهو في منفاه امتلأت بالعاطفة الصادقة والحنين الكبير لمن أحبهم حيث يقول : (البسيط)

إلـــى الَّـــذينَ وَجَـــدنا وُدَّ غَيـــرِهِمُ — دُنيـــا وَوُدَّهُـــمُ الـــصافي هُـــوَ الـــدينا

يــا مَــن نَغــارُ عَلَــيهِم مِــن ضَــمائِرِنا — وَمِـــن مَـــصونِ هَـــواهُم فـــي تَناجينـــا

نــابَ الحَنــينُ إِلَــيكُم فــي خَواطِرِنــا — عَـــنِ الـــدَلالِ عَلَـــيكُم فـــي أَمانينـــا

جِئنــا إِلــى الــصَبرِ نَــدعوهُ كَعادَتِنــا — فـــي النائِبـــاتِ فَلَـــم يَأخُـــذ بِأَيـــدينا

وَمـــا غُلِبنـــا عَلـــى دَمـــعٍ وَلا جَلَـــدٍ — حَتّـــى أَتَتنـــا نَـــواكُم مِـــن صَياصـــينا

وَنـــابِغي كَـــأَنَّ الحَـــشرَ آخِـــرُهُ — تُميتُنـــا فيـــهِ ذِكـــراكُم وَتُحيينـــا

نَطـــوي دُجـــاهُ بِجُـــرحٍ مِـــن فُـــراقِكُمُ — يَكـــادُ فـــي غَلَـــسِ الأَســـحارِ يَطوينـــا

إِذا رَســا الــنَجمُ لَــم تَرقَــأ مَحاجِرُنــا — حَتّـــى يَـــزولَ وَلَـــم تَهـــدَأ تَراقينـــا

بِتنــا نُقاســي الــدَواهي مِــن كَواكِبِــهِ — حَتّـــى قَعَـــدنا بِهـــا حَـــسرى تُقاســـينا

يَبـــدو النَهـــارُ فَيَخفيـــهِ تَجَلُّـــدُنا — لِلـــشامِتينَ وَيَأســـوهُ تَأَسّـــينا

سَـــقياً لِعَهـــدٍ كَأَكنـــافِ الرُبـــى رِفَـــةً — أَنّـــى ذَهَبنـــا وَأَعطـــافِ الـــصَبا لينـــا[(١)]

إنَّ الرسالة التي يبرقها شوقي في هذه الأبيات والتي تحمل في طياتها حنيناً جارفاً لمن أحبهم من أهل وأصدقاء وأحبة لدليل واضح على عمق العلاقة بين شوقي وأصدقائه ، فالإحساس الصادق الذي عرفه شوقي في وده لأصدقائه جعله يركن إلى التعبير بصدق عما يجول بداخله ، فهو لا يقوى على الصبر أمام هذا البعد ، كما أن الصبر لا يحتمل المصائب التي عايشها شوقي ، فمرارة الغربة عن الوطن والعيش وحيداً جعلته يبكي بكاءً مريراً على حاله ، فالليل طويل يرخي سدوله بالأحزان والمآسي عليه وحسبه من ذلك الذكرى التي تدق في نواقيس فكره ووجدانه، وهي التي تترك بصيص أمل للقاء الأحباب والتنعم بالوطن وخيراته .

---

(١) الشوقيات : ص٦٨٢ .

المطلب الثالث : الحنين إلى الذكريات الماضية :

تمر على الإنسان في حياته مراحل وأوقات لا يمكن أن ينساها لشدة تأثيرها على النفس ، ووقعها الحسن على قلب الإنسان ، تلك الفترات يعايشها المرء ولا يتمنى أن تنتهي وأن تبقى ما بقي الدهر ، فهذه الأوقات لا يمكن للإنسان أن ينساها هكذا بكل سهولة ، بل تبقى ناقوساً يدق في تفكيره وخياله ، وهاجساً يراوده كلما عنَّ له ذلك الماضي الجميل ، ولعل أجمل تلك اللحظات ما يعايشه المرء في فترات شبابه مثلاً ، أو رحلات لها في النفس وقع وأثر ، فالباعث الرئيس للحديث عن تلك الفترات والحنين المتواصل لها شعور الإنسان بدخوله مرحلة نهاية العمر وإحساس بفقد الشباب المفعم بالنشاط والحيوية ، المليء بالأحداث التي تدخل السرور والبهجة على النفس كلما تذكر ذلك ، فيتحدث الشاعر عن تلك الأيام الخوالي لعله يتناسى ما آل إليه وضعه وحالته النفسية ، فيجد في ذلك الحديث أنساً وطمأنينة وتسلية لنفس سلبتها الشيخوخة لهوها وإنشغالها بجماليات الشباب .

تمثل حنين شوقي في ذكرياته الماضية إلى كل ما هو جميل قد عايشه في فترةٍ من فترات حياته ، ومن أكثر تلك الذكريات فترات الشباب والرحلات الجميلة التي قضاها شوقي في حله وترحاله بين مصر ولبنان وفرنسا وتركيا وبعض الدول الأخرى .

إنَّ أجمل فترات العمر عند الإنسان هي مرحلة الشباب وما يصاحبها من عنفوان وأوقات جميلة يتذكرها المرء ويتمنى عودتها ؛ لأن فترة الشاب تمثل القوة والسعادة والمرح والفرح في النفس البشرية ، وكم من شاعر لم يتمالك نفسه عند الحديث عن أزهى فترات العمر وأحفلها بالمنجزات الجبارة في نظره ، أما شوقي فكان حنينه لمرحلة الشباب لا يوصف ، حيث إنه أكثر الحديث عن تلك المرحلة ، وكلما ذكر تلك المرحلة يزداد شوقه لها حيث يقول في قصيدة ذاكراً تلك الأيام الجميلة باكياً ومودعاً أجمل اللحظات التي أصبحت أحلاماً طوى الدهر أحداثها : (الكامل)

شَــــيَّعتُ أَحلامـــــي بِقَلـــبٍ بـــــاكِ ... وَلَمَحــتُ مِــن طُــرُقِ المِــلاحِ شِــباكي
وَرَجَعــــــــتُ أَدراجَ الـــــــشَبابِ وَوَردِهِ ... أَمـــشي مَكانَهُمـــا عَلــــى الأَشـــواكِ
وَبِجـــــانِبي واهٍ كَـــــأَنَّ خُفوقَـــــهُ ... لَمّـــــا تَلَفَّـــــتَ جَهـــــشَةُ المُتَبـــــاكي
شـــاكي الـــسِلاحِ إِذا خَـــلا بِـــضُلوعِهِ ... فَـــإِذا أُهيـــبَ بِـــهِ فَلَـــيسَ بِـــشاكِ
قَـــد راعَـــهُ أَنّـــي طَوَيـــتُ حَبـــائِلي ... مِـــن بَعـــدِ طـــولِ تَنـــاوُلٍ وَفِكـــاكِ

وَيــحَ ابــنِ جَنْبِــي كــلُّ غايــةِ لَــذّةِ   بعــــدَ الـــــشبابِ عزيـــــزةُ الإدراكِ

لــــمْ تبـــقَ منّـــا يـــا فـــؤادُ بقيّـــةٌ   لفتـــــوّةٍ أو فـــــضلةٌ لعــــــراكِ[1]

إنَّ الألم والحسرة التي سيطرت على شوقي في تلك الأبيات وليدة حنين كبير لفترة شبابه ، فتشييع شوقي لتلك الأحلام – التي كانت حقيقة يوماً ما ، عايشها وتمتع بأجوائها وبأحوالها – تبين مدى تعلقه بتلك اللحظات ، هذه اللحظات التي قضاها في أجمل المناطق في مدينة زحلة بلبنان وزارها وهو كبير فحنَّ لتلك الأيام ورجع مستذكراً أيام شبابه ، فالقلب خفاق يكاد يطير مثل عصفور بلله القطر ، يبكي أزهى مراحل حياته ، ولم يبق إليه إلا الأطلال التي تركت في صدره أثراً لا يمكن أن يندثر فقد " شبّه شبابه وذكرياته بمفقودٍ توارى لا أمل في عودته، لم يبقَ منه إلا الذكرى التي قد تخفّف عنه صعوبة واقعه القاسي، الذي لا حيلة ولا مقدرة تخفّف عنه تلك المأساة، فكأنّه أعزل يجابه أعتى الخطوب ، فلما عجز عن مقاومتها ، تغنّى بسلاح الصبر، سلاحه الوحيد في مقاومة بلوى الدهر "[2] .

" فهذه الأبيات قالها وهو على أبواب الشيخوخة فعاد إليه شبابه ، جلس في واد ظله ظليل ، ونسيمه عليل ، فذكر عيشته الأولى التي عاشها ، ذكر شبابه وهواه ، ذكر نعيمه وترفه، ذكر لهوه وعبثه ، فتمثلت له أشباح حياته فأسف وتلهف ، فتزهد مرة وتغزل مرة ، وشب حينا وشاخ حيناً ، عادت إليه صور العناق والهوى والصبابة والشباب ، فانتفضت روحه من مكمنها ودب فيه نشاط الحياة ونعيمها وسرورها "[3] .

يخاطب شوقي أيام شبابه مخاطبة المترجي لها بالعودة ، المتمني أن تسحبه إلى مضمارها ، لعله يعيد تلك الأوقات الجميلة فيقول : (الطويل)

أَقـــولُ لِأَيّـــامِ الـــصِبا كُلَّمـــا نَـــأَت   أَمـــا لَـــكَ يـــا عَهـــدَ الـــشَبابِ مُعيـــد

وَكَيـــفَ نَـــأَت وَالأَمـــسُ آخـــرُ عَهـــدِها   لَأَمـــسُ كَبـــاقي الغـــابِراتِ عَهيـــدُ[4]

---

(١) الشوقيات : ص٤٦٦ .

(٢) مقدمة القصيدة عند شعراء مدرسة الإحياء والبعث : عبد العزيز الثبيتي ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القري – المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٠ ، ص٩٩ .

(٣) دراسة عن شوقي : شفيق جبري ، دار قتيبة للطباعة و النشر و التوزيع ، ط١ – ١٩٩٧ ، ص٦٥ .

(٤) الشوقيات : ص٢٤٤-٢٤٥ .

إنَّ أيام شباب شوقي لا تفارقه يخاطبها ويتمنى عودتها فهي حاضرة في فكره ووجدانه مهما نأت وابتعدت إلا أن الذكرى خالدة بداخله ، يعيش في أجوائها كلما عنَّ له ماضي تلك الأيام ، يتذكر رحلاته في فصل الربيع والزهور الجميلة التي تسحر النفس برائحتها وبجمالها فيقول : (الكامل)

إنّـــي لَأَذكُـــرُ بِـــالرَبيعِ وَحُـــسنِهِ   عَهـــدَ الـــشَبابِ وَطَرفِـــهِ المِمـــراحِ
هَـــل كـــانَ إِلّا زَهـــرَةً كَزُهـــورِهِ   عَجِـلَ الفَنـاءُ لَهـا بِغَيـرِ جُنـاحِ(١)

فالذكرى التي حلت بشوقي لماضيه الجميل ، وربط ذلك بفصل الربيع الذي يمثل الجمال بعينه والسحر والرونق ، ففترة الشباب كما يصفها شوقي زهرة من زهور هذا الفصل الجميل بمناخه وأجوائه الرائعة ، هذه الزهرة التي ما زالت عالقة بقلب الشاعر يغذيها من دمائه ؛ لتبقى تبث له شذا الشباب وحلاوة العمر وتذكره بأفضل الأوقات ، فلقد عانى شوقي من مهاجمة المشيب له ، واغتيال تلك اللحظات من حياته ، ومن ذلك قوله في وصف هذا الهجوم على الشباب : (المتقارب)

وَغـــالَ الحَداثَـــةَ شَـــرخُ الـــشَبا   بِ وَلَـو شِـيَتِ المُـردُ فـي الـشُيَّبِ
سَـــرى الـــشَيبُ مُتَّئِـــداً فـــي الـــرُؤو   سِ سُرى النـارِ فـي المَوضِـعِ المُعـشِبِ
حَريـــقٌ أَحـــاطَ بِخَـــيطِ الحَيـــا   ةِ تَعَجَّبـــتُ كَيـــفَ عَلَـــيهِم غَبـــي
وَمَـــن تُظهِـــرِ النـــارُ فـــي دارِهِ   وَفـــي زَرعِـــهِ مِـــنهُم يَرعَـــبِ(٢)

يصف شوقي المشيب وفعله بالإنسان وصفاً دقيقاً ، فالمشيب يسري في الرأس وينتشر بسرعة كما النار المشتعلة في الهشيم ، فهو مقدمة لنهاية العمر حيث يرسم طريقاً لملاقاة الله – تبارك وتعالى – فكل إنسان عندما يشتعل رأسه شيباً يدرك النهاية التي باتت قريبة جداً ؛ لأن ذلك من سنة الله في خلقه .

---

(١) الشوقيات : ص ٢٠٣ .

(٢) السابق : ص١٥٢.

ومن ذلك الحنين إلى شبابه ما أنشأه من أشعار باكياً فيها انقضاء شبابه وذهابه إلى غير رجعة حيث يصف حنين قلبه لتلك الأيام التي مرت عليه ، وقد شكلت له جمالاً كبيراً ، وتركت في نفسه شوقاً وتوقاً لتلك الذكريات حيث يقول : (البسيط)

أبكـــي الـــصباء رخيـــاً مِـــنْ أعنَّتِــه ... جَــرَى بِنَــا لِمــدى اللِّــذاتِ يقطعُــه

صـــحا الفـــؤادُ علـــى آثـــار كبوتِـــه ... إلا أمـــــاني لا تنفـــــكُّ تخدعُـــــه

إذا تمثلتـــه فـــي اللـــبِّ طـــارَ لـــه ... ورفــرفَ القلــبُ حتــى خَفــت يتبعُــه

أقـــولُ للـــنفسِ عنـــه لا أغالطُهـــا ... مــضى بــه زمــنُ هيهــات يرجعُــه

إذا صـــبا المـــرءِ ولـــى غيـــر مرتجـــعٍ ... فمـــا لـــه بالتَّـــصابي لا يودعُـــه(١)

يصل شوقي إلى الحقيقة المرة أنَّ عهد الصبا لا يمكن أن يرجعه الزمان ، ومع ذلك يبقى يذكر ذلك ؛ لأن القلب لم يحتمل فقدان تلك الأيام فأصبح يعيش في ذكرياتها ، ويخفق كلما سمع بأخبارها ، ويرفرف كالطير الجريح من آلام الفقد والوجد .

إنَّ شوقي عند حديثه عن أيام الصبا فإنه يخاطب قلبه ، ومخاطبة القلب ومناجاته دليل على الشوق والحنين لأيام مضت ، قضى فيها أجمل الأوقات وأثمنها ، تلك الحالة الشعورية المسيطرة على شوقي كلما تذكر ذكرياته الجميلة تجبره عن الحديث عنها والغوص في أمنياته التي يأمل أن تعود ؛ وهو في ذلك يوصل فكرة جميلة عن تلك الفترات مفادها أنَّ الإنسان مجرد ذكرى فعليه أن يستغل تلك الأوقات حيث يقول في ذلك : (الطويل)

أقـــولُ لقلبِـــي والهـــوى يَـــزْحُمُ الهَـــوى ... حـــوالي الـــصبا والوجـــدُ بالوَجـــدِ يَلتقِـــي

إذا أنـــتَ لـــمْ تُعـــطِ الـــشبيبةَ حقَّهـــا ... نَـــدمْتَ عَلـــى مـــا فَـــاتَ بعـــدَ التَّفَـــرُقِ

وإنَّـــك حـــيٌّ مـــا خفقـــت مُؤمـــلٌ ... وإنَّ حَيـــاتِي فـــي حياتِـــك فـــاخفُقِ(٢)

فواجب على المرء أن يتمتع بفترة شبابه ، وأن يعيش في جو تلك الفترة ، فشوقي يوصي أن تستغل تلك الأوقات فيما ينفع ؛ لأن الإنسان سيندم على كل لحظة ضيعها من فترة شبابك وعليه أن يغتنمها فما مضى لا يمكن أن يعود ، فأيام الشبيبة تحمل في طياتها المرح والسرور ، فالمرء

---

(١) الشوقيات : ص٤١٦ .

(٢) السابق : ص٤٥٩ .

لم يرتبط بعد بمشاغل الحياة وشؤونها ، ولم تُلقَ على عاتقه المسؤوليات المختلفة ، بل إنه متفرغ طول الوقت إلا من بعض مقومات الحياة .

إنَّ من حنين شوقي للماضي تعلقه ببعض المناطق التي زارها وأثنى عليها ثناءً حسناً ، والملاحظ لهذا الإطراء عن تلك الظاهرة التي أسهب فيها شوقي في تذكر أيامه ، يرى أنَّ الماضي الجميل عنده ترك أثراً واضحاً في أشعاره ، والأمثلة تطول وتطول على هذا الغرض ، ومن ذلك قوله : (مجزوء الكامل)

يـــا غـــابَ بولـــونَ وَلـــي	ذِمَـــمٌ عَلَيـــكَ وَلـــي عُهـــود
زَمَـــنٌ تَقَـــضّى لِلهَـــوى	وَلَنـــا بِظِلِّـــكَ هَـــل يَعـــود
حُلُـــمٌ أُريـــدُ رُجوعَـــهُ	وَرُجـــوعُ أَحلامـــي بَعيـــد
وَهَـــبِ الزَمـــانَ أَعادَهـــا	هَـــل لِلـــشَبيبَةِ مَـــن يُعيـــد
يـــا غـــابَ بولـــونَ وَبـــي	وَجـــدٌ مَـــعَ الـــذِكرى يَزيـــد
خَفَقَـــت لِرُؤيَتِـــكَ الـــضُلو	عُ وَزُلـــزِلَ القَلـــبُ العَميـــد
وَأَراكَ أَقـــسى مـــا عَهِـــد	تُ فَمـــا تَميـــلُ وَلا تَميـــد
كَـــم يـــا جَمـــادُ قَـــساوَةً	كَـــم هَكَـــذا أَبَـــداً جُحـــود
هَـــلّا ذَكَـــرتَ زَمـــانَ كُنّـــا	وَالزَمـــانُ كَمـــا نُريـــد(١)

لم يتمالك شوقي نفسه عندما أخذ يتحدث عن مكان أحبه وتفيأ ظلاله بعدما زاره بعد عمر طويل ، يلتفت إلى أيام شبابه الجميلة التي قضاها في هذه الأمكنة ، فيرجع بألم وحسرة على تلك الأوقات ، هذه الأحلام التي يتمنى شوقي عودتها وأن يعيش في أكنافها مراراً وتكراراً ؛ لكنه يقر ببعد الرجوع لهذه الأزمان ، ويفترض جدلاً أنَّ الزمان أعاد تلك الأوقات فلا يمكن أن يعود الشباب ، فيكتفي بمخاطبة (غاب بولون) بأن وجده يزيد بزيادة الذكرى ، هذا المكان الذي مكث فيه أزهى الأوقات وأجملها حيث الراحة والطمأنينة والنشاط العاطفي ، فغاب بولون مقصد للعشاق والمحبين لشده جمالها وسحرها ومناظرها الخلابة ، فقلب شوقي يتزلزل كالجبل الأشم من الذكرى، ومن الحنين لتلك الأيام والعهود التي قطعها شوقي على نفسه ؛ لكن المكان الذي قصده

---

(١) الشوقيات : ص٢٧٥ .

شوقي بعد طول غياب لم يقابله نفس الشعور الذي يكنه لأنه جماد ، فينكر شوقي عليه هذا الجحود ويذكره بالأيام الخوالي التي قضاها في ربوعه .

وليس ببعيد عن فرنسا يخاطب شوقي مدينة باريس التي قضى بها وقتاً للدراسة ، فتنقل بين أماكنها الجذابة التي تسحر العيون والقلوب ، فهي عنوان للجمال على مر العصور ومن تلك المخاطبة التي توحي بنوع من الحنين لأيام قضاها في مدينة الأضواء : (الطويل)

يــا مَكتَبَــي قَبــلَ الــشَبابِ وَمَلعَبــي	وَمَقيــلَ أَيّــامِ الــشَبابِ النــوكِ
وَمَــراحَ لَــذّاتي وَمَغــداها عَلــى	أُفُــقٍ كَجَنّــاتِ النَعــيمِ ضَــحوكِ
وَسَــماءَ وَحــيِ الــشِعرِ مِــن مُتَــدَفِّقٍ	سَــلِسٍ عَلــى نَــولِ الــسَماءِ مَحــوكِ(١)

لقد عاد شوقي بذكرياته إلى مدينة باريس فغلبه الشوق والحنين لتلك الأيام ، فأخذ يعدد جماليات تلك المدينة ، ويذكر أيامه فيها فكانت ملعبه وأنسه ، ومن بين أرجائها غذّيت ربة الشعر عنده ، فكانت سبباً في بروز تلك الملكة الشعرية الفذة .

أما حنينه لأيام قضاها في بلاد الآستانة التي كانت عامرة بالخلافة الإسلامية ومرجعاً لكل مسلم ، فقد كان حنينه مختلفاً لتلك الأيام حيث الجمال الروحي والجمال الحقيقي المنتشر بين أطرافها ، ووصفه لها بأنها جنة الدنيا يحمل بداخله الشيء الكثير تجاهها ومن ذلك ما جاء في أشعاره المختلفة حيث يقول : (الوافر)

تَجَلَّــدَ لِلرَحيــلِ فَمــا اِســتَطاعا	وَداعــاً جَنَّــةَ الــدُنيا وَداعــا
عَــسى الأَيّــامُ تَجمَعُنــي فَــإِنّي	أَرى العَــيشَ اِفتِراقــاً وَاِجتِماعــا
أَلا لَيــتَ الــبِلادَ لَهــا قُلــوبٌ	كَمــا لِلنــاسِ تَنفَطِــرُ اِلتِياعــا
وَلَيــتَ لَــدى فُــروقٍ بَعــضَ بَثّــي	وَمــا فَعَــلَ الفُــراقُ غَــداةَ راعــا
أَمــا وَاللَــهِ لَــو عَلِمَــت مَكــاني	لَأَنطَقَــتِ المَــآذِنَ وَالقِلاعــا
حَــوَت رِقَّ القَواضِــبِ وَالعَــوالي	فَلَمّــا ضُــفتُها حَــوَتِ اليَراعــا
سَــأَلتُ القَلــبَ عَــن تِلــكَ اللَيــالي	أَكُــنَّ لَيالِيــاً أَم كُــنَّ ســاعا

---

(١) الشوقيات : ص٤٧٢ .

فَقـــالَ القَلـــبُ بَـــل مَـــرَّت عِجـــالاً كَـــــــدَقّاتي لِـــــــذِكراها سِـــــــراعا[١]

فشوقي لم يستطع نسيان تلك الأيام في الآستانة ، لما شملته من جمالها الساحر وأجوائها التي تبعث في النفس الراحة والاطمئنان ، فهو متعلق بالذكرى لتلك الليالي التي مرت سريعاً مرور البرق ، يسأل نفسه هل هي بالفعل كانت ليالي أم كانت ساعة ؟ سؤال يوحي بسرعة الأوقات التي مرت ، فالأوقات الجميلة تنقضي بشكل سريع ، فالذكرى ساكنة في أعماق قلبه ، ومن حنين شوقي لليالي الجميلة التي قضاها في شبابه ما يقوله في وصف إحدى الليالي الخالية: (البسيط)

يـا ليلـة البـالِ مـا خـالوك راقـصةً إلا وأنـتَ جمـال الـدهرِ والحقـبِ
كَـمْ لـذة بـك وَلَّـت وانقَـضت وخلـت وذكرهـا فيـه لـم يبـرحْ ولـم يغـبِ[٢]

تلك الليالي التي أحييت الحنين لها في قلب شوقي وكيانه ، فذكراها خالدة مخلدة في تفكيره ، فهي مثال للجمال وللذات التي قضاها في أيام شبابه ، حيث جعلها من الأمور التي يسلي النفس بها كلما مرت عليه ضائقة ما ، أو عندما يريد أن يبحر في ماضيه الجميل .

---

(١) الشوقيات : ص٤٠٩ .

(٢) السابق : ص١٧١ .

المطلب الرابع : الحنين الديني :

غلبت على شوقي النزعة الدينية ، فلقد كان كثير الحديث عن شؤون المسلمين وما يحدث لهم من طوارئ في الحياة ، فقد وصفه الدكتور محمد حسين هيكل في مقدمة الديوان بأنه : "مؤمن عامر النفس بالإيمان ، مسلم يقدس أخوة المسلمين ، ويجعل من دولة الخلافة قدساً تفيض عليه شؤونه وحوادثه وحي الشعر وإلهامه ، حكيم يرى الحكمة ملاك الحياة وقوامها ، محافظ في اللغة العربية تتسع لكل صورة ولكل معنى ولكل فكرة ولكل خيال "(١) ثم يردف قائلاً : "فشوقي شاعر الإسلام والمسلمين ، كما أنه شاعر مصر وشاعر الشرق ، وعاطفة المسلم تتجه حتى العصور الأخيرة إلى جهتين ، ثم إلى قومين : فهي تتجه صوب مكة مسقط النبي – صلى الله عليه وسلم – ومقام إبراهيم – عليه السلام – كعبة المسلمين وقبلة أنظارهم ، ومكة في بلاد العرب والنبي عربي والقرآن عربي . وهي تتجه – أو كانت تتجه – صوب الآستانة مقر الخلافة الإسلامية ، ومقام الخليفة من آل عثمان . والآستانة عاصمة الترك، وخليفة المسلمين كان في تركيا ، فكل مسلم تعنيه وحدة المسلمين كان يتجه ببصره – إلى حيث ألغيت الخلافة – نحو مكة ونحو الآستانة ، يستمد من الأولى المدد الروحي ، ومن الثانية مدد السيف والمدفع ". (٢)

وتذكر سعاد عبد الوهاب عبد الكريم هذه النزعة الواضحة في شعر شوقي فتقول : " أما شوقي فقد تفوق على أقرانه من الشعراء في شعره الإسلامي ، وأصبح هذا التيار واضحاً في صوره الشعرية، وأصبحت هذه القيم الدينية في قداستها تشكل جانباً من وعيه الشعري ووجد شوقي في التيار الإسلامي معجماً ثرياً يستمد منه مادته التعبيرية والتصويرية " (٣).

لقد تمثل الحنين الديني عند شوقي في عدة محاور ، وعند حديثه عن أي منها كانت تفوح رائحة الشوق والحنين لكل منها فهي متعلقة بالدين الإسلامي الحنيف ، وشوقي كما عرف عنه أنه شاعر الإسلام والمدافع عن أمور المسلمين ، ومن الأمور الدالة على الحنين عند شوقي :

---

(١) الشوقيات : المقدمة ص٢٢ .

(٢) السابق : المقدمة ص٢٨ .

(٣) إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية : سعاد عبد الوهاب عبد الكريم ، مطابع الجيزة ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٩٨٥ ، ص٤-٥.

أولاً : المدائح النبوية :

" كان النبي – صلى الله عليه وسلم – وما يزال النموذج المثالي الذي تهفو إليه القلوب المؤمنة ، وتتعطر بسيرته الألسنة الذاكرة ، فهو المثل الأعلى والقدوة الحسنة والرجاء المنشود ، كثيراً ما لهج الشعراء بمدحه وأشادوا بمناقبه ، ورددوا سيرته تعبداً وتشفعاً وتبركاً ، يستوي في ذلك شعراء الصوفية وغير الصوفية على مر العصور ". (١)

فلقد مدح شوقي رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم – في مواضع كثيرة من ديوانه ، وجعل من هذا المدح عبادة يتقرب بها إلى الله – تبارك وتعالى – وطلباً للعفو والمغفرة من خالق البشرية جمعاء ، وحنيناً صادقاً لخير من وطأ الثرى ، فكانت قصائده في الرسول – صلى الله عليه وسلم – جواهر تزين بها ديوانه ، ولآلئ أضفت على أشعاره بريقاً خاصاً ، حيث جاءت تلك القصائد لترسم ميلاد شاعر إسلامي فذ ، أبدع فأمتع ، وأنشد فأسمع ، وأخذ من الحوادث التي حوتها السنة النبوية الشريفة منطلقاً إلى الإبداع الشعري الذي أصبح شعراً يلقى صباح مساء لكل من أراد الحديث عن المصطفى – صلى الله عليه وسلم – .

كان مدح شوقي للرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – تمثلاً للجوانب الدينية ، وتطلعاً لواقع أجمل للمسلمين ، وتذكيراً لهم بأنهم أمة قائد عظيم لم يخلق له مثيل – صلوات ربي وسلامه عليه – " فشوقي يتجاوب مع هذه المعاني الإسلامية التي تجيش بها قلوب المسلمين نحو خاتم المرسلين فلا تفوته مناسبة إلا يذكر فيها سيرته – صلى الله عليه وسلم – مشيداً بفضائله الكريمة وشمائله الرفيعة ، متضرعاً ملتمساً شفاعته – صلى الله عليه وسلم – مستغيثاً به لتفريج كروب الأمة الإسلامية ، وموجهاً لها لتتخذ منه القدوة والأسوة حتى تستعيد مجدها التليد ، وتسترجع ماضيها المجيد ".(٢)

عبر شوقي عن حنينه للمصطفى – صلى الله عليه وسلم – من خلال اغتنام مناسبات تخص الرسول الكريم ، ومثال ذلك ما أنشأه شوقي في ذكرى المولد النبوي حيث غرد الأمير بأعذب الألحان وأشداها في وصف الرحمة المهداة (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول :

---

(١) إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية : سعاد عبد الوهاب عبد الكريم ، ، ص١٢٤ .

(٢) السابق ، ص١٢٤ .

(الكامل)

وُلِــــدَ الهُـــدى فَالكائِنـــاتُ ضِـــياءُ ... وَفَـــمُ الزَمـــانِ تَبَـــسُّمٌ وَثَنـــاءُ

الـــروحُ وَالمَـــلَأُ المَلائِـــكُ حَولَـــهُ ... لِلـــدينِ وَالـــدُنيا بِـــهِ بُـــشَراءُ

يــا خَيــرَ مَــن جــاءَ الوُجــودَ تَحِيَّــةً ... مِــن مُرسَـلينَ إِلــى الهُـدى بِـكَ جـاؤوا

بَيـــتُ النَبِيّـــينَ الَّـــذي لا يَلتَقـــي ... إِلّا الحَنـــائِفُ فيـــهِ وَالحُنَفـــاءُ [1]

اعتبر شوقي ميلاد الرسول – صلى الله عليه وسلم – نوراً أضاء السماوات والأرض ، استقبله الزمان ببشاشة وفرح ؛ فهذا ميلاد خير البرية الذي ملأ الدنيا عدلاً ورحمةً ، فالله – تبارك وتعالى – أرسله رحمة للناس حيث يقول – عز وجل – : " وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَـٰلَمِينَ " [2] ، ثم يصف شوقي الفرحة العظيمة بقدوم النبي الكريم ، فهو البشرى التي جيء بها لهذه الدنيا . ثم يطلق شوقي لحنينه العنان معبراً عن صفات المصطفى التي لم تتوفر إلا في شخصه – صلوات ربي وسلامه عليه – حيث يقول : (الكامل)

فَــإِذا سَــخَوتَ بَلَغــتَ بِــالجودِ المَــدى ... وَفَعَلـــتَ مـــا لا تَفعَـــلُ الأَنـــواءُ

وَإِذا عَفَـــوتَ فَقـــادِراً وَمُقَـــدَّراً ... لا يَـــستَهينُ بِعَفـــوِكَ الجُهَـــلاءُ

وَإِذا رَحِمـــتَ فَأَنـــتَ أُمٌّ أَو أَبٌ ... هَـــذانِ فـــي الـــدُنيا هُمـــا الرُحَمـــاءُ

وَإِذا غَــضِبتَ فَإِنَّمـــا هِـــيَ غَــضبَةٌ ... فـــي الحَـــقِّ لا ضِـــغنٌ وَلا بَغــضاءُ

وَإِذا رَضـــيتَ فَــذاكَ فـــي مَرضـــاتِهِ ... وَرِضـــى الكَثيـــرِ تَحَلُّـــمٌ وَرِيـــاءُ

وَإِذا خَطَبـــتَ فَلِلمَنـــابِرِ هِـــزَّةٌ ... تَعـــرو النَـــدِيَّ وَلِلقُلـــوبِ بُكـــاءُ [3]

فهو قمة في الجود والكرم ، فإذا جاد كان سخياً كريما بلغ جوده أقصى الدرجات ، فلا يصل إلى جوده أحد حتى المبشرات بقدوم الغيث ، وهو المتسامح الذي ضرب لنا أمثلة في التسامح ، فشوقي يعدد هذه الصفات التي رسخت في كيانه وأنشأت حباً مختلفاً عن حب الناس الآخرين ،

---

(١) الشوقيات : ص٣٣ .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

(٣) الشوقيات : ص٣٤ .

فأخذ يجمل تلك الصفات العظيمة للرسول – صلى الله عليه وسلم – فهو مثال للرحمة بين البشر، فغضبه من أجل الله ودينه لا يعرف الحقد والضغينة إلى قلبه سبيلاً ، ورضاه من رضا المولى – عز وجل – ولخطبته هيبة لها وقع كبير على النفوس والقلوب .

ومن حنينه للرسول – صلى الله عليه وسلم – تقديمه تلك القصائد مشبهاً إياها بالعرائس ، حيث يقول فيها : (الكامل)

لـي فـي مَـديحِكَ يـا رَسـولُ عَـرائِسٌ	تُـيِّمنَ فيـكَ وَشـاقَهُنَّ جَـلاءُ
هُـنَّ الحِـسانُ فَـإِن قَبِلـتَ تَكَرُّمـاً	فَمُهـورُهُنَّ شَـفاعَةٌ حَـسناءُ
أَنـتَ الَّـذي نَظَـمَ البَرِيَّـةَ دينُـهُ	مـاذا يَقـولُ وَيَـنظُمُ الـشُعَراءُ
المُـصلِحونَ أَصـابِعٌ جُمِعَـت يَـداً	هِـيَ أَنـتَ بَـل أَنـتَ اليَـدُ البَيـضاءُ
مـا جِئـتُ بابَـكَ مادِحـاً بَـل داعِيـاً	وَمِـنَ المَـديحِ تَـضَرُّعٌ وَدُعـاءُ
أَدعـوكَ عَـن قَـومي الـضِعافِ لِأَزمَـةٍ	فـي مِثلِهـا يُلقـى عَلَيـكَ رَجـاءُ(١)

فيكشف شوقي عن هدفه الأوحد وهو الدعاء الصادق الذي جعل من المدح وسيلة له ، دعاء خص به أمة محمد التي أصبحت ضعيفة لا تقوى على مجاراة الأمم ، هذا الحس العظيم من شوقي تجاه أمته لهو خير دليل على انتمائه الشديد لدينه وأمته .

أما في قصيدته نهج البردة التي جعل من مدحه للرسول – صلى الله عليه وسلم – ذخراً يلجأ إليه يوم الحساب ، حيث يقول : (البسيط)

إِن جَـلَّ ذَنبـي عَـنِ الغُفـرانِ لـي أَمَـلٌ	فـي اللَـهِ يَجعَلُنـي فـي خَيـرِ مُعتَـصِمِ
أَلقـى رَجـائي إِذا عَـزَّ المُجيـرُ عَلـى	مُفَـرِّجِ الكَـرَبِ فـي الـدارَينِ وَالغَمَـمِ
إِذا خَفَـضتُ جَنـاحَ الـذُلِّ أَسـأَلُهُ	عِـزَّ الـشَفاعَةِ لَـم أَسـأَل سِـوى أُمَـمِ
وَإِن تَقَـدَّمَ ذو تَقـوى بِـصالِحَةٍ	قَـدَّمتُ بَـينَ يَدَيـهِ عَبـرَةَ النَـدَمِ
لَزِمـتُ بـابَ أَميـرِ الأَنبِيـاءِ وَمَـن	يُمـسِك بِمِفتـاحِ بـابِ اللَـهِ يَغتَـنِمِ
فَكُـلُّ فَـضلٍ وَإِحـسانٍ وَعارِفَـةٍ	مـا بَـينَ مُـستَلِمٍ مِنـهُ وَمُلتَـزِمِ

---

(١) الشوقيات : ص٣٨ .

عَلَّقــتُ مِــن مَدحِــهِ حَــبلاً أُعَــزُّ بِــهِ   فــي يَــومِ لا عِــزَّ بِالأَنــسابِ وَاللُحَــمِ[1]

هذا الاستغفار الذي ملأ قلب شوقي في تلك المدائح النبوية كان منشؤه عقيدة راسخة قوية لديه بأنَّ الله هو الغفار المجيب الدعاء ، فكانت هذه المدائح تقرباً من شوقي لله وعبادة له ، وحنيناً لرؤية المصطفى – صلى الله عليه وسلم – ولنيل شفاعته ، فهو خير شفيع لأمته يوم القيامة ، فقد علق شوقي مدحه حبلاً يلجأ إليه في يوم يفر المرء فيه من أعز إنسان له في الدنيا، ولا تنفعه الأنساب والأصهار .

ولعل أصدق تعبير عن حنين شوقي للرسول – صلى الله عليه وسلم – ما قاله وعينه تفيض بالدمع مهابةً وحباً لرسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – ، فكان هذا الحنين الباعث الحقيقي لحديثه عن معلم البشرية الخير ، حيث يقول واصفاً حنينه : (الطويل)

وَفاضَــت مَــعَ الــدَمعِ العُيــونُ مَهابَــةً   لِأَحمَــدَ بَــينَ الــسِترِ وَالحُجُــراتِ
وَأَشــرَقَ نــورٌ تَحــتَ كُــلِّ ثَنِيَّــةٍ   وَضــاعَ أَريــجٌ تَحــتَ كُــلِّ حَــصاةِ[2]

إنَّ العيون لتشتاق للمصطفى والقلوب تحن لذكراه ، فهو نور أشرق على البشرية ، وأنار قلوبها وأفئدتها ، ونشر الطيب والعطر ليعم أرجاء المعمورة ، ويذكر شوقي ذلك قائلاً : (مجزوء الوافر)

ويمـــشي نـــور احمـــد فـــي   ظـــلام الجهـــل يهزمـــه
وفـــي النيـــران يخمـــدها   وفـــي الإيـــوان يثلمـــه
وفـــي المعـــوج فـــي ديـــن   ومـــن دنيـــا يقومـــه
فلمـــا تـــم مـــن طهـــر   ومـــن شـــرف تقـــسمه
تجلـــى مولـــد الهـــادي   يـــضيء الكـــون موســـمه
هلمـــوا أهـــل ذا النـــادي   علـــى قـــدم نعظمـــه[3]

---

(١) الشوقيات : ص٦١٢-٦١٣ .
(٢) السابق : ص١٨٦ .
(٣) السابق : ص٥٩٩ .

عندما يصدح الأمير بأشعاره ، ويغرد بأجمل الألحان في ذكرى خير الأنام ، فيدخل الشوق إلى قلوب من قرأ تلك الأشعار ، ويسعد نفوس مشتاقة يملأها الحنين للقيا المصطفى ، فها هو شوقي يطلب من الأمة الإسلامية أن تسير على خطى نبيها وتعظمه ، وتقتفي أثره فهو الذي هزم الباطل ، وأقام منطق كل أعوج منطق ، وأضاء الكون بنور الإسلام العظيم .

ثانياً : حنينه لمجد المسلمين وتاريخهم وحاضرهم :

إنَّ تاريخ المسلمين العظيم ، ومجدهم التليد يبعث في نفس كل مسلم في أي وقت مزيداً من الحنين لتلك الأيام العظيمة التي رسمت حضارة إسلامية تغنى بها الغرب قبل العرب ، واعترف الجميع بفضلها على تطور العلوم المختلفة إلى وقتنا الحاضر ، فقادة المسلمين في عصور الازدهار عملوا على الرقي بالأمة ورفعتها ، فأسسوا نواة الحضارة الإسلامية التي ملأت الأقطار من أواسط أوروبا غرباً إلى مشارف الصين شرقاً ، وقد عرف عن شوقي حبه للقديم ، فهو من رواد مدرسة الإحياء والبعث التي أخذت على عاتقها إحياء التراث العربي القديم وبث الحياة فيه من جديد ، فشوقي عبر عن حنينه لتلك الأيام ولهؤلاء القادة من خلال الحديث عنهم، ومن ذلك قوله في بني أمية : (البسيط)

بَنـــو أُمَيَّـــةَ لِلأَنبـــاءِ مـــا فَتَحـــوا	وَلِلأَحاديـــثِ مـــا ســـادوا وَمـــا دانـــوا
كـــانوا مُلوكـــاً سَـــريرُ الـــشَرقِ تَحـــتَهُمُ	فَهَـل سَـأَلتَ سَـريرَ الغَـربِ مـا كـانوا
عـالينَ كَالـشَمسِ فـي أَطـرافِ دَولَتِهـا	فـــي كُـــلِّ ناحِيَـــةٍ مُلـــكٌ وَسُـــلطانُ
يـا وَيـحَ قَلبِـيَ مَهمـا اِنتـابَ أَرسُـمَهُم	سَـــرى بِـــهِ الهَـــمُّ أَو عادَتـــهُ أَشـــجانُ
بِـالأَمسِ قُمـتُ عَلـى الزَهـراءِ أَنـدُبُهُم	وَاليَـومَ دَمعـي عَلـى الفَيحـاءِ هَتّـانُ(١)

لقد تمثل حنين شوقي الديني لأيام سادت فيها الخلافة الإسلامية ، وكان يقودها آنذاك بنو أمية ، فقد ملكوا المشرق والمغرب وسادوا أقواماً كثر حتى أصبحت دولتهم مترامية الأطراف ، وملكهم وسلطانهم عمّ الآفاق ؛ لكنَّ الحزن يداهم شوقي على ما آلت إليه أوضاعهم ، وقد دثرتهم الأيام وأصبحوا تأريخاً يذكر بين دفات الكتب لا غير . تلك الأحزان التي ظهرت واضحة عندما زار شوقي دمشق ، فرأى آثار بني أمية والمسجد الأموي ، حتى أنه وصف المسجد بالمحزون ،

(١) الشوقيات : ص٧٠٠ .

وأخذ يسأل المسجد عمَّن كانوا رموزاً من أمثال مروان بن عبد الملك ، حيث يقول شوقي عند مروره بالمسجد النبوي : :(البسيط)

مَـــرَرتُ بِالمَـــسجِدِ المَحـــزونِ أَســـأَلُهُ ... هَـل فـي المُـصَلّى أَوِ المِحـرابِ مَـروانُ؟
تَغَيَّـــرَ المَـــسجِدُ المَحـــزونُ وَاِختَلَفَـــت ... عَلـــى المَنـــابِرِ أَحـــرارٌ وَعِبـــدانُ
فَـــلا الأَذانُ أَذانٌ فــــي مَنارَتِــــهِ ... إِذا تَعــــــــــالى وَلا الآذانُ آذانُ[١]

أما حديثه عن القادة ودورهم في خدمة الدين وإعلاء كلمته ، والدفاع عن الأمة فكان دليلاً علـى حنين شـوقي لأيـام الانتـصارات ، حيـث يتخـذ مـن أي انتـصار للخلافـة العثمانيـة تـذكرة بانتصارات المسلمين الأوائل ، ومن القادة الأتراك باعثين لخطط القادة الأوائل ، ومن ذلك قوله : (البسيط)

اللَـهُ أَكبَـرُ كَـم فـي الفَـتحِ مِـن عَجَـبِ ... يـا خالِـدَ التُـركِ جَـدِّد خالِـدَ العَـرَبِ
صُـلحٌ عَزيـزٌ عَلـى حَـربٍ مُظَفَّـرَةٍ ... فَالـسَيفُ فـي غِمـدِهِ وَالحَـقُّ فـي النُـصُبِ
يـا حُـسنَ أُمنِيَّـةٍ فـي الـسَيفِ مـا كَـذَبَت ... وَطيـبَ أُمنِيَّـةٍ فـي الـرَأيِ لَـم تَخِـبِ[٢]

لقد ظهر فخر شوقي بقادة الإسلام في عصره وشبههم بالقادة العظام ، فهو يرى أنَّ للإسلام أسوداً وهبوا أنفسهم للدفاع عن هذا الدين العظيم ، وما هذا الفخر إلا شوق لمجد المسلمين في عزهم وسلطانهم .

ومن أشعاره التي يصف فيها أحد قادة الخلافة الإسلامية في تركيا حيث وصفه بأنه امتداد لحكم النبي – صلى الله عليه وسلم – فقد حافظوا على العز والرفعة ، وعلى مجد المسلمين وفخارهم ومن ذلك قوله : (الكامل)

هَـــزَّ اللِـــواءُ بِعِـــزِّكَ الإِســـلامُ ... وَعَنَـــت لِقـــائِمِ سَـــيفِكَ الأَيّـــامُ
وَاِنقـــادَتِ الـــدُنيا إِلَيـــكَ فَحَـــسبُها ... عُـــذراً قِيـــادٌ أَسلَـــسَت وَزِمـــامُ
وَمَـشى الزَمـانُ إِلـى سَـريرِكَ تائِبـاً ... خَجِـــلاً عَلَيـــهِ الـــذُلُّ وَالإِرغـــامِ
عَـــرشُ النَبِـــيِّ مُحَمَّـــدٍ جَنَباتُـــهُ ... نـــورٌ وَرَفرَفُـــهُ الطَهـــورُ غَمـــامُ[٣]

(١) الشوقيات : ص٧٠١ .
(٢) السابق : ص١٦٢ .
(٣) السابق : ص٥٧٩ .

أما حديث شوقي عن الخلافة فقد انطلق من منطلق ديني ، ومن حنين صادق لأمجاد المسلمين ، " فشوقي شاعر من الشعراء الذين عرفوا البواعث الإسلامية والتركية في شعرهم، وليس من شك في أنَّ شوقي كان أكثر شعراء مصر تمجيداً للترك وإشادة بالخلافة ، وولاء للخليفة ، ولطالما مجد الترك إذ انتصروا ونوه ببطولتهم ، وضفر أكاليل الغار على هامات قادتهم ، وطالما رجع على الوتر الحزين إذا انهزموا ، وبكى الأقاليم والمدن المقتطعة من الخلافة، وكثيراً ما حض على مؤازرتهم في محنتهم ، كما حث على المسارعة إلى نجدتهم في نكباتهم "(١) ، حيث يرسم شوقي في قصيدة رثاء الخلافة صورة حزينة لواقع العالم الإسلامي ، بعدما نزعت أجمل قلادة كانت تزين الأمة الإسلامية في واقعها وماضيها وحاضرها ، حيث يقول (الكامل)

إنَّ الَّــذينَ أَسَــت جِراحَــكِ حَــربُهُم ... قَتَلَتــكِ سَــلمُهُمُ بِغَيــرِ جِــراحِ
هَتَكــوا بِأَيــديهِم مُــلاءَةَ فَخــرِهِم ... مَوشِــيَّةً بِمَواهِــبِ الفَتّــاحِ
نَزَعــوا عَــنِ الأَعنــاقِ خَيــرَ قِــلادَةٍ ... وَنَــضَوا عَــنِ الأَعطــافِ خَيــرَ وِشــاحِ
حَــسَبٌ أَتــى طــولُ اللَيــالي دونَــهُ ... قَــد طــاحَ بَــينَ عَــشِيَّةٍ وَصَــباحِ
وَعَلاقَــةٌ فُــصِمَت عُــرى أَســبابِها ... كانَــت أَبَــرَّ عَلائِــقِ الأَرواحِ(٢)

ثالثاً : حنينه إلى الديار المقدسة :

تمثل الديار المقدسة مقصداً لكل مسلم ، فالنفس تتوق إلى الصلاة في المسجد الحرام ، والسلام على المصطفى – صلوات ربي وسلامه عليه – فشوقي كعامة المسلمين يحن إلى تلك الديار الحجازية التي تتلهف العين لرؤيتها ، ويدفع الحاج الغالي والنفيس ليزور تلك البقاع المطهرة ، فلقد كانوا في القدم يمضون ليالي وشهوراً مسافرين وشادي الركاب إليها ، متحملين وعثاء السفر والعناء الشديد ، قاطعين الصحراء والفيافي حباً في أداء الشعائر الدينية التي فرضها الله – سبحانه وتعالى – عليهم . يذكر شوقي حنينه للأماكن المقدسة عندما تحدث عن رحلة الخديوي توفيق إلى بلاد الحجاز حاجاً حيث يذكر فضائل تلك الأمكنة التي تشتاق القلوب لها قائلاً : (الطويل)

فعَلــى كُــلِّ أُفــقٍ بِالحِجــازِ مَلائِــكٌ ... تَــزُفُّ تَحايــا اللَــهِ وَالبَرَكــاتِ

---

(١) إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية : سعاد عبد الوهاب عبد الكريم ، ص١٨.

(٢) الشوقيات : ص٢٠٤.

وَفـــي الكَعبَـــةِ الغَـــرّاءِ رُكـــنٌ مُرَحِّـــبٌ   بِكَعبَـــــةِ قُـــــصّادٍ وَرُكـــــنِ عُفـــــاةِ [1]

أما حديثه عن هذه العبادة الجليلة المفروضة على كل مسلم قادر ، ومدى امتثالهم لله – تبارك وتعالى – حيث يقول : (الطويل)

لَـــكَ الـــدينُ يـــا رَبَّ الحَجـــيجِ جَمَعـــتَهُم   لِبَيـــتٍ طَهـــورِ الـــساحِ وَالعَرَصـــاتِ

أَرى النـــاسَ أَصـــنافاً وَمِـــن كُـــلِّ بُقعَـــةٍ   إِلَيـــكَ اِنتَهَـــوا مِـــن غُربَـــةٍ وَشَـــتاتِ[2]

ومن الملاحظ هذا الأثر الديني الواضح في قصائد شوقي ، وما إكثاره من المدائح النبوية وذكره لأمجاد المسلمين والقادة الأوائل وتغنيه بالديار المقدسة وتمجيده للخلافة الإسلامية وفتوحاتها ؛ إلا حنين خالص وشوق كبير وأنموذج للنزعة الدينية عنده ، ومن تلك الأعمال الشعرية التي نظمها شوقي الدالة على تعلقه بالدين الإسلامي النابعة من حنين صادق أرجوزة (دول العرب وعظماء الإسلام) التي لم يترك فيها شاردة وواردة من تاريخ الإسلام إلا وذكره فيها .

---

(١) الشوقيات : ص١٨٤ .

(٢) السابق : ص١٨٥ .

المطلب الخامس : الحنين إلى المكان :

كثيراً ما يرتبط لفظ المكان بالوطن ؛ لكن هناك مناطق تترك في النفس شوقاً وحنيناً لها ، أماكن يزورها الشاعر في حله وترحاله ، ينجذب إليها وإلى سحرها تارة وإلى تاريخا العريق تارة أخرى ، فلقد كان شوقي كثير الترحال بين الشرق والغرب ، وبين ثنايا الشرق ولا سيما بلاد الشام، المشهورة بين الناس بجمالها الأخاذ وبأجوائها الساحرة ، فزار لبنان وسوريا وتمتع برحلات لم ينسها مطلقاً وأصبحت تأريخاً من ماضٍ جميل ، فكان لتلك الأمكنة حنين خاص عند شوقي أظهره ذلك الإبداع الشعري للأمير .

لقد حازت بلاد الشام على قلب أمير الشعراء ، فكانت زيارته كثيرة لتلك الأماكن ، وتنقل بين المناظر الخلابة بداخلها ، فأنشأ شعره الذي يمتلئ بأعذب التصاوير الفنية والدلالات والإيحاءات التي تعبر عما يكنه لبلاد الشام من حنين ، حيث يقول في حنينه المستمر لمدن لبنان وقراها : (الكامل)

لُبنـــانُ دارَتُـــهُ وَفيـــهِ كِناسُـــهُ	بَـينَ القَنـا الخَطّـارِ خُـطَّ نَحَيتُـهُ
السَلْـسَبيلُ مِـنَ الجَـداوِلِ وَردُهُ	وَالآسُ مِـن خُـضرِ الخَمائِـلِ قوتُـهُ
إِن قُلـتُ تِمثـالَ الجَمـالِ مُنَـصَّباً	قـالَ الجَمـالُ بِراحَتَـيَّ مَثَلتُـهُ(١)

هذا غيض من فيض من أشعار شوقي في لبنان ، فلقد وصفه بأرق الأوصاف وأعذبها ، فهو مثال للجمال المادي الذي سحر الأمير وسلب تفكيره ، فأخذ يسترسل في أوصافه التي تنم عن الحب الكبير للبنان في قلب شوقي ، ويتغنى بألوان الجمال المختلفة التي حوتها البيئة اللبنانية حيث يقول : (الكامل)

لبنـان يـا ملـك الجبـال تحيـة	رقـت وأزلفهـا لـك الإكبـار
عاليـه تحملهـا إليـك وصـوفر	ومناهـل بـالجنتين غـزاز
مـن نـازح الـدار التقـى بـك داره	سـاح الأكـارم للكـريم ديـار
خلـى الأحبـة والمـآرب خلفـه	فـإذا الأحبـة فيـك والأوطـار
للـواردين علـى رياضـك أعـين	مـن فـضة أهـدابهن نـضار

(١) الشوقيات : ص١٧٢ .

ســـال الفـــرات بهـــا وقـــام كأنـــه		دمـــع الـــسرور هـــوى وجـــوار [1]

فلبنان ملك الجمال يستحق أجمل التحيات وأرقها ، فها هو الأمير يرسل بتلك الأشواق في قالب شعري يرسم من خلاله ذلك الحنين للبنان ، ففي قرى لبنان ومدنه كل ما يتمنى المرء من جماليات ، حتى أنَّ الإنسان العربي لا يشعر بالغربة في ذلك القطر العربي ، ففيه الأحبة والأكارم الذين يشعرون ضيفهم بأنه وسط أهله وعشريته .

لم يترك شوقي مكاناً في لبنان لافتاً للأنظار تاركاً بصماته في قلب كل من نظر إليه ، وتمتع بخيراته إلا كتب عن ذلك المكان ، حيث الطمأنينة والراحة النفسية التي تبعث في النفس أشواقاً حادة لتلك الأمكنة ، فبيروت هذه المدينة الساحرة التي تجبر كل من أتى إليها أن ينظم فيها درر الشعر ولآلئه ، فيصفها وصف المحب العاشق الذي فارق مهجة قلبه حيث يقول : (الكامل)

بَيـــروتُ يـــا راحَ النَزيـــلِ وَأُنـــسِهُ		يَمـــضي الزَمـــانُ عَلَـــيَّ لا أَســـلوكِ
الحُـــسنُ لَفـــظٌ فـــي المَـــدائِنِ كُلِّهـــا		وَوَجَدتُـــــهُ لَفظـــاً وَمَعنـــىً فيـــكِ
نادَمـــتُ يَومـــاً فـــي ظِلالِـــكِ فِتيَـــةً		وَسَـــموا المَلائِـــكَ فـــي جَـــلالِ مُلـــوكِ [2]

ذلك الوصف الذي أنشأه شوقي في مدينة بيروت بعد ضرب الأسطول الإيطالي لسواحل بيروت عام ١٩١٢م ، يظهر مدى تعلق شوقي بهذه المدينة التي زاراها لأول مرة برفقة الأمير محمد علي عام ١٩١٠م ، ففيها الحسن والجمال الذي لا ينسى من مخيلة شوقي ، فهي حاضرة في فكره وقلبه وإحساسه . وعند الحديث عن لبنان وجماله لا يمكن أن ننسى رائعة من روائع شوقي في تغنيه بلبنان في قصيدته المشهورة والتي بعنوان (زحلة) هذه القرية الجملية حيث ذكر لبنان وسحره الخلاب وقرية زحلة بموقعها الساحر وإطلالتها التي تسلب الألباب حيث يتكلم في البداية عن لبنان ، فيقول : (الكامل)

لا أَمـــسَ مِـــن عُمـــرِ الزَمـــانِ وَلا غَـــدٌ		جُمِـــعَ الزَمـــانُ فَكـــانَ يَـــومَ رِضـــاكِ
لُبنـــانُ رَدَّتنـــي إِلَيـــكَ مِـــنَ النَـــوى		أَقـــــدارُ سَـــــيرٍ لِلحَيـــــاةِ دَراكِ
جَمَعَـــت نَزيلَـــي ظَهرِهـــا مِـــن فُرقَـــةٍ		كُـــــرَةٌ وَراءَ صَـــــوالِجِ الأَفـــــلاكِ

---

(١) الشوقيات : ص٣١٧ .

(٢) السابق : ص٤٧٠ .

وَلَـــو أَنَّ بِالـــشَوقُ المَـــزارُ وَجَـــدتَني مُلقـــى الرِحـــالِ عَلـــى ثَـــراكِ الـــذاكي
بِنـــــــتَ البِقـــــاعِ وَأُمَّ بَردونِيِّهـــــــا طيبـــــي كَجِلَّـــقَ وَاِســـكُبي بَـــرداكِ
وَدِمَـــشقُ جَنّـــاتُ النَعـــيمِ وَإِنَّمـــا أَلفَيـــتُ سُـــدَّةَ عَـــدنِهِنَّ رُبـــاكِ
قَـسَماً لَـو اِنتَمَـتِ الجَـداوِلُ وَالرُبـا لَتَهَلَّـــلَ الفِـــردَوسُ ثُـــمَّ نَمـــاكِ
مَـــرآكِ مَـــرآهُ وَعَينُـــكِ عَينُـــهُ لِـــم يـــا زُحَيلَـــةُ لا يَكـــونُ أَبـــاكِ
تُبـدي كَوَشـيِ الفُـرسِ أَفـتَنَ صِـبغَةٍ لِلنـــاظِرينَ إِلـــى أَلَـــذِّ حِيـــاكِ[(١)]

فالملاحظ من تلك الأبيات أنَّ حب شوقي وحنينه للبنان كالسيل الجارف لا يقف أمامه أحد ، فهذه الأبيات قيلت بعد كبر شوقي في السن وبدت عليه مظاهر الأسى والحسرة على أيام الشباب، حيث جاءت هذه القصيدة لترسم ملامح حنين ممزوج للشباب ولهذا المكان الساحر ، وهذا الخلط في الإحساس بالحنين لفترة الشباب – والتي تعتبر من أجمل فترات العمر – تارة ، وبالحنين لهذا المكان الساحر تارة أخرى ، فبدأ بحنين كبير للبنان ثم امتد حنينه وتشعب لإحدى المدن وهي زحلة والتي وصفها بأزهى الأوصاف وكأنها قطعة من جنة الفردوس ، تسلب أنظار من يزورها وتمتلك فؤاده ، ثم يكمل حبات الوصف وكأنه ينظم عقد جواهر في وصفها حيث يقول : (الكامل)

لَـم أَنـسَ مِـن هِبَـةِ الزَمـانِ عَـشِيَّةً سَـــلَفَت بِظِلِّـــكِ وَاِنقَـــضَت بِـــذَراكِ
كُنـتِ العَـروسَ عَلـى مَنَـصَّةِ جِنحِهـا لُبنـــانُ فـــي الوَشـــيِ الكَـــريمِ جَـــلاكِ
يَمـشي إِلَيـكِ اللَحـظُ فـي الديباجِ أَو فـــي العـــاجِ مِـــن أَيِّ الـــشِعابِ أَتـــاكِ
ضَـــمَّت ذِراعَيهـــا الطَبيعَـــةُ رِقَّـــةً صِـــنّينَ وَالحَرَمـــونَ فَاِحتَـــضَناكِ
وَالبَـدرُ فـي ثَـبَجِ الـسَماءِ مُنَـوِّرٌ ســالَت حُــلاهُ عَلــى الثَــرى وَحُــلاكِ
وَالنَيِّــراتُ مِــنَ الــسَحابِ مُطِلَّــةٌ كَالغيـــدِ مِـــن سِـــترٍ وَمِـــن شُـــبّاكِ
إِن تُكرِمـي يـا زَحـلُ شِـعري إِنَّنـي أَنكَـــرتُ كُـــلَّ قَـــصيدَةٍ إِلّاكِ
أَنـــتِ الخَيـــالُ بَديعُـــهُ وَغَريبُـــهُ اللَـــهُ صـــاغَكِ وَالزَمـــانُ رَواكِ[(٢)]

---

(١) الشوقيات : ص٤٦٧ .
(٢) السابق : ص٤٦٨ .

لقد أبدع شوقي في وصف تلك القرية ، فأخذ يتغزل بها كأنه يتغني بمحبوبته الغالية على قلبه ، وما هذا الغزل العفيف إلا ترجمة لأحاسيسه المرهفة تجاه تلك القرية ، ولحنينه اللامتناهي لها ، حيث خصها بقصيدة في غاية الجمال ، هذا الجمال الذي يتناسب مع جمال القرية وروعتها وسحرها .

لقد أفرد شوقي شعراً خاصاً بلبنان وتغنى بهذا المكان غناء المحب العاشق ؛ لكن هناك مكان آخر من بلاد الشام خصه شوقي بالثناء والجمال ، فمدينة دمشق هذه المدينة التاريخية والتي تحمل بين جنباتها عبقاً من تاريخ الآباء والأجداد الذين رووا بدمائهم الطاهرة الأرض نشراً لدين الله ، فقد شملت دمشق ألوان الجمال : جمال الطبيعة ، وجمال التاريخ ، وجمال الحضارة ، وقد خص شوقي تلك المدينة بأشعار جميلة عبرت عن حنينه المتزايد لها كلما زادت فترة غيابه عنها ، حيث استغل كل مناسبة تخص دمشق ليعبر عما يجول بصدره من شوق وحنين لتلك المدينة ، حيث يقول في نكبة دمشق عام ١٩٢٦ م : (الوافر)

دَخَلتُـكِ وَالأَصيلُ لَـهُ ائتِلاقٌ ... وَوَجهُكِ ضاحِكُ القَسَماتِ طَلقُ
وَتَحتَ جِنانِكِ الأَنهارُ تَجري ... وَمِلءُ رُباكِ أَوراقٌ وَوُرقُ
وَحَولي فِتيَةٌ غُرٌّ صِباحٌ ... لَهُم في الفَضلِ غاياتٌ وَسَبقُ
عَلى لَهَواتِهِم شُعَراءُ لُسنٌ ... وَفي أَعطافِهِم خُطَباءُ شُدقُ
أَلَستِ دِمَشقُ لِلإِسلامِ ظِئراً ... وَمُرضِعَةُ الأُبُوَّةِ لا تُعَقُّ
صَلاحُ الدينِ تاجُكَ لَم يُجَمَّل ... وَلَم يوسَم بِأَزيَنَ مِنهُ فَرقُ
وَكُلُّ حَضارَةٍ في الأَرضِ طالَت ... لَها مِن سَرحِكِ العُلوِيِّ عِرقُ
سَماؤُكِ مِن حُلى الماضي كِتابٌ ... وَأَرضُكِ مِن حُلى التاريخِ رِقُّ(١)

إنَّ ذكر الشاعر لأوصاف دمشق وتعداد ما بها من جماليات ومن تاريخ عريق لهو دليل لحب صادق يكنه شوقي لهذه المدينة ، فلم يقف شوقي مكتوف الأيدي لما حدث لها من مأساة ، بل سخر قلبه وقلمه ولسانه ليدافع عنها ، ويقدم كل أمر باستطاعته تقديمه ، فقد حوت من الجمال ألواناً ، وشيدت للعز أزماناً ، فهي مقر خلافة الإسلام لسنوات عديدة ، ومركز انطلاق

(١) الشوقيات : ص٤٤٦ .

للفتوحات الإسلام ، ولعل أرق الأبيات ما يقوله شوقي في وصف دمشق عندما زارها وتمتع بجمال طبيعتها حتى قال : (بسيط)

آمَنــــتُ بِاللَـــــهِ وَاِســـتَثنَيتُ جَنَّتَـــهُ   دِمَـــشقُ روحٌ وَجَنّـــاتٌ وَرَيحـــانُ

قـــالَ الرِفـــاقُ وَقَـــد هَبَّـــت خَمائِلُهـــا   الأَرضُ دارٌ لَهـــا الفَيحـــاءُ بُـــستانُ

جَـــرى وَصَـــفَّقَ يَلقانـــا بِهـــا بَـــرَدى   كَمـــا تَلَقـــاكَ دونَ الخُلـــدِ رَضـــوانُ

دَخَلتُهـــا وَحَواشـــيها زُمُـــرُّدَةٌ   وَالـــشَمسُ فَـــوقَ لُجَـــينِ المـــاءِ عِقيـــانُ

وَالحـــورُ فـــي دُمَّـــرَ أَو حَـــولَ هامَتِهـــا   حـــورٌ كَواشِـــفُ عَـــن ســـاقٍ وَوِلـــدانُ

وَرَبـــوَةُ الـــوادِ فـــي جِلبـــابِ راقِـــصَةٍ   الـــساقُ كاسِـــيَةٌ وَالنَحـــرُ عُريـــانُ

وَالطَيـرُ تَـصدَحُ مِـن خَلـفِ العُيـونِ بِهـا   وَلِلعُيـــونِ كَمـــا لِلطَيـــرِ أَلحـــانُ(١)

يصف شوقي دمشق وكأنه يصف قطعة من الجنان ، وما هذا الوصف إلا حب صادق في قلب شوقي لدمشق ، فقد وصفها بأجمل أوصاف وأعذب تعابير وأرق كلمات ، وحق له ذلك فهي عنوان للجمال لما فيها من سحر الطبيعة ونقاء الجو وطيبة أهل ، حيث تلك المدينة التي أرخت بفضائلها على جميع الأقطار الإسلامية ، فقد حضنت سنوات من الخلافة فوق ترابها ، وفي ذلك يقول شوقي : (البسيط)

لَـــولا دِمَـــشقُ لَمـــا كانَـــت طُلَيطِلَـــةٌ   وَلا زَهَـــت بِبَنـــي العَبّـــاسِ بَغـــدانُ (٢)

فهذه الأوصاف تركت الحنين يسيطر على شوقي ، فكانت الذكرى تزيد من حنينه لها كلما عنَّ له سماع ذكرها ، أو مناسبة تخصها ، ومما لا شك فيه أنَّ بلاد الشام كانت مكانتها عظيمة عند شوقي ، وهذا واضح من شعره الذي ذكرها في ديوانه مرات كثيرة .

أما بغداد فحصلت على مكانة عند شوقي ، حيث تغنى بها غناء المحب العاشق لهذه المدينة التي حازت حضارات عدة ، وحضنت أمجاد المسلمين في عصورهم الذهبية ، حيث التاريخ المجيد للأمة الإسلامية ، ومن الأبيات التي أنشأها شوقي متحدثاً فيها عن بغداد ، ومبيناً مكانتها ، ما ذكره في قصيدته (نهج البردة) حيث يقول : (البسيط)

---

(١) الشوقيات : ص٧٠١.

(٢) السابق : ص٧٠٠.

دَع عَنــكَ رومــا وَآثينــا وَمــا حَوَتــا   كُــلُّ اليَواقيــتِ فــي بَغــدادَ وَالتُــوَمِ
دارُ الــشَرائِعِ رومــا كُلَّمــا ذُكِــرَت   دارُ الــسَلامِ لَهــا أَلقَــت يَــدَ الــسَلَمِ
وَلا اِحتَــوَت فــي طِــرازٍ مِــن قَياصِــرِها   عَلــى رَشــيدٍ وَمَــأمونٍ وَمُعتَــصِمِ
مَــنِ الَّــذينَ إِذا ســارَت كَتــائِبُهُم   تَــصَرَّفوا بِحُــدودِ الأَرضِ وَالــتُخَمِ (١)

إنَّ مدينة بغداد تميزت بصفات لم تتميز بها أي مدينة أخرى ، فقد كانت مركزاً للحضارة على مر العصور ، سواءً أكانت الإسلامية أم الآشورية أم البابلية ، تلك المكانة التي جعلت شوقي يتباهى بهذه المدينة لاسيما إبَّان الفترة الإسلامية ، حيث كانت منارة العلم الذي أسس لهذا التطور الرهيب في واقعنا المعاصر .

أما حنينه لبلاد الغرب ، ففرنسا حازت على نصيب الأسد ،حيت تاريخ شوقي في تلك البلاد أثناء فترات تعليمه ، فلقد زار عدداً من معالمها وحجزت في قلبه مكاناً لتلك الجماليات ، حيث يقول مخاطباً فرنسا : (الرمل)

يــا فَرَنــسا لا عَــدِمنا مِنَنــاً   لَــكِ عِنــدَ العِلــمِ وَالفَــنِّ جُــساما
لَطَــفَ اللَــهُ بِبــاريسَ وَلا   لَقِيَــت إِلّا نَعيمــاً وَسَــلاما
رَوَّعَــت قَلبــي خُطــوبٌ رَوَّعَــت   ســامِرَ الأَحيــاءِ فيهــا وَالنِيامــا
أَنــا لا أَدعــو عَلــى ســينٍ طَغَــى   إِنَّ لِلــسينِ وَإِن جــارَ ذِمامــا(٢)

يعترف شوقي بعهود قطعها على نفسه تجاه معلم من معالم فرنسا (نهر السين) ، وحنين لتلك الأمكنة في فرنسا ، حيث الجمال الذي يسحر الألباب ، ومن ذلك الحنين لمدينة باريس ما كتبه شوقي في تذكره لأيام شبابه فيها ، فلقد كانت مصدراً للمرح والسرور ، ووحياً لربة الشعر عند شاعر يخطو نحو النجومية ، ومن ذلك قوله : (كامل)

يــا مَكتَبــي قَبــلَ الــشَبابِ وَمَلعَبــي   وَمَقيــلَ أَيّــامِ الــشَبابِ النــوكِ
وَمَــراحَ لَــذّاتي وَمَغــداها عَلــى   أُفُــقٍ كَجَنّــاتِ النَعــيمِ ضَــحوكِ
وَسَــماءَ وَحــيِ الــشِعرِ مِــن مُتَــدَفِّقٍ   سَــلِسٍ عَلــى نَــولِ الــسَماءِ مَحــوكِ

(١) الشوقيات : ص٦٣٨-٦٤١
(٢) السابق : ص٥٦٠ .

لَمّـا اِحتَمَلـتُ لَـكَ الـصَنيعَةَ لَـم أَجِـد غَيـرَ القَـوافي مـا بِـهِ أُجزيـكِ
إِن لَـم يَقـوكِ بِكُـلِّ نَفـسٍ حُـرَّةٍ فَاللَـهُ جَـلَّ جَلالُـهُ واقيـكِ(1)

فها هو يتحدث عن الأيام الجملية التي قضاها في باريس ، حيث ارتبطت تلك اللحظات الجميلة بهذا المكان ، فترك ذلك أثراً كبيراً في قلب الشاعر لتلك المدينة الساحرة ، مما دفع نفس شوقي إلى الحنين لذلك المكان ، فأخذ يعدد مسببات الحنين لباريس ، حيث أجمل فترات الشباب التي قضاها بين ربوعها ، وهي الملهم لأجمل الأشعار لما لطبيعتها من تأثير واضح على كل من شاهد معالمها ، فلا يملك شوقي إلا القوافي ليوافي هذه المدينة حقها ويرد بعض الجميل لها، ويبرد نار الحنين بداخله تجاه مدينة الأضواء .

عاش شوقي خمس سنوات في الأندلس ، ذلك المكان الذي يبعث في كل نفس أحاسيس لا توصف ، لما له من سحر يجذب القلوب والأبصار إليه ، فكيف بشاعر رقيق الإحساس مرهف الفؤاد ؟! يحن شوقي للأيام التي قضاها في الأندلس ، التي لم يتمتع بجمالها ؛ لأنه عانى من النفي ؛ لكنه يتذكر تلك الأيام التي تركت حنيناً في قلبه للأندلس وجمالها ، حيث يصف يوماً من تلك الأيام ، فيقول : (الوافر)

ويـوم مـن صـبا آذار حلـو فقـدناه ومـا بلـغ الـشبابا
تـصور مـن حلـى النيـر وزوجهـا وجمـع مـن زخارفـه إهابـا
فـراق صـاحبه صـحوا وزهـوا ولـذ ضـحاه حاشـية وطابـا
تنـاثر فـي البطـاح حلـى وأوفـى علـى الآفـاق فـانتظم الهـضابا
وسـألت شمـسه فـي البحـر تبـراً علـى مثـل الزمـرد حـين ذابـا
كـأن نـسيمه نفـس العـذارى طعمـن الـشهد أو ذقـن الحبابـا(2)

إنَّ إعجاب شوقي ببلاد الأندلس أثَّر على تعابيره ، فترك الأشعار ترسم ألوان الجمال الحسي لذلك المكان ، فهو نابع من شوق وعشق لبلاد الأندلس ، هذا المكان الذي يحمل تاريخاً مميزاً عند كل مسلم ناهيك عن جمال الأندلس وسحر طبيعتها ، وما هذا الوصف الدقيق الجميل لبلاد الأندلس إلا تعبير عن حنين كامن داخل قلب شوقي للأندلس .

---

(١) الشوقيات : ص٤٧٢ .
(٢) السابق : ص١١٠ .

المطلب السادس : الحنين إلى المحبوب :

يعتبر الحنين إلى المحبوب ترجمة للأحاسيس العاطفية تجاه الطرف الآخر ، وهذا أمر فطري في النفس ، وفيه يعبر الإنسان بما يشعر تجاه من يحب ، فالحنين إلى المحبوب هو : موقف شعوري صادق ، تغذيه التجربة بالألم ، وترفده برقة المشاعر ورهافتها ، فيفيض على لسان الشاعر قصائد ومقطوعات عذبة ، تنم عن شفافية الإحساس ، وزخم العواطف المتقدة في صدره ، ويقصد بالمحبوب هو الحبيبة أو المعشوقة التي تراءت في حنين الشاعر فأحس بفقدها، وانعكست ذكرياته معها على أشعاره "[١] .

يندرج غرض الحنين إلى المحبوب تحت غرض الغزل ، وشوقي طرق جميع أغراض الشعر العربي، ومنها الغزل حيث جاء غزله على نوعين : " أحدهما يبدأ به القصيدة على عادة القدماء، ويتخذه قنطرة للوصول إلى الغرض الأصلي منها ؛ كما كانوا يفعلون . والآخر لم يتخذه صلة ولا قنطرة ؛ وإنما قصد به الغزل نفسه ، وترجمة شعوره ووجدانه ، وتصوير ما يعتمل في نفسه من عواطف مشبوبة ، وأحاسيس متقدة "[٢] ، ولعل أصدق الغزل ما يقال في ذاته ، وليس وسيلة للدخول في موضوع ما ، أو جرياً على عادة الأوائل .

ظهر حنين شوقي إلى المحبوب بشكل واضح في أشعاره الغزلية ، فعبر عن هذا الحنين تعبيراً صادقاً ، وترجمه بلغة توحي بالتأثير الكبير للحب والعشق في قلبه ، حيث يقول في ترحيبه لمحن أحب : (المتقارب)

فَدَتكَ الجَوانِحُ مِن نازِلِ ... وَأَهلاً بِطَيفِكَ مِن واصِلِ
بَذَلتَ لَهُ الجَفنَ دونَ الكَرى ... وَمَن بِالكَرى لِلشَجِي البـاذِلِ
وَقُلتُ أَراكَ بِرُغمِ العَذول ... فَنابَ السُهادُ عَنِ العاذِلِ
فَوَيحَ المُتَيَّمِ حَتّى الخَيالُ ... إِذا زارَ لَم يَخلُ مِن حائِلِ
يَحِنُّ إِلَيكَ ضُلوعٌ عَفَت ... مِنَ البَينِ في جَسَدٍ ناحِلِ

---

(١) الحنين في الشعر الزنكي والأيوبي : مي عمرو ، رسالة ماجستير ، جامعة الخليل ، ٢٠١١م ، ص٦٧.

(٢) المتنبي وشوقي دراسة ونقد وموازنة : عباس حسن ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ط١، ١٩٥١م ، ص٣٥٠.

وَقَلـــــبٌ جَـــــوٍ عِنـــــدَها خـــــافِقٌ   تَعَلَّـــــــقَ بِالـــــــسَنَدِ المائِـــــــلِ
وَمِـــن عَبَـــثِ العِـــشقِ بِالعاشِـــقين   حَنـــــينُ القَتيـــــلِ إِلـــــى القاتِـــــلِ[1]

يصف شوقي في الأبيات السابقة شوقه وحنينه لمحبوبه ، حيث الفداء للمحبوب الذي حل نازلاً وواصلاً له ، فلقد ركب الصعب وتحمل المشقات في حبه وعشقه له ، فالحنين أهلك ضلوعه ، وأضعف جسده ، فهو لا يقوى على البعد ولا يحتمل الهجر ، فلا يملك شوقي إلا الإفصاح عما يجول في صدره من حنين إلى من أحب ، فالضلوع تحن لذلك المحبوب ، والقلب متعلق بها خافق كلما سمع سيرتها ، فالعشق ملأ كيانه وسيطر على وجدانه ، فيشبه تلاعب العشق بالعاشقين وسيطرته عليهم بحنين القتيل لقاتله ، وفي هذا دلالة لشدة حنينه وشوقه إلى محبوبه الذي حلّ بثنايا القلب .

ومن ذلك الحنين للمحبوب ما نظمه شوقي في العتاب ، فهو لا يطيق البعد عن محبوبه ، حتى عندما يقرر البعد يحاربه القلب ، ويهجره الرقاد ، وتظلم الدنيا أمام ناظريه ، فالمحبوب نزل سويداء القلب ، حيث يقول شوقي واصفاً حنينه : (الوافر)

أَريــــدُ سُـــــلُوَّكُم وَالقَلـــــبُ يَـــــأبى   وَأَعتِـــبُكُم وَمِـــــلءُ الـــــنَفسِ عُتبـــــى
وَأَهجُـــــرُكُم فَيَهجُرُنـــــي رُقـــــادي   وَيُـــضويني الظَـــلامُ أَســـىً وَكَربـــا
وَأَذكُـــرُكُم بِرُؤيَـــةِ كُـــلِّ حُـــسنٍ   فَيَـــصبو نـــاظِري وَالقَلـــبُ أَصـــبى
وَأَشـــكو مِـــن عَـــذابي فـــي هَـــواكُم   وَأَجـــزيكُم عَـــنِ التَعـــذيبِ حُبّـــا
وَأَعلَـــــمُ أَنَّ دَأبَكُـــــمُ جَفـــــائي   فَمـــا بـــالي جَعَلـــتُ الحُـــبَّ دَأبـــا
وَرُبَّ مُعاتَـــبٍ كَـــالعَيشِ يُـــشكى   وَمِـــلءُ الـــنَفسِ مِنـــهُ هَـــوىً وَعُتبـــى
أَتَجزينـــي عَـــنِ الزُلفـــى نِفـــاراً   عَتَبتـــكَ بِـــالهَوى وَكَفـــاكَ عَتبـــا
فَكُـــلُّ مَلاحَـــةٍ فـــي النـــاسِ ذَنـــبٌ   إِذا عُـــدَّ النِفـــارُ عَلَيـــكَ ذَنبـــا
أَخَـــذتُ هَـــواكَ عَـــن عَينـــي وَقَلبـــي   فَعَينـــي قَـــد دَعَـــت وَالقَلـــبُ لَبّـــى
وَأَنـــتَ مِـــنَ المَحاسِـــنِ فـــي مِثـــالٍ   فَـــدَيتُكَ قالَبـــاً فيـــهِ وَقَلبـــا

(١) الشوقيات : ص٥٣٧ .

أُحِبُّــكَ حــينَ تَثنـــي الجيـــدَ تيهـــاً   وَأَخـــشى أَن يَـــصيرَ التيـــهُ دَأبـــا[1]

لقد هام شوقي في محبوبه ، فرأى فيه كل الحسن ، فلا يستطيع هجره لأن الهجر معناه ضياع شوقي في بحور الحزن والأسى ورميه للمهالك والردى ، حيث القلب والعين والجسد متعلقان بهذا المحبوب الذي رسم للشاعر طريقاً محدداً لا يحيد عنه ، حتى عندما يريد ذلك المحبوب هجر الشاعر فلا يستطيع شوقي أن يبادله ذلك الفعل ؛ لأن الجمال والحسن ارتبط بالمحبوب فكلما رأى شوقي حسناً أو جمالاً يصيح قلبه هذا من ذاك الحبيب ، إنَّ شوقي لا يقدر إلا أن يعترف بسطوة هذا الحب عليه وشدة الحنين للمحبوب ، ومن ذلك قوله : (الوافر)

أَخَــذتُ هَــواكَ عَــن عَينــي وَقَلبــي   فَعَينـــي قَـــد دَعَـــت وَالقَلـــبُ لَبّـــى

وَأَنـــتَ مِـــنَ المَحاسِـــنِ فـــي مِثـــالٍ   فَـــــدَيتُكَ قالَبـــــاً فيـــــهِ وَقَلبـــــا

أُحِبُّــكَ حــينَ تَثنـــي الجيـــدَ تيهـــاً   وَأَخـــشى أَن يَـــصيرَ التيـــهُ دَأبـــا[2]

امتلأ قلب شوقي حنيناً إلى المحبوب ، وعبَّر عن هذا الحنين بتعابير بحسب الجو النفسي الذي عاشه ، فتارة يتحدث عن عدم تحمله للبعد عمن أحب ، وتارة يخاطب الحبيب بما يشعر نحوه من أحاسيس ملكت فؤاده ، وأحياناً يفند مزاعم العواذل الذين يرمون لقطع تلك العلاقة، وتارة يتحدث عن آثار العشق على حياته ، فالحنين إلى المحبوب تنقل بين أشعار عدة شكلت إطاراً واضحاً لحنين شوقي للمحبوب .

ومن حنينه حديثه مع المحبوب عن العواذل الذين يريدون التفرقة بينهما ، فيلجأ لاسم يحمل تراثاً عربياً أصيلاً يخاطب به محبوبه ، ويصف له مدى الحب الذي يكنه لها ، وأنه لا يلتفت لقول الوشاة حيث يقول : :(الطويل)

لَقَـد لامَنـي يـا هِنـدُ فـي الحُـبِّ لائِـمٌ   مُحِـــبٌّ إِذا عُـــدَّ الـــصِحابُ حَبيـــبُ

فَمـا هُـوَ بِالواشـي عَلـى مَـذهَبِ الهَـوى   وَلا هُـــوَ فـــي شَـــرعِ الـــوِدادِ مُريـــبُ

وَصَـفتُ لَــهُ مَـن أَنـتِ ثُـمَّ جَـرى لَنـا   حَـــديثٌ يَهُـــمُّ العاشِـــقينَ عَجيـــبُ

---

(١) الشوقيات : ص١١٨ .
(٢) السابق : ص١١٨ .

وَقُلْـتُ لَـه صَـبراً فَكُـلُّ أَخـي هَـوى ... عَلـى يَـدِ مَـن يَهـوى غَـداً سَـيَتوبُ[1]

فالحنين دفع شوقي إلى رفض قول الواشي الذي يهدف إلى إبعاده عن محبوبته ، وأخذ يدافع عن علاقة الحب والعشق ؛ لأن تلك العلاقة قائمة على التسامح الذي يعطي للمحبين بريقاً خاصاً يؤثر بالإيجاب على تلك العلاقة ، ويخاطب شوقي محبوبه بعدم السماع لكلام العواذل، الذين يسعون بكل جهدهم للتفريق بينهما، وينقلون له المقالات الكاذبة التي تفت في عضد تلك العلاقة ، حيث يقول شوقي (مجزوء الكامل)

نـالَ العَـواذِلُ جَهـدَهُم ... وَسَـمِعتَ مِـنهُم فَـوقَ جَهـدِك

نَقَلـوا إِلَيـكَ مَقالَـةً ... مـا كـانَ أَكثَرُهـا لِعَبـدِك

قَـسَماً بِمـا حَمَّلتَنـي ... فَحَمَلـتُ مِـن وَجـدي وَصَـدِّك

مـا بـي السِهامُ الكُثـرُ مِـن ... جَفنَيـكَ لَكِـن سَـهمُ بُعـدِك [2]

فلقد كان شوقي متعلقاً بهذا المحبوب حتى عندما يغيب عنه لحظات تشتاق نفسه ويحن لطيف ذلك الحبيب ، وها هو يخاطب طيب الهوى حيث يقول : (الكامل)

يا طيف من أهوى جعلت لك الفدى ... أكلاكما عن ناظري يغيب

عذر الحبيب هو الرقيب عدمته ... قل لي بعيشك هل عليك رقيب[3]

من أصعب اللحظات على المحب وأشدها حنيناً عندما يفصل الدهر بين محبوبين ، وقد يمتد ذلك الفراق لأوقات كثيرة مما يترك في القلوب لوعة وحنيناً ، والشعراء وحدهم هم الأقدر على التعبير بصدق العاطفة لمثل تلك المواقف ، فشوقي يعبر عن حالته هذه وقد أخذ منه الحنين كل مأخذ ورسم لوحة لذلك المحب شديد الوجد لحبيبه ، حيث المأساة التي تزيد ساعةً بعد ساعة ، ويوماً بعد يوم ، وظواهر الكون ترخي بظلالها على هذه المعاناة ، حيث يصف ذلك الحنين فيقول : (الطويل)

يَمُـدُّ الـدُجى فـي لَـوعَتي وَيَزيـدُ ... وَيُبـدِئُ بَثّـي فـي الهَـوى وَيُعيـدُ

---

(١) الشوقيات : ص١٤١ .

(٢) السابق : ص٢٥٥.

(٣) السابق : ص١٥٠ .

إذا طــالَ وَاستَعــصى فَمــا هِــيَ لَيلَــةٌ وَلَكِــــن لَيـــالٍ مــــا لَهُــــنَّ عَديـــدُ
أَرِقـــتُ وَعــــادَتني لِــــذِكرى أَحِبَّتـــــي شُـــــجونٌ قِيـــــامٌ بِالــــضُلوعِ قُعــــودُ
وَمَـن يَحمِـلِ الأَشـواقَ يَتعَـب وَيَختَلِـف عَلَيــــهِ قَــــديمٌ فـــي الهَـــوى وَجَديـــدُ
لَقيـتَ الَّـذي لَـم يَلـقَ قَلـبٌ مِـنَ الهَـوى لَــكَ اللَـــهُ يـــا قَلبـــي أَأَنــتَ حَديــدُ
وَلَــم أَخــلُ مِــن وَجــدٍ عَلَيــكَ وَرِقَّــةٍ إِذا حَــــلَّ غيــــدٌ أَو تَرَحَّــــلَ غيــــدُ(١)

تزداد معاناة العشاق المفارقين لمحبيهم كلما جن الدجى ، فيزيد من لوعتهم ومعاناتهم ، ومنذ القدم اعتبر الليل عنواناً لسيطرة الهموم على الإنسان الحزين ، وهذا ما حدث مع شوقي ، فلقد تعددت الليالي الحزينة وتوالت عليه فلا عدد لها ، اتسمت تلك الليالي بتخييم ذكرى الأحبة على الشاعر ، فحركت الشجون واضطربت وأقيدت نيران الحب في الحشا ، وانفجر الحنين لهؤلاء الأحبة ، حتى وصل الأمر بشوقي أن يتعجب من قلبه الذي استطاع أن يتحمل كل هذه الآلام، فهو كالحديد ، فقلبه لاقى ألواناً من المآسي في رحلته في عالم العشق والهوى .

ومن آثار الحنين في شعر شوقي حديثه عن المحبوب ، وعدم تحمله للهجر والبعد ، فلا يستطيع أن يتحمل الحياة بدون محبوبه ، فيقر لها أنها وعده وميعاده في في هذه الدنيا ، فقد جمعهما القدر ليكونا ضمن خيمة العشق والهوى ، وعليها ألا تلتفت لقول الحساد حيث يقول : (البسيط)

يــا حلــوةَ الوعْــدِ مــا نَــساكِ مِيعَــادِي عــن الهــوى أم كــلام الــشامِتِ العَــادِي
كيــفَ انخَــدعتِ بِحُــسَّادِي وَمَــا نَقلُــوا أنـــتِ التـــي خَلقــتْ عَينَــاكِ حــسادي
طَرفِــي وطَرفـك كَانَــا فِــي الهَـوى سَـبباً عِنْــدَ اللِّقَــاءِ وَلَكــن طرفُــك البَــادِي
تَـــذَّكرِي هَـــلْ تلاقينـــا علـــى ظمـــأٍ وكيـفَ بـلَّ الـصدى ذو الغلـةِ الـصادِي
وأنـــتِ فـــي مجلـــس الريحـــان لاهيـــة مــا ســرت مــن ســامر إلا إلــى نــادِي(٢)

يتذكر شوقي تلك الأيام التي جمعته بالمحبوب ، وكيف كان لقاؤهما التي رسمت أطرافه تلك اللواحظ التي أشعلت نار الحب والعشق بينهما ، هذا الحب الذي جمع قلبين تعلقا وأصبحا قلباً

---

(١) الشوقيات : ص٢٤٤.
(٢) السابق : ص٢٦٣.

واحداً جعل من الحساد يتهافتون للقطيعة بين المحبوبين ، ويعزو شوقي هذا التهافت لسحر عيون محبوبته ، التي جعلت نظرات الحسد تغزو هذه العلاقة ، فلقد جعل شوقي سبب هذه العلاقة تلك النظرات الساحرة بين العشاق والتي تجبر قلوب المحبين على ربط القلوب العاشقة ، حيث يصف ذلك في قصيدة أخرى ؛ فيقول : (الخفيف)

إن رَأَتنــــي تَميـــلُ عَنّـــي كَـــأَن لَـــم ... تَـــــكُ بَينـــــي وَبَينَهـــــا أَشــــياءُ

نَظــــــرَةٌ فَابتِـــــسامَةٌ فَـــــسَلامٌ ... فَكَـــــــلامٌ فَمَوعِـــــــدٌ فَلِقـــــــاءُ

يَـــومَ كُنّـــا وَلا تَـــسَل كَيـــفَ كُنّـــا ... نَتَهـــادى مِـــنَ الهَـــوى مـــا نَـــشاءُ

وَعَلَينـــا مِـــنَ العَفـــافِ رَقيـــبٌ ... تَعِبَـــت فـــي مِراسِـــهِ الأَهـــواءُ

جـــاذَبَتني ثَـــوبي العَـــصِيَّ وَقالَـــت ... أَنـــتُمُ النـــاسُ أَيُّهـــا الـــشُعَراءُ(١)

يغمر الشوق والحنين شوقي عندما يعود بذاكرته إلى أيامه الخوالي ، فصورة تلك الأيام لا تفارق خياله ، ولا يستطيع نسيانها ، فالمحبوبة قد ملكت قلب الشاعر وسيطرت على ماضيه وحاضره ومستقبله ، حيث يقول واصفاً حالته : (الطويل)

صَــحا القَلــبُ إِلّا مِــن خُمــارِ أَمــاني ... يُجــاذِبُني فــي الغيــدِ رَثَّ عِنــاني

حَنانَيــكَ قَلبــي هَــل أُعيــدُ لَــكَ الــصِبا ... وَهَــــل لِلفَتــــى بِالمُــــستَحيلِ يَــــدانِ

تَحُـــنُّ إِلـــى ذاكَ الزَمـــانِ وَطيبِـــهِ ... وَهَـــل أَنـــتَ إِلّا مِـــن دَمٍ وَحَنـــانِ

إِذا لَــم تَــصُن عَهــداً وَلَــم تَــرعَ ذِمَّــةً ... وَلَـــم تَـــدَّكِر إِلفـــاً فَلَـــستَ جَنـــاني

أَتَـــذكُرُ إِذ نُعطـــي الـــصَبابَةَ حَقَّهـــا ... وَنَــشرَبُ مِــن صِــرفِ الهَــوى بِــدِنانِ(٢)

ففي الأبيات السابقة يعلن شوقي فيها عن حنينه الشديد إلى المحبوب ، وجسد هذا الحنين في تمني الشاعر عودة ذاك الزمان الذي ارتبط بسطوة المحبوبة على قلب الشاعر ، فقلبه امتلأ حناناً لمن أحبهم وسكنوا حشاشة الفؤاد ، ثم يذكر أوصاف تلك الأيام التي ارتبطت بالعشق والهوى ، حيث يقول : (الطويل)

وَأَنـــتَ خَفـــوقٌ وَالحَبيـــبُ مُباعِـــدٌ ... وَأَنـــتَ خَفـــوقٌ وَالحَبيـــبُ مُـــدانِ

وَأَيّـــامَ لا آلـــو رِهانـــاً مَـــعَ الهَـــوى ... وَأَنـــتَ فُـــؤادي عِنـــدَ كُـــلِّ رِهـــانِ

---

(١) الشوقيات : ص٥٥.

(٢) السابق : ص٧١٣ .

لَقَد كُنتُ أَشكو مِن خُفوقِكِ دائِباً فَوَلّى فَيا لَهَفي عَلى الخَفَقانِ
سَقاكَ التَصابي بَعدَ ما عَلَّكَ الصِبا فَكَيفَ تَرى الكَأسَينِ تَختَلِفانِ(1)

ومن حنين شوقي إلى المحبوب عندما يذكر من أوصاف المحبوب الذي شكل له حياة كاملة امتلأت تلك الحياة حباً وعشقاً ، ومن تلك الأوصاف التي ذكرها شوقي في معرض حديثه عن العشق والحنين إلى المحبوب قوله : (الطويل)

حَبَبتُكِ ذاتَ الخالِ وَالحُبُّ حالَةٌ إِذا عَرَضَت لِلمَرءِ لَم يَدرِ ماهِيا
وَإِنَّكِ دُنيا القَلبِ مَهما غَدَرتِهِ أَتى لَكِ مَملوءً مِنَ الوَجدِ وافِيا
صُدودُكِ فيهِ لَيسَ يَألوهُ جارِحاً وَلَفظُكِ لا يَنفَكُّ لِلجُرحِ آسِيا
وَبَينَ الهَوى وَالعَذلِ لِلقَلبِ مَوقِفٌ كَخالِكِ بَينَ السَيفِ وَالنارِ ثاوِيا(2)

يصور شوقي الحالة التي سيطرت عليه بسبب الحنين الجارف للمحبوب ، وقد أغار الحنين على قلبه حتى أشفق شوقي على قلبه من آثار الشوق والحنين ، فيصف ذلك المشهد قائلاً : (الكامل)

مَن صَوَّرَ السِحرَ المُبينَ عُيوناً وَأَحَلَّهُ حَدَقاً وَجُفونا
نَظَرَت فَحُلتُ بِجانِبي فَاِستَهدَفَت كَبِدي وَكانَ فُؤادِيَ المَغبونا
وَرَمَت بِسَهمٍ جالَ فيهِ جَولَةً حَتّى اِستَقَرَّ فَرَنَّ فيهِ رَنينا
فَلَمَستُ صَدري موجِساً وَمُرَوَّعاً وَلَمَستُ جَنبي مُشفِقاً وَضَنينا
يا قَلبُ إِنَّ مِنَ البَواتِرِ أَعيُناً سوداً وَإِنَّ مِنَ الجَآذِرِ عينا(3)

(1) الشوقيات : ص٧١٤ .
(2) السابق : ص٧٧٣
(3) السابق : ص٦٩٤.

الفصل الثالث

الدراسة الفنية :

المبحث الأول : الأسلوب .

المبحث الثاني : الصورة الشعرية .

المبحث الثالث : الموسيقا .

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

المبحث الأول : الأسلوب :

يعرف الأسلوب لغةً : بأنه السَّطْر من النخيل ، وكلُّ طريقٍ ممتدٍّ فهو أُسلوبٌ والأُسْلوبُ الطريق والوجهُ والمَذْهَبُ ويُجمَعُ أَسالِيبَ (١) .

أما اصطلاحاً فتعددت التعريفات بحسب نظرة من تحدث عن الأسلوب ، ولعل شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني يعطي تعريفاً مختصراً شمل فيه كل النواحي الخاصة بهذا المصطلح فيقول : " والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه "(٢) ، أما ابن خلدون فيذكر كلاماً جميلاً في تعريفه لمدلول لفظة الأسلوب ، فيقول : " هو عبارة عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه ، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى الذي هو وظيفة الإعراب ، ولا باعتبار إفادته أصل المعنى من خواص التراكيب، الذي هو وظيفة البلاغة والبيان؛ ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض. فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية؛ وإنما ترجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص. وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان؛ فيرصها فيه رصاً، كما يفعله البناء في القالب أو النساج في المنوال، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام " (٣).

فالأسلوب : " طريقة الكتابة ، أو طريقة الإنشاء ، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير ، أو الضرب من النظم والطريقة فيه "(٤) .

---

(١) لسان العرب لابن منظور : مادة (سلب) ١/ ٤٧٣.

(٢) دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، قراءة و تعليق : محمود شاكر ، مكتبة مطبعة المدني ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٢ م ، ص ٤٦٨-٤٦٩.

(٣) تاريخ ابن خلدون : ابن خلدون ، تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٨م، ١/ص٧٨٦ .

(٤) الأسلوب : أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٧ ، ١٩٧٦م ، ص٤٤ .

ويذكر أحمد أمين " بأن الأسلوب ما هو إلا صفة من صفات الشخصية ، فهو عبارة عن اختيار الكلمات وانسجام العبارات وترتيب الجمل في قالب موسيقي خاص ، فكل ذلك خاص بالكاتب أو الشاعر ، فالأسلوب كل لا يتجزأ " (١) .

" فالأسلوب الأدبي ينحل إلى عناصر ثلاث : الأفكار والصور والعبارات ، وكذلك يكون الاختيار الذي يتناول الأفكار والصور والعبارات عملاً أسلوبياً ، هو طريقة الصياغة التي تتصرف في تلك العناصر بما تراه أليق بموضوع الكلام "(٢) .

إنَّ الأسلوب هو المنهج الذي يسير عليه الشاعر أو الكاتب ، ويتكون ذلك المنهج من خلال طريقة الشاعر في كتابته للشعر ، بحيث يتسم بهذا المنهج ويعرف به ، وهذا ما يلامس عند قراءة شعر أحمد شوقي ، فإنك تحس بأسلوبه الخاص بين ثنايا العبارات والألفاظ والتراكيب والصور والفكرة التي يحملها .

لقد تجلت سمات أسلوب شوقي عند حدثيه عن غربته وحنينه ، فاتسمت تلك الأشعار بصدق العاطفة ، وقوة الألفاظ وجزالتها ، ودقة تصميم التراكيب المتناغمة والجو النفسي الذي يعيشه الشاعر ، فقد ركب شوقي السهل الممتنع لإيصال عواطفه وصبها في قالب شعر رائع وموسيقا موافقة لحديث الشاعر عن شعوره بالغربة وحنينه إلى الوطن وإلى الأهل والأصدقاء والذكريات الجميلة ، والأمكنة التي شكلت عنصراً للسعادة في حله وترحاله ، والحنين الديني والحنين إلى المحبوب .

جاءت ألفاظ الغربة والحنين عند شوقي لتسهم في إبراز أحاسيسه وتوضح ما يعانيه من ضغط نفسي هائل ، فشعر الغربة والحنين عبارة عن تفريغ انفعالي للمأساة التي يعيشها الشاعر ، وذلك أثّر على ألفاظ شوقي فجاءت واضحة جلية لتخدم الغرض التي جيئت من أجله ، وانقسمت ألفاظ الغربة والحنين عند شوقي لقسمين ، حيث استخدم ألفاظ الغربة مباشرة عند الحديث عن الغربة ، حيث يقول : (الطويل)

أَبُثُّكَ وَجدي يا حَمامُ وَأودِعُ ... فَإِنَّكَ دونَ الطَيرِ لِلسِرِّ مَوضِعُ
وَأَنتَ مُعينُ العاشِقينَ عَلى الهَوى ... تَئِنُّ فَنُصغي أَو تَحِنُّ فَنَسمَعُ
أَراكَ يَمانِيّاً وَمِصرُ خَميلَتي ... كِلانا غَريبٌ نازِحُ الدارِ موجَعُ
هُما اِثنانِ دانٍ في التَغَرُّبِ آمِنٌ ... وَناءٍ عَلى قُربِ الدِيارِ مُروَعُ(٣)

---

(١) ينظر : في النقد الأدبي ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط٤ ، ١٩٦٧م ، ١/١٣٠.

(٢) الأسلوب : أحمد الشايب ، ص٥٢ .

(٣) الشوقيات : ص٤١٣ .

فلقد استخدم شوقي عدداً من الألفاظ الدالة على الغربة صراحة ، وظهر ذلك عندما خاطب الحمام ، حيث استخدم كلمة غريب ، والتغرب ، وكلاهما من مادة غرب .

ومن تلك الألفاظ ما صرح به في مطلع قصيدته والتي بعنوان (أندلسية) والتي بث فيها آهات غربته وشدة حنينه لمصر حيث يقول : (البسيط)

يـــا نـــائِحَ الطَلْـــحِ أَشْـــباهٌ عَوادينـــا	نَـــشجى لِواديـــكَ أَم نَأســـى لِوادينـــا
مـــاذا تَقُـــصُّ عَلَينـــا غَيـــرَ أَنَّ يَـــداً	قَـصَّت جَناحَـكَ جالَـت فـي حَواشـينا
رَمـى بِنـا البَـينُ أَيكـاً غَيـرَ سـامِرِنا	أَخـا الغَريـبِ وَظِـلّاً غَيـرَ نادينـا
كُـلٌّ رَمَتـهُ النَـوى ريـشَ الفِـراقُ لَنـا	سَـهماً وَسُـلَّ عَلَيـكَ البَـينُ سِـكّينا(١)

ومن ألفاظ الغربة كذلك قوله : (الوافر)

مُغَـــرِّبُ آدَمٍ مِـــن دارِ عَـــدنٍ	قَـضاها فـي حِمـاكِ لِـيَ اِغتِرابـا (٢)

حيث صرح بألفاظ الغربة ، مثل : (مُغَرِّبُ ، اغترابا) وكان ذلك عند وداعه لبلاد الأندلس متجهاً لوطنه مصر .

ومن الألفاظ التي تحمل معاني الغربة والتشرد ما ذكره شوقي من معاناة عايشها في الأندلس ، تمثلت تلك المعاناة في منعه من التوجه لوطنه وشعوره بالنزوح القسري عن الوطن ، حيث استخدم كلمة نازح للدلالة على عظم المعاناة فيقول : (البسيط)

آهـا لَنـا نـازِحي أَيـكٍ بِأَنـدَلُسٍ	وَإِن حَلَلنـا رَفيقـاً مِـن رَوابينـا
رَسـمٌ وَقَفنـا عَلـى رَسـمِ الوَفـاءِ لَـهُ	نَجـيشُ بِالـدَمعِ وَالإِجـلالِ يَثنينـا (٣)

ومن تلك الألفاظ التي تحمل معنى الغربة ما ذكره في البيتين السابقين (آها – نازحي – نجيش – الدمع) فالكلمات السابقة تدل على الحزن الشديد لفراق الوطن والتغرب عنه .

---

(١) الشوقيات : ص٦٨٠ .

(٢) السابق : ص١٠٥ .

(٣) السابق : ص٦٨١ .

ومن الألفاظ الدالة على الغربة كلمات البعد والغياب وذلك قد جمع في قصيدة واحدة تحدث فيها شوقي عن غربته عن بلاد النيل وشوقه لشربة واحدة منه ، حيث يقول : (البسيط)

يـا سـاكني مِـصرَ إنّـا لا نَـزالُ علـى عَهْـدِ الوَفـاءِ وإنْ غِبْنـا مُقِيمِينَـا

هَـلاَّ بَعَثـتُمْ لنـا مـن مـاءِ نَهـرِكُمُ شـيئاً نَبُـلُّ بـه أَحْـشاءَ صـادِينَا

كـلُّ المَناهِـلِ بَعـدَ النِّيـلِ آسِـنَةٌ مـا أَبْعَـدَ النِّيـلَ إلاّ عَـنْ أَمانِينَـا [(١)]

إن الألفاظ الدالة على الغربة كثيرة في شعر شوقي ، وقد تعددت بحسب الموضوع المتحدث عنه في القصائد المختلفة التي نظمت لغرضها المحدد ، فاستخدامه لكلمة النفي جاء تعبيراً عن رفضه المطلق للغربة ، حيث يقول : (الكامل)

لَـولا عَـوادي النَفـيِ أَو عَقَباتُـهُ وَالنَفـيُ حـالٌ مِـن عَـذابِ جَهَـنَّمِ[(٢)]

ومن تلك الألفاظ التي توحي بالحزن نتيجة آلام الغربة ، والتي تركت القلب يبكي ألماً وحزناً ما ذكره شوقي في قصيدة عبر فيها عن شعوره بالاغتراب حيث يقول : (الكامل)

قَلـبٌ يَـذوبُ وَمَـدمَعٌ يَجـري يـا لَيـلُ هَـل خَبَـرٌ عَـنِ الفَجـرِ

حالَـت نُجومُـكَ دونَ مَطلَعِـهِ لا تَبتَغـي حِـوَلاً وَلا يَـسري

وَتَطاوَلَـت جُنحـاً فَخُيِّـلَ لـي أَنَّ الـصَباحَ رَهينَـةُ الحَـشرِ [(٣)]

فجاءت الألفاظ (يذوب ، مدمع) لتوحي بمدى الحزن المسيطر على شوقي ، وفي بعض القصائد جمعت ألفاظ الغربة ومدلولاتها لتزيد من وضوح مؤثرات الغربة عنده ، ومن ذلك قوله : (الطويل)

ومُـضْطربٍ لا يهـدأُ الأَيـكُ تحتَـهُ لَـهُ مثـلُ مـا بـي أنَّـةٌ وزفيـرُ

بـرى البـين ظُفريـه وأذهـب ريـشه وهـدّ جناحيـه فكيـف يطيـرُ

يكـاد يلـين الجـذع مـن زفراتـه وييـبس منهـا الفـرع وهـو نـضيرُ

كلانـا غريـب فـي المـضاجع ليلـه طويـل وليـل العـالمين قـصيرُ

أقـول لـه والغُـدر بينـي وبينـه ومـن مـدمعينا جـدول وغـديرُ [(٤)]

(١) الشوقيات : ص٦٨٨ .

(٢) السابق : ص٦٠٥ .

(٣) السابق : ص٥٧٥ .

(٤) السابق : ص٣٢٧ .

فلقد صرح بلفظ مباشر عن الغربة والاغتراب بلفظ (غريب) حيث وصف نفسه بالغريب ، وعدد من دلالات الغربة وآثارها بألفاظ عديدة ، مثل : (مضطرب ، أنَّة ، زفير ، البين ، الغدر، مدمع) .

أما ألفاظ الحنين المباشرة ومرادفاتها فلم تقل عن ألفاظ الغربة ، فكلاهما مكملان لبعضهما ، حيث جاءت ألفاظ الحنين متناثرة في القصائد التي عبر شوقي فيها عن حنينه ، ومثال ذلك قوله في شوقه لمن أحبهم : (البسيط)

نـــابَ الحَنـــينُ إِلَـــيكُم فـــي خَواطِرِنـــا   عَـــنِ الـــدَلالِ عَلَـــيكُم فـــي أَمانينـــا[1]

ففي البيت السابق ورد لفظ الحنين بصورة مباشرة ، معبرًا عن تلك العاطفة الجياشة في قلب الشاعر ، فالحنين للأهل والأحباب قد غاص في سويداء القلب ، وكلمة الحنين ساعدت في رسم المعنى الدقيق لما يريده الشاعر ، ومن الألفاظ المباشرة لغرض الحنين ما جاء في تغنيه بالمحبوب ، حيث يقول : (المتقارب)

يَحِـــــنُّ إِلَيـــــكَ ضُـــــلوعٌ عَفَـــــت   مِـــنَ البَـــينِ فـــي جَـــسَدٍ ناحِـــلِ

وَقَلـــــبٌ جَـــــوٍ عِنـــــدَها خـــــافِقٌ   تَعَلَّـــــــقَ بِالـــــــسَنَدِ المائِـــــــلِ

وَمِـــــن عَبَـــــثِ العِـــــشقِ بِالعاشِـــــقين   حَنـــــينُ القَتيـــــلِ إِلـــــى القاتِـــــلِ[2]

لقد جاءت كلمتان مباشرتان للفظ الحنين ومن نفس مادة (حنن) لتزيد من المعنى ، وتوضح الفكرة ، فجاءت لفظة (يحن) ولفظة (حنين) ، ومن الألفاظ غير المباشرة الواردة في الأبيات السابقة : (خافق ، العشق) حيث ساعدت في تقوية المعنى .

إنَّ الألفاظ الدالة على الحنين كثيرة في معجم شوقي ، فمنها اللفظ المباشر ، ومنها غير المباشر ، وتجد ذلك في معظم قصائده وقد جمعا سويةً ، ومثال ذلك قوله في حنينه إلى المحبوب : (الطويل)

حَنانَيــكَ قَلبــي هَــل أُعيــدُ لَــكَ الــصِبا   وَهَـــل لِلفَتـــى بِالمُـــستَحيلِ يَـــدانِ

---

(١) الشوقيات : ص٦٨٢ .

(٢) السابق : ص٥٣٧ .

تَحُـــنُّ إِلـــى ذاكَ الزَمـــانِ وَطيبِـــهِ وَهَـــل أَنـــتَ إِلّا مِـــن دَمٍ وَحَنـــانِ
إِذا لَـم تَـصُن عَهـداً وَلَـم تَـرعَ ذِمَّـةً وَلَـــم تَـــدَّكِر إِلفـــاً فَلَـــستَ جَنـــاني
أَتَـــذَكُرُ إِذ نُعطـــي الـــصَبابَةَ حَقَّهـــا وَنَـشرَبُ مِـن صِـرفِ الهَـوى بِـدِنانِ[1]

فمن ألفاظ الحنين المباشرة الواردة في الأبيات السابقة كلمة (تحن) وكلمة (حنانيك) وكلمة (حنان) ، ومن الألفاظ غير المباشرة الدالة على الحنين كلمة (تَدَّكِر) و (الصَبابَة) .

فالأمثلة كثيرة على ألفاظ الحنين عند شوقي ، تعددت تلك الألفاظ عند حديثه عن الحنين إلى الوطن ، ومثال ذلك : (البسيط)

يـا مَـن هَجَـرتُ إِلـى الأَوطـانِ رُؤيَتَهـا فَرُحـــتُ أَشـــوَقَ مُـــشتاقٍ لِأَوطـــانِ
أَتَـــذكُرينَ حَنينـــي فـــي الزَمـــانِ لَهـــا وَسَـكبِيَ الـدَمعَ مِـن تَـذكارِها قـاني [2]

حيث جاءت كلمة الحنين صريحة في البيت الثاني ، وجاءت بعض الكلمات تحمل معنى الحنين ، مثل : (أشوق ، مشتاق ، أتذكرين ، تذكارها) . ومن الألفاظ الواردة في حنين شوقي لأهله ما يذكره في حنينه لأمه حيث يقول : (البسيط)

كَنــــزٌ بِحُلـــوانَ عِنـــدَ اللَـــهِ نَطلُبُـــهُ خَيــرَ الوَدائِـــعِ مِـــن خَيــرِ المُؤَدّينـــا
لَـــو غـــابَ كُـــلُّ عَزيـــزٍ عَنـــهُ غَيبَتَنـــا لَـــم يَأتِـــهِ الـــشَوقُ إِلّا مِـــن نَواحينـــا
إِذا حَمَلنــــا لِمِــــصرٍ أَو لَـــــهُ شَـــجَناً لَـم نَـدرِ أَيُّ هَـوى الأُمَّـينِ شـاجينا [3]

فالكلمات (عزيز ، الشوق ، شجن ، هوى ، شاجينا) دلت على حنينه لأمه ، وعبرت كذلك عن حنينه لوطنه مصر . ومن تلك الألفاظ الدالة على الحنين ما أنشده وهو على ظهر السفينة عندما رأى طفلة تشبه ابنته أمينة ، فقال : (رمل مجزوء)

أَنـــــتِ فــــي الفُلــــكِ بَهــــاءٌ وَهـــــوَ فـــــي حُلـــــوانَ زينَـــــه
ناجِــــهِ وَاِذكُــــر لَــــهُ وَجـــــدَ أَبيـــــــهِ وَحَنينَـــــــه[4]

---

(١) الشوقيات : ص٧١٣ .

(٢) السابق : ص٧٠٤ .

(٣) السابق : ص ٦٨٣-٦٨٤ .

(٤) السابق : ص٦٦٥.

فقد استخدم لفظ الحنين صراحة في قوله (حنينه) ، ولفظ (الوجد) للدلالة على شدة شوقه لابنته أمينة .

أما الألفاظ الدالة على الحنين إلى الذكريات الماضية فقوله في حنين شوقي لأجمل لحظات العمر في مرحلة الشباب : (الطويل)

أقــول لقلبـــي والهــوى يـــزحم الهـــوى حـــوالي الـــصبا والوجــد بالوجــد يلتقـــي

إذا أنــــت لــــم تعــــط الــــشبيبة حقهـــا نـــدمت علـــى مـــا فـــات بعـــد التفـــرق

وإنــــك حــــي مــــا خفقــــت مؤمــــل وإن حيـــاتي فــــي حياتــــك فـــاخفق[1]

حيث جاءت كلمات تساعد في إظهار حنينه ، مثل : (الوجد ، الهوى ، التفرق) ، أما ألفاظه في حنينه إلى المحبوب فكثيرة ومثالها قوله : (الطويل)

يَمُـــدُّ الـــدُجى فـــي لَـــوعَتي وَيَزيـــدُ وَيُبــــدِئُ بَثّــــي فــــي الهَــــوى وَيُعيـــدُ

إذا طــالَ وَاِستَعــصى فَمــا هِــيَ لَيلَــةٌ وَلَكِــــن لَيــــالٍ مــــا لَهُـــنَّ عَديـــدُ

أَرِقـــتُ وَعـــادَتني لِـــذِكرى أَحِبَّتـــي شُـــجونٌ قِيـــامٌ بِالـــضُلوعِ قُعـــودُ

وَمَـن يَحمِـلِ الأَشـواقَ يَتعَـب وَيَختَلِـف عَلَيـــهِ قَـــديمٌ فـــي الهَـــوى وَجَديـــدُ

لَقيـتَ الَّـذي لَـم يَلـقَ قَلـبٌ مِـنَ الهَـوى لَـــكَ اللَـــهُ يـــا قَلبـــي أَأَنـــتَ حَديـــدُ

وَلَـم أَخـلُ مِـن وَجـدٍ عَلَيـكَ وَرِقَّـةٍ إذا حَـــلَّ غيـــدٌ أَو تَرَحَّـــلَ غيـــدُ[2]

حيث جاءت ألفاظ عديدة أسهمت في رسم حدود ذلك الحنين ، فقد ورد كلمات أخذت على عاتقها إظهار الحنين ، منها : (لوعتي ، أرقت ، ذكرى ، شجون ، الأشواق ، الهوى ، وجد) .

أسهمت ألفاظ الغربة والحنين السابقة في إبراز تلك العاطفة الإنسانية الجياشة ، فكانت ألفاظها المباشرة أو غير المباشرة وسيلة للتعبير عن صدق التجربة الشعورية عند شوقي .

(١) الشوقيات : ص٤٥٩ .
(٢) السابق : ص٢٤٤.

التناص :

تعريفه لغة : " النَّصُّ رفْعُك الشيء نَصَّ الحديث يَنُصُّه نصّاً رفَعَه وكل ما أُظْهِرَ فقد نُصَّ ، قال الأَزهري النصُّ أَصلُه منتهى الأَشياء ومَبْلَغُ أَقْصاها ومنه قيل نصَصْتُ الرجلَ إِذا استقصيت مسأَلته عن الشيء حتى تستخرج كل ما عنده "[١] .

أما اصطلاحاً فهو عند (جوليا كرستيفا) أول من جاء بهذا المصطلح : " كل نص يتشكل من تركيبة فسيفسائية من الاقتباسات ، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى "[٢] وترى كذلك أنَّ التناص " قانون جوهري : إذ هي نصوص تتم صناعتها عبر امتصاص ، وفي الوقت نفسه هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصيًا ويمكن التعبير عن ذلك بأنه ترابطات متناظرة ذات طابع خطابي "[٣]

" التناص من أبرز بنيات الشعر الحداثي ، ومن أدق خصائص بنيته التركيبية والدلالية ، حيث يمثل التناص استحضار نصوص غائبة سابقة في النص الحاضر لوظيفة معنوية أوفنية أو أسلوبية." [٤] ، وهناك من النقاد من حاول أن يوالف بين العديد من التعريفات لمصطلح التناص، لما صاحب هذا المصطلح تسميات عديدة بسبب أصله الغربي ، فالناقد محمد مفتاح يعرفه بأنه: " تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة " [٥] فالتناص عنده : " ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتلقين ، إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي ، وسعة معرفته وقدرته على الترجيح " [٦] ، وما صرح به محمد مفتاح يصيب كبد الحقيقة ، فلا يمكن للناقد التعرف على التناص داخل نص ما إلا إذا كانت ثقافته واسعة ، عند ذلك يستطيع معرفة التحولات داخل النص الأدبي .

---

(١) لسان العرب : ابن منظور ، مادة (نصص) ، ٧/٩٧-٩٨ .
(٢) الخطيئة والتكفير –من البنيوية إلى التشريحية – قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر: عبد الله الغذامي ، النادي الثقافي الأدبي – جدة ،١٩٨٥م ، ط١ ، ص١٣.
(٣) علم النص : جوليا كريستيفا ، تر/ فريد الزاهي ، مراجعة / عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر، المغرب، ط١ ، ١٩٩١م ، ص٧٩ .
(٤) التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر : حسن البنداري ، عبد الجليل صرصور ، عبلة ثابت ، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية ، ٢٠٠٩ ، المجلد ١١ ، العدد ٢ ، ص٢٤١ .
(٥) تحليل الخطاب الشعري : محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط٣ ، ١٩٩٢م ، ص١٢١ .
(٦) السابق ، ١٣١ .

فالتناص على اختلاف مسمياته سواء التداخل النصي أو التعالقية النصية أو النص الغائب هو وجود علاقة بين نصين أحدهما سابق والآخر لاحق ، وهذه العلاقة قد تكون على صعيد الشكل أو المضمون أو كليهما معاً ، متكئةً على نماذج متعددة نحو : الاقتباس أو التضمين أو الإيماء أو الإشارة (١) . وذلك باعتماده على الجذور التاريخية للتناص في الأدب العربي . وهذا حاضر وبقوة عند شوقي ؛ لأنَّ شوقي من رواد مدرسة الإحياء والبعث التي استقت منهجها وأسلوبها من التراث العربي وأخذت تبث الحياة من جديد في الشعر العربي ، لذلك نجد شوقي سائرًا على النهج القديم مجددًا ما أمكن له ذلك .

أما أمثلة التناص عند شوقي في أشعار الغربة والحنين ، فجاءت واضحة منتشرة في أكثر من قصيدة ، وذلك يرجع لثقافته الواسعة واطلاعه على ثقافات عديدة ، ومن تلك الأمثلة المقسمة وفق أنواع التناص كالآتي :

التناص الديني :

ويقصد به تداخل نصوص دينية مختارة عن طريق الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الكتب السماوية الأخرى مع النص الأصلي للقصيدة بحيث تنسجم هذه النصوص مع السياق الشعري ، وتؤدي غرضاً فكرياً أو فنياً أو كليهما معاً (٢). ويندرج تحت ذلك استخدام الألفاظ القرآنية وتوظيفها في نصوصه والأحاديث النبوية الشريفة ، ومثال ذلك قوله: (الكامل)

بِنــــتَ البِقـــاعِ وَأُمَّ بَردونِيَّهـــا ... طيبـــي كَجِلَّـــقَ وَاِســكُبي بَـــرداكِ

وَدِمَـــشقُ جَنّـــاتُ النَعـــيمِ وَإِنَّمـــا ... أَلفَيـــتُ سُـــدَّةَ عَـــدنِهِنَّ رُبـــاكِ

قَـــسَماً لَـــوِ اِنتَمَـــتِ الجَـــداوِلُ وَالرُبـــا ... لَتَهَلَّـــلَ الفِـــردَوسُ ثُـــمَّ نَمـــاكِ(٣)

يتناص شوقي في هذه الأبيات مع قوله تعالى : " **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ** " (٤) حيث استخدم تركيب القرآن الكريم (جنات النعيم) في معرض حديثه عن جمال مدينة زحلة اللبنانية ، ولم يقف عند

---

(١) ينظر : ظاهرة التناص في الشوقيات ، مهند عباس زكي ، رسالة ماجستير ، الجامعة العراقية – بغداد، ٢٠١١ ، ص ١١٧.

(٢) ينظر : التناص : مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية ، د. أحمد الزعبي ، مكتبة الكتاني، الأردن ، ط١ ، ١٩٩٣م ، ص١١ . ظاهرة التناص في الشوقيات : مهند عباس زكي، ص ٥٣ .

(٣) الشوقيات : ص٤٦٧ .

(٤) سورة يونس : آية ٩ .

ذلك الحد بل وظف ألفاظ القرآن الكريم مثل : (عدن ، الفردوس) ، لقد استخدم شوقي ذلك التركيب في أبيات عديدة ، منها قوله في حنينه لباريس : (الطويل)

وَمَــــراحَ لَـــــذّاتي وَمَغـــــداها عَلــــى ... أُفُــــقٍ كَجَنّـــــاتِ النَعـــــيمِ ضَـــــحوكِ
وَسَـــماءَ وَحـــيِ الــشِعرِ مِـــن مُتَــدَفِّقٍ ... سَـلِسٍ عَلــى نَــولِ الــسَماءِ مَحــوكِ[1]

ومنها قوله في رثائه لأمه وهو في المنفى ، وحنينه لأمه حيث يقول : (الطويل)

نَزَلـــتُ رُبـــى الـــدُنيا وَجَنّـــاتِ عَـــدنِها ... فَمـا وَجَـدَت نَفـسي لِأَنهارِهـا طَعمـا[2]

وعند حديثه عن المنفى وبعده عن وطنه يستدعي شوقي قصة آدم (عليه الصلاة والسلام) عندما أخرج من جنة الخلد ، حيث يقول : (الوافر)

مُغَــــــرِّبُ آدَمٍ مِـــــــن دارِ عَـــــــدنٍ ... قَــضاها فـــي حِمـــاكِ لِـــيَ اِغتِرابـــا [3]

لقد ظهر التناص الديني عند شوقي باستدعائه قصة آدم (عليه السلام) مع إبليس (لعنه الله) وذلك في قوله تعالى : " فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ " [4]

" وقد استخدم شوقي شخصية جبريل في إضفاء القدسية ؛ ففي قصيدته (أندلُسية) التي نظمها في منفاه بأسبانيا وفيها يحن للوطن العزيز ويصف كثيرًا من مشاهده ومعاهده ، يرسل تحية إلى مصر مع (جبريل) – عليه السلام – ليجعلها تحية مقدسة ، فيقول في أبيات منها: (البسيط)

يـا سـارِيَ البَـرقِ يَرمـي عَـن جَوانِحِنـا ... بَعــدَ الهُــدوءِ وَيَهمـــي عَـــن مَآقينـــا

(١) الشوقيات : ص٤٧٢ .

(٢) السابق : ص٥٥٠ .

(٣) السابق : ص١٠٥ .

(٤) سورة طه : آية ١٢٠-١٢٣ .

بـــاللهِ إن جُبــتَ ظلمـــاءَ العُبـــاب علــى نَجائـــبِ النُّـــورِ مَحْـــدُوًّا (بجبرينـــا)
تَـــرُدُّ عَنـــكَ يَـــداهُ كُـــلَّ عادِيَـــةٍ إنـــساً يَعِـــثنَ فَـــساداً أَو شَـــياطينا[١]

فالتحية ترسل مع البرق هي صورة بسيطة تقليدية شائعة في الشعر القديم ، ولكن الجديد فيها هو محاولة شوقي إسباغها السمو والتقديس فجعل البرق كما لو كان قافلة تمضي على إبل نجيبةٍ كريمةٍ ؛ ولكن هذه الإبل إنما هي من نور (نجائب النور) ومما زاد المعنى قدسية هو جعل جبريل – عليه السلام – هو الذي يحدو بهذهِ الإبل " [٢] .

ومن ذلك قوله : (البسيط)
إذا خَفَـــضتُ جَنـــاحَ الـــذُلِّ أَســـأَلُهُ عِــزَّ الـشَفاعَةِ لَـم أَسـأَل سِـوى أُمَـمِ[٣]

فقد وظف شوقي التعبير القرآني في قوله: (خَفَضتُ جَناحَ الذُلِّ) وذلك يتناص مع قوله تعالى: "وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا " [٤]

التناص الأدبي :

يعرف التناص الأدبي بأنَّه: " تداخل نصوص أدبيّة مختارة قديمة وحديثة ، شعراً ونثراً مع النَّصِّ الأصلي . بحيث تكون منسجمةً ومتسعةً ودالةً قدر الإمكان على الفكرةِ التي يقدمها أو يعلنها المؤلف أو الحالة التي يجسدها ويتحدثُ عنها " [٥]

والتناص الأدبي عند شوقي متعدد المداخل ، ومن الأمثلة على التناص الأدبي في الحنين استقاؤه المعاني والألفاظ تارة ، والمعارضات تارة أخرى ، فالمعارضات الشعرية كانت سمة ظاهرة عند شوقي ، ومن أمثلتها في أشعار الغربة والحنين عنده معارضته للبحتري في سينيته التي يقول فيها : (الخفيف)
صُـــنتُ نَفـــسي عَمّـــا يُـــدَنِّسُ نَفـــسي وَتَرَفَّعـــتُ عَـــن جَـــدا كُـــلِّ جِـــبسِ [١]

(١) الشوقيات : ص ٦٨١ .
(٢) التناص : مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية ، د. أحمد الزعبي ، ص ٣ .
(٣) الشوقيات : ص٦١٣ .
(٤) سورة الإسراء : آية ٢٤ .
(٥) ينظر : ظاهرة التناص في الشوقيات ، مهند عباس زكي، ص ١١٢ .

" وهذه السينية التي يصف فيها إيوان كسرى، وهي التي أجمع الناس على استحسانها، والاعتراف بالفضل له فيها " [٢] ، وشوقي يعارض البحتري في سينيته في الأندلس ، يبث خلالها آهات الغربة ونيران الحنين إلى الوطن ، ومطلعها : (الخفيف)

اِخــــتِلافُ النَهــــارِ وَاللَيــــلِ يُنــــسي   أُذكُــرا لِــيَ الــصِبا وَأَيّــامَ أُنــسي [٣]

أما التناص الأدبي المتمثل في المعاني والألفاظ فمثاله قول شوقي في تعبيره عن الحزن وشعوره بالاغتراب ، فقد استدعى صورة الليل عن امرئ القيس ، حيث يقول شوقي باثاً حزنه : (الكامل)

قَلـــبٌ يَـــذوبُ وَمَـــدمَعٌ يَجـــري   يـا لَيـلُ هَـل خَبَـرٌ عَـنِ الفَجـرِ

حالَـــت نُجومُـــكَ دونَ مَطلَعِــــهِ   لا تَبتَغـــي حِـــوَلاً وَلا يَـــسري

وَتَطاوَلَـــت جُنحـــاً فَخُيِّـــلَ لـــي   أَنَّ الـــصَباحَ رَهينَــــةُ الحَــــشرِ

أَرسَــــيتَها وَمَلَكــــتَ مَــــذهَبَها   بِدُجُنَّــــةٍ كَــــسَريرَةِ الــــدَهرِ

ظُلُـــمٌ تَجـــيءُ بِهـــا وَتُرجِعُهـــا   وَالمَـوجُ مُنقَلِـبٌ إِلـى البَحـرِ [٤]

أما صورة الليل عند امرئ القيس فيمثلها قوله في معلقته الشهيرة : (الطويل)

وَلَيـلٍ كَمَـوجِ البَحـرِ أَرخـى سُـدولَهُ   عَلَـيَّ بِـأَنواعِ الهُمـومِ لِيَبتَلـي

فَقُلـتُ لَـهُ لَمّـا تَمَطّـى بِـصُلبِهِ   وَأَردَفَ أَعجـازاً وَنـاءَ بِكَلكَـلِ

أَلا أَيُّهـا اللَيـلُ الطَويـلُ أَلا اِنجَلـي   بِـصُبحٍ وَمـا الإِصـباحُ مِنـكَ بِأَمثَـلِ

فَيـا لَـكَ مِـن لَيـلٍ كَـأَنَّ نُجومَـهُ   بِكُـلِّ مُغـارِ الفَتـلِ شُـدَّت بِيَـذبُلِ [٥]

---

(١) ديوان البحتري : تحقيق / حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف – القاهرة ، ط٣ ، ١٩٦٤ م ، ١١٥٢/٢.

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، تحقيق / د. عبد الله المحارب، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٤ م ، ٦٦٧/٣ .

(٣) الشوقيات : ص٣٨٤ .

(٤) السابق : ص٥٧٥ .

(٥) ديوان امرئ القيس : تحقيق / عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة – بيروت ، ٢٠٠٤ ، ط٢ ، ص٤٨-٤٩ .

فلقد استوحي شوقي ذلك المعنى وصورة الليل الحزين من شعر امرئ القيس ، " فحافظ شوقي بتناصه مع نص امرئ القيس الشعري على البنية اللفظية وكذا المعنوية ، فلو عقدنا مقارنة لفظية بسيطة بين النصين لوجدنا ارتباطاً تناصياً كبيراً بينهما (قلبٌ يذوب ومدمع يجري – عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي) ، (ياليلُ – ألا أيها الليل) ، (هل خبرٌ عن الفجر – ألا انجلي بصُبحٍ) ، (حالت نجومك – كأنَ نجومَهُ) ، (لا تبتغي حِوَلاً ولا يسري – بِكُلِّ مُغارِ الفَتلِ شُدَّت بِيَذبُلِ) ، (تطاولتْ جنحاً – تمطى بصُلبهِ) ، (ظُلُمٌ تجيءُ بها – فيالكَ من لَيْلٍ) ، (والموجُ منقلبٌ إلى البحر – كموج البحر) يمتص الشاعر تجربة امرئ القيس الشعرية في تصويره لليل المثقل بالأحزان والهموم فيعيد صياغة هيكليتها اللفظية ، وفي هذا ترابط بين النصين السابق واللاحق عن طريق آليات التعبير "[١] .

التناص التأريخي :

يعرف التناص التاريخي بأنه : " تداخل نصوص تاريخية مختارة قديمة أو حديثة مع النص الفني ، بحيث تكون منسجمة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها المؤلف أو الحالة التي يجسدها ويقدمها في عمله " [٢] فالشاعر يلجأ إلى التناص التأريخي ؛ ليوظف أحداثاً مهمة في قصيدته ، أو يستدعي شخصيات تاريخية من شأنها إثراء العمل الأدبي ، وتجسد ذلك عند شوقي في ذكره لأحداث تاريخية ، واستدعاء شخصيات ذات دلالة تساهم في رسم المعاني التي يريدها ، ومن أمثلة ذلك في شعر الغربة والحنين استدعاؤه لشخصية خالد بن الوليد (رضي الله عنه) في قوله : (البسيط)

اللَـهُ أَكبَـرُ كَـم فـي الفَـتحِ مِـن عَجَـبٍ	يـا خالِـدَ التُـركِ جَـدِّد خالِـدَ العَـرَبِ
صُـلحٌ عَزيـزٌ عَلـى حَـربٍ مُظَفَّـرَةٍ	فَالـسَيفُ فـي غِمـدِهِ وَالحَـقُّ فـي النُـصُبِ
يـا حُـسنَ أُمنِيَّـةٍ فـي الـسَيفِ مـا كَـذَبَت	وَطيـبَ أُمنِيَّـةٍ فـي الـرَأيِ لَـم تَخِـبِ [٣]

حيث جاء بشخصية خالد بن الوليد (رضي الله عنه) مثالاً للبطولة في التاريخ الإسلامي ، ورمزاً للحنكة العسكرية ، فالقصيدة تلك قيلت في إحدى المعارك للخلافة الإسلامية ، حيث تعتبر تلك القصيدة من القصائد الجميلة في الخلافة العثمانية .

(١) ينظر : ظاهرة التناص في الشوقيات ، مهند عباس زكي، ص ١٢٠ .
(٢) التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر : حسن البنداري وآخرون، المجلد ١١ ، العدد ٢ ، ص٢٥٩ .
(٣) الشوقيات ص١٦٢ .

ومن التناص التأريخي قصيدته في دمشق واستحضار حقبة تاريخية رائعة في التاريخ الإسلامي ، حيث العز والملك العظيم لبني الإسلام ، ومنها قوله في حكم بني أمية الذين فتحوا بلاد عظيمة إبان حكمهم : (البسيط)

بَنو أُمَيَّةَ لِلأَنباءِ ما فَتَحوا   وَلِلأَحاديثِ ما سادوا وَما دانوا

كانوا مُلوكاً سَريرُ الشَرقِ تَحتَهُمُ   فَهَل سَأَلتَ سَريرَ الغَربِ ما كانوا[1]

ومن هذا التناص التأريخي ما ساعده في بث حزنه على واقع الأمة الإسلامية ، والأهوال التي تتعرض لها من ظلم وقهر ، حيث يصف المسجد الأموي في دمشق ، ويستدعي شخصية تاريخية بارزة ولها أثر في بناء ذلك المسجد ، حيث يقول : (البسيط)

مَرَرتُ بِالمَسجِدِ المَحزونِ أَسأَلَهُ   هَل في المُصَلّى أَوِ المِحرابِ مَروانُ

تَغَيَّرَ المَسجِدُ المَحزونُ وَاِختَلَفَت   عَلى المَنابِرِ أَحرارٌ وَعِبدانُ

فَلا الأَذانُ أَذانٌ في مَنارَتِهِ   إِذا تَعالى وَلا الآذانُ آذانُ[2]

فجاء بشخصية مروان بن عبد الملك كوسيلة لرسم تلك الصورة الحزينة لتغير الأحوال من حال العزة والكرامة إلى حال القهر والظلم الواقع على أهل دمشق خاصة وعلى العالم الإسلامي عامة.

الأساليب الإنشائية الطلبية :

كثيرة هي الأساليب الإنشائية الطلبية في شعر شوقي العام ؛ لكن شعر الغربة والحنين يقتصر على أساليب ساعدت الشاعر على توضيح الحالة النفسية التي يعانيها ، ويبث من خلالها مآسيه وآلامه وأحزانه ، ومن أكثر تلك الأساليب أسلوب النداء ، الأمر ، الاستفهام، التمني .

١- أسلوب النداء :

النداء لغة : " النِّداءُ والنُّداء الصوت مثل الدُّعاء والرُّغاء وقد ناداه ونادى به وناداه مُناداة ونِداء أَي صاح به وأَنْدى الرجلُ إذا حسُن صوته " [3].

(١) الشوقيات : ص٧٠٠ .

(٢) السابق : ص٧٠١ .

(٣) لسان العرب : ابن منظور ، مادة (ندي) ، ٣١٥/١٥ .

وفي الاصطلاح : " هو طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرف منها مناب الفعل أدعو" [١].

استخدم شوقي أسلوب النداء لمخاطبة الأهل والأحبة والوطن والمكان ، وجاء النداء ليعبر شوقي من خلاله عما يجول في صدره ، إما حنيناً للوطن وإما حنيناً للأهل والأصدقاء ، وإما حنيناً دينياً ، وإما حنيناً لمكان ما ، وإما حنيناً للمحبوب ، وإما تعبيراً عن شعوره بآلام الغربة فأخذ يخاطب الجمادات والطيور .

وأمثلة ذلك كثيرة في شعر الغربة والحنين عند شوقي منها قوله عند عودته إلى الوطن بعد النفي : (الوافر)

وَيـــا وَطَنـــي لَقَيتُـــكَ بَعـــدَ يَـــأسٍ كَـــأَنّي قَـــد لَقيـــتُ بِـــكَ الـــشَبابا[٢]

ومـن ندائـه مـا يبـث حزنـه مـن خلالـه ، وذلـك فـي قصيدته (أندلـسية) التـي يقـول فيهـا : (البسيط)

يـــا نـــائِحَ الطَلـــحِ أَشـــباهٌ عَوادينـــا نَـــشجى لِواديـــكَ أَم نَأســـى لِوادينـــا[٣]

فلقد بدأ قصيدته بنداء التفجع والمأساة التي حلت به ، وهذا ما نلمسه في الامتداد الصوتي في حرف النداء الذي يلائم الحزن والألم الذي اعتصر قلبه ، فيوجه نداءه لمن يشاركه ذلك الفراق القاسي ، فكلاهما اشترك في مصيبة الفراق والبعد عن الوطن ، ومن ذلك الحنين مخاطبته البرق، فهو الذي ينقل له الأخبار عن وطنه يخفف عنه لوعة الفراق والحزن ، حيث يقول : (البسيط)

يـا سـارِيَ البَـرقِ يَرمـي عَـن جَوانِحِنـا بَعـدَ الهُـدوءِ وَيَهمـي عَـن مَآقينـا[٤]

ومن ذلك النداء ما يحمل الحنين لمصر وأهلها ونيلها ، فقد فاض الحنين به وجعله ينادي أهل مصر فيقول : (البسيط)

---

(١) علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٩ ، ص ١١٤-١١٥ .

(٢) الشوقيات : ص ١٠٥ .

(٣) السابق : ص٦٨٠ .

(٤) السابق : ص ٦٨١ .

يــا ســاكني مِــصرَ إنّــا لا نَــزالُ علـــى عَهْـــدِ الوَفـــاءِ وإنْ غِبْنـــا مُقِيمِينَـــا[١]

تتعدد المعاني التي يخرج إليها النداء عن شوقي ، ولعل أثقلها عندما يخاطب الجمادات ، ومن ذلك قوله : (الخفيف)

يـــا اِبنَـــةَ الـــيَمِّ مـــا أَبـــوكِ بَخيـــلٌ مـــا لَـــهُ مولَعـــاً بِمَنـــعٍ وَحَـــبسِ[٢]

لقد جاء خطاب شوقي للسفينة كمحاولة منه لاستدرار عطفها ، فأبوها البحر معروف عنه الكرم مع كل الخلائق ؛ لكن معاملته مختلفة مع شوقي .

وجاء نداؤه متحسراً على انقضاء فترة الشباب وكان ذلك في قالب من حنين جارف لتلك الفترة ، متمنياً عودتها حيث يقول : (الطويل)

أَقـــولُ لِأَيّـــامِ الـــصِبا كُلَّمـــا نَـــأَت أَمـــا لَـــكَ يـــا عَهـــدَ الـــشَبابِ مُعيـــد

وَكَيـــفَ نَـــأَت وَالأَمـــسُ آخـــرُ عَهـــدِها لَأَمـــسُ كَبـــاقي الغـــابِراتِ عَهيـــدُ[٣]

أما في حنينه للمصطفى (صلى الله عليه وسلم) فجاء نداؤه معظماً للرسول الكريم ، متمنياً شفاعته ومن ذلك قوله :

يـــا خَيـــرَ مَـــن جـــاءَ الوُجـــودَ تَحِيَّـــةً مِـن مُرسَـلينَ إِلـى الهُـدى بِـكَ جـاؤوا[٤]

لـــي فـــي مَـــديحِكَ يـــا رَســولُ عَــرائِسٌ تُـــيِّمنَ فيـــكَ وَشـــاقَهُنَّ جَـــلاءُ[٥]

وجاء النداء في حنينه للأحبة تأكيداً على عظم الحب والشوق والحنين في قلب شوقي لأحبته ، فيخاطبهم خطاباً امتلأ وجداً وحنيناً فيقول : (البسيط)

يــا مَــن نَغــارُ عَلَــيهِم مِــن ضَــمائِرِنا وَمِــن مَــصونِ هَــواهُم فــي تَناجينــا [٦]

---

(١) الشوقيات : ص٦٨٨ .

(٢) السابق : ص٣٨٤ .

(٣) السابق : ص٢٤٤-٢٤٥ .

(٤) السابق : ص٣٣ .

(٥) السابق : ص٣٨ .

(٦) السابق : ص ٦٨١ .

ومن خلال ما سبق تبين مدى توظيف شوقي لأسلوب النداء والذي ساعده في بث مشاعره المتمثلة بالحنين بأنواعه المذكورة سابقاً ، وتعبيره عن الغربة الداخلية أو الخارجية .

٢- أسلوب الاستفهام :

يعرف الاستفهام لغة بأنه : " طلب الفهم والمعرفة ، واسْتَفْهَمه سأَله أن يُفَهِّمَه وقد اسْتَفْهَمَني الشيءَ فأَفْهَمْته وفَهَّمْته تفهيماً " (١)

أما اصطلاحاً فهو : " وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة خاصة " (٢)

امتطى شوقي أسلوب الاستفهام باثاً من خلاله لواعجه بسبب الغربة واشتداد الحنين به ، فعبر من خلال الاستفهام عن إحساسه ، وأمثلة ذلك كثيرة في شعر الغربة والحنين ، ومن ذلك قوله في حنينه إلى مصر : (الخفيف)

وَسَلا مِصرَ هَل سَلا القَلبُ عَنها أَو أَسا جُرحَهُ الزَمانَ المُؤَسّي(٣)

فهنا يطلب شوقي من صاحبيه اللذين تخيلهما بأن يسألا مصر سؤالاً خرج عن معناه الأصلي وأفاد النفي ، هل نسي قلبه مصر وهل بمقدوره الصبر على البعد والغربة ، وهل يستطيع الزمان أن يعالج جراحه التي سببها الرئيس غربته عنها .

ومن تلك الأمثلة على أسلوب الاستفهام في شعر الغربة والحنين تعجبه من البحر الذي وقف حجر عثرة لشوقي مانعاً إياه من العودة إلى الوطن ، مستنكراً في نفس الصورة قسوة الاستعمار الذي يحرِّم الأوطان على أبنائها المخلصين ، وتباح للغرباء من كل جنس ؛ ليستمتعوا بخيراتها ، تماماً كما يباح الدوح والشجر لكل أنواع الطيور الغريبة ، ويحرم على بلابله التي تعيش فيه حيث يقول : (الخفيف)

يا اِبنَةَ اليَمِّ ما أَبوكِ بَخيلٌ ما لَهُ مولَعاً بِمَنعٍ وَحَبسِ

أَحرامٌ عَلى بَلابِلِهِ الدَو حُ حَلالٌ لِلطَيرِ مِن كُلِّ جِنسِ(٤)

جاء استخدام شوقي لأساليب الاستفهام ليعبر عن صدق حنينه ، وشدة شوقه لمن أحب ، وهروباً من شبح الغربة ، فكان يستخدم في البيت الواحد أكثر من أداة للاستفهام ، حيث يقول في

---

(١) ينظر لسان العرب : ابن منظور ، مادة (فهم) ، ٤٥٩/١٢ .

(٢) علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، ص ٨٨ .

(٣) الشوقيات : ص٣٨٤ .

(٤) السابق : ص٣٨٤ .

قصيدة غزلية يبث من خلالها شوقه للمحبوب ، واشتياقه ، ويعبر عن لوعة الفراق والبعد : (البسيط)

يـا حلـوة الوعـد مـا نـساك ميعـادي ... عـن الهـوى أم كـلام الـشامت العـادي
كيـف انخـدعت بحـسادي ومـا نقلـوا ... أنـتِ التـي خلقـت عينـاك حـسادي
طرفـي وطرفـك كانـا فـي الهـوى سـبباً ... عنـد اللقـاء ولكـن طرفـك البـادي
تـذكري هـل تلاقينـا علـى ظمـأ ... وكيـف بـل الـصدى ذو الغلـة الـصادي
وأنـتِ فـي مجلـس الريحـان لاهيـة ... مـا سـرت مـن سـامر إلا إلـى نـادي[1]

لقد استخدم الشاعر أداة الاستفهام (كيف) مرتين ، ووظف أداتيتن في بيت واحد من النص (كيف ، هل) ، حيث يتعجب شوقي من المحبوب سماعه قول الوشاة ، ثم يؤكد على قوة العلاقة بينهما . ومن استفهامه ما خرج للتمني ، حيث يتمنى رجوع زمن الشباب الذي أحس بحنين عظيم لتلك الليالي والأوقات ، حيث يقول : (الطويل)

أَقـولُ لِأَيّـامِ الـصِبا كُلَّمـا نَـأَت ... أَمـا لَـكَ يـا عَهـدَ الـشَبابِ مُعيـد
وَكَيـفَ نَـأَت وَالأَمـسُ آخـرُ عَهـدِها ... لَأَمـسُ كَبـاقي الغـابِراتِ عَهيـدُ[2]

وأمثلة الاستفهام كثيرة في شعر الحنين ، فقد لجأ شوقي إلى توظيفه بأكثر من صيغة ؛ للدلالة على اشتعال نار الشوق للمحبوب ، فيكرر الأداة في البيت مرتين ، وينوع في استخدام أدوات الاستفهام ، ومن ذلك قوله : (الطويل)

صَحا القَلـبُ إِلّا مِـن خُمـارِ أَمـاني ... يُجـاذِبُني فـي الغيـدِ رَثَّ عِنـاني
حَنانَيـكَ قَلبـي هَـل أُعيـدُ لَـكَ الـصِبا ... وَهَـل لِلفَتـى بِالمُـستَحيلِ يَـدانِ
تَحُـنُّ إِلـى ذاكَ الزَمـانِ وَطيبِـهِ ... وَهَـل أَنـتَ إِلّا مِـن دَمٍ وَحَنـانِ
إِذا لَـم تَـصُن عَهـداً وَلَـم تَـرعَ ذِمَّـةً ... وَلَـم تَـدَّكِر إِلفـاً فَلَـستَ جَنـاني
أَتَـذَكُرُ إِذ نُعطـي الـصَبابَةَ حَقَّهـا ... وَنَـشرَبُ مِـن صِـرفِ الهَـوى بِـدِنانِ[3]

---

(١) الشوقيات ص٢٦٣.
(٢) السابق : ص٢٤٤-٢٤٥ .
(٣) السابق : ص٧١٣ .

فقد استخدم في الأبيات السابقة حرفي الاستفهام (هل ، الهمزة) حيث عبّر باستخدامهما عن إقراره بعظم الحنين الذي يكنه للمعشوق ، والمشاعر الملتهبة لوصلهم ولذكرياتهم الجميلة التي ارتبطت بأزهى أوقاته بفترة الشباب ، هذه الفترة التي يصفها في قصيدة أخرى متمنياً عودتها، وبتوظيفه لأسلوب الاستفهام استطاع أن يصف جمال تلك الفترة ، حيث يقول : (مجزوء الكامل)

زَمَـــــــنٌ تَقَــــــضّى لِلهَـــــوى	وَلَنــــــا بِظِلِّـــــكَ هَـــــل يَعــــود
وَهَـــــــبِ الزَمـــــــانَ أَعادَهـــــــا	هَـــــل لِلــــشَبيبَةِ مَـــــن يُعيـــــد
هَــــلّا ذَكَـــــرتَ زَمـــــانَ كُنّــــا	وَالزَمــــــانُ كَمــــــا نُريــــــد[١]

وظف شوقي أسلوب الاستفهام في كل بيت من الأبيات السابقة ، فكان البيت الأول والبيت الثاني تعبيراً عن أمانيه لعودة أيام الشبيبة، وكان استخدامه لحرف الاستفهام عينه (هل) دلالة على ربط تلك الأيام بالسعادة والنشوة النفسية ، ويوظف في البيت الثالث أسلوب الاستفهام ليخرج إلى معنى مغاير عن سابقيه ، فدل على التحضيض ففيه يحث السامع أن يذكر له ذلك الزمان الجميل ، فقد غلبه الحنين لتلك الأيام .

٣- أسلوب الأمر :

تعريفه لغة : " هو نقيض النَّهْيِ أَمَرَه به وأَمَرَهُ يَأْمُرُه أَمْراً وإِماراً " [٢]

أما اصطلاحاً فهو " طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام. ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الآمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه أو يوجه الأمر إليه، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا " [٣] .

ويخرج الأمر عن معناه الحقيقي لأغراض عديدة ، منها : الدعاء ، الالتماس ، التمني ، التعجيز ، التهديد ، التخيير ، التقسيم ، والإهانة والتحقير ، التسوية ، ويخرج لمعانٍ أخر ذكرها ابن فارس في كتابه الصاحبي.

---

(١) الشوقيات : ص٢٧٥ .

(٢) ينظر لسان العرب : ابن منظور، مادة (أمر) ، ٢٦/٤-٢٧ .

(٣) علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، ص ٨٨ ، ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٣م ، ٣١٣/١

لجأ شوقي لأسلوب الأمر ؛ ليتسنى له التعبير عما يعانيه من آلام الغربة ، ويجسد أشواقه وحنينه المتعدد بحسب الجو النفسي للقصيدة ، وأمثلة أسلوب الأمر كثيرة في شعره ؛ وذلك لما يتمتع به هذا الأسلوب من مرونة في وصف معاناة الشاعر والتعبير عما يحس به تجاه ذكرياته وأحبابه والأماكن المحببة إليه ، ومن تلك الأمثلة على هذا الأسلوب قوله في حنينه إلى مصر : (الخفيف)

اِخــتِلافُ النَهــارِ وَاللَيــلِ يُنــسي   أُذكُــرا لِــيَ الــصِبا وَأَيّــامَ أُنــسي

وَصِــفا لــي مُــلاوَةً مِــن شَــبابٍ   صُــوِّرَت مِــن تَــصَوُّراتٍ وَمَــسِّ (١)

يطلب شوقي من صاحبيه المتخيلين أن يذكراه بأيام شبابه وصباه ، ويعيدا عليه صدى السعادة الغامرة التي شملته بأكنافها عندما كان يتنعم بوطنه مصر ، ويطلب منهما وصف فترة الشباب الجميلة التي ما زالت صورها وخيالاتها ماثلة أمام ناظريه ، فشوقي في البيتين السابقين عمد إلى أسلوب الأمر التماساً لذاك الماضي الجميل وحنيناً لتلك الأيام ، حيث جاء الأمر بفعلين هما (اذكرا ، صفا) .

ومن أساليب الأمر الواردة في شعره المليء بالحنين إلى الوطن طلبه من فتية مصر أن يقدموا للوطن الغالي والنفيس ، ويواجهوا المحتل وأتباعه ، وأن يقفوا لمصر ذلك الموقف المحمود، حيث يقول :(الكامل)

يــا فِتيَــةَ النيــلِ الــسَعيدِ خُــذوا المَــدى   وَاِســتَأنِفوا نَفَــسَ الجِهــادِ مَديــدا

وَتَنَكَّبــوا العُــدوانَ وَاِجتَنِبــوا الأَذى   وَقِفــوا بِمِــصرَ المَوقِــفَ المَحمــودا(٢)

فشوقي في هذه الأبيات يحث أبناء مصر للتضحية من أجله ، فخرج أسلوب الأمر للحث والنصح والإرشاد .

لقد حمل أسلوب الأمر جزءاً من حنين شوقي ، مما أسهم في إبراز العاطفة ، ومن ذلك التماسه من الصديقين المتخيلين بأن يبلغا مصر بأنها موجودة في القلب ، فشوقي يتمنى الرجوع لها في أقرب وقت ، حيث يقول : (الخفيف)

وَسَــلا مِــصرَ هَــل سَــلا القَلــبُ عَنهــا   أَو أَســا جُرحَــهُ الزَمــانُ المُؤَسّــي(٣)

---

(١) الشوقيات : ص٣٨٤ .

(٢) السابق : ص ٢٢٨-٢٢٩ .

(٣) السابق : ص٣٨٤ .

ومن أمثلة أسلوب الأمر في حنينه إلى المحبوب طلبه منه الابتعاد عن الهجران ، فالشاعر لا يقوى على ذلك قائلاً : (الخفيف)

حمليني في الحب ما شئت إلا ... حادث الصد أو بلاء الفراق

واسمحي بالعناق إن رضي الدّلـ ... ـل وسامحت فانيا في العناق [١]

أما أسلوب الأمر الذي خرج إلى الدعاء فذلك موجود في شعر شوقي في شعوره بالاغتراب وضيق الحياة ، ومن ذلك قوله : (الرجز)

يا ربَّنا الخطبُ جليلْ ... فَكُنْ مُعيناً يا جليلْ

وأعطِنا الصبرَ الجميل ... يا خيرَ مَنْ يُولي الجَميل

فَسُقْ إلينا الفَرَجا ... فما عليك مُستحيل [٢]

فيتوجه شوقي إلى الله داعياً متضرعاً من ضيق الحياة ، فلقد جاء أسلوب الأمر مساعداً لشوقي في تفريغ انفعالاته تجاه غربته ، وتسلية له في حنينه إلى الوطن وإلى الأحبة والذكريات الجميلة ، فكان يخرج عن معناه دائماً إلى الالتماس والتمني والحث والنصح والإرشاد والدعاء .

٤ – أسلوب التمني :

تعريفه لغة : " التَّمَنِّي تَشَهِّي حُصُولِ الأَمر المَرْغوب فيه وحديثُ النَّفْس بما يكون وما لا يكون تقول تَمَنَّيْت الشيء ومَنَّيت غيري تَمْنِيةً وتَمَنَّى الشيءَ أَراده ومَنَّاه إِياه وبه وهي المِنْيةُ والمُنْيةُ والأُمْنِيَّةُ "[٣]

أما اصطلاحاً فهو " طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله: إما لكونه مستحيلا، والإنسان كثيرا ما يجب المستحيل ويطلبه، وإما لكونه ممكنا غير مطموع في نيله "[٤] .

جاء أسلوب الأمر في شعر شوقي الخاص بالغربة والحنين ليعبر بطريقة مباشرة عن أمانيه وتطلعاته وما يشتهي ، فكان استخدامه لهذا الأسلوب بمثابة التصريح المباشر لأشواقه وأحاسيسه

---

(١) الشوقيات ص٤٥٥ .

(٢) السابق : ص٥٤٠ .

(٣) ينظر لسان العرب : ابن منظور ، مادة (مني) ، ٢٩٤/١٥ .

(٤) علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، ص ١١٢ .

تجاه المواقف المختلفة التي مرت عليه في السراء والضراء ، ومن أمثلة ذلك في شعره حنينه للأيام الجميلة التي قضاها في الآستانة حيث يقول : (الوافر)

عَـــسى الأَيّـــامُ تَجمَعُنـــي فَـــإِنّي　　أَرى العَـــيشَ اِفتِراقـــاً وَاِجتِماعـــا
أَلا لَيـــتَ الـــبِلادَ لَهـــا قُلـــوبُ　　كَمـــا لِلنـــاسِ تَنفَطِـــرُ اِلتِياعـــا
وَلَيـــتَ لَـــدى فُـــروقٍ بَعـــضَ بَثّـــي　　وَمـــا فَعَـــلَ الفُـــراقُ غَـــداةَ راعـــا[1]

حيث استخدم ألفاظ التمني والرجاء معاً ، وكرر حرف التمني (ليت) مرتين ، وذلك دلالة على شدة حنينه لتلك الأيام ولهذه المدينة الجميلة .

ومن أمثلة التمني في شعوره بالاغتراب بعد موت والده قوله : (الرمل)

لَيـــتَ شِـــعري هَـــل لَنـــا أَن نَلتَقـــي　　مَـــرَّةً أَم ذا اِفتِـــراقُ المَلَـــوَين[2]

لقد عمد شوقي إلى التمني ليعبر عما آلت إليه أحوال المسلمين بعيد سقوط مدينة (أدرنة) (وهي مدينة استولى عليها البلغار عام ١٩١٢ م ثم أعيدت تحت الحكم التركي عام ١٩٢٣ م) وفي ذلك يقول : (الكامل)

يـــا أُخـــتَ أَنـــدَلُسٍ عَلَيـــكِ سَـــلامُ　　هَـــوَتِ الخِلافَـــةُ عَنـــكِ وَالإِســـلامُ
نَـــزَلَ الهِـــلالُ عَـــنِ الـــسَماءِ فَلَيتَهـــا　　طُوِيَـــت وَعَـــمَّ العـــالَمينَ ظَـــلامُ
جُرحـــانِ تَمـــضي الأُمَّتـــانِ عَلَيهِمـــا　　هَـــــذا يَـــــسيلُ وَذاكَ لا يَلتـــــامُ
بِكُمـــا أُصـــيبَ المُـــسلِمونَ وَفيكُمـــا　　دُفِـــنَ اليَـــراعُ وَغُيِّـــبَ الصَمـــصامُ[3]

ومثال التمني عنده في نكبة بيروت عندما ضربها الأسطول الإيطالي قوله في تلك المأساة : (الكامل)

يـــا لَيـــتَهُم قُتِلـــوا عَلـــى طَبَـــروكِ　　سَـــبعونَ لَيثـــاً أُحرِقـــوا أَو أُغرِقـــوا[4]

---

(١) الشوقيات : ص٤٠٩ .
(٢) السابق : ص٧٠٨ .
(٣) السابق : ص٥٩٣ .
(٤) السابق : ص٤٦٩ .

كان استخدام شوقي للأساليب الإنشائية الطلبية تعبيراً صادقاً لمشاعر الحزن الشديد نتيجة لمعاناته في الغربة وشعوره بالاغتراب ، وسهل ذلك له التعبير عن عواطفه الجياشة ونار الحنين الملتهبة بقلبه ، مما ساعد في إبراز تلك العواطف القوية .

المبحث الثاني : الصورة الشعرية :

تناول النقاد العرب القدامى اللبنات الأساسية للصور الشعرية ، فتناولها الجاحظ على أنها التصوير وذلك في معرض حديثه عن قضية اللفظ والمعنى حيث يقول : " فإنما الشعر صناعةٌ وضَرْب من النَّسج وجنسٌ من التَّصوير "(١) أما حازم القرطاجني فيتطرق لها من خلال المعاني فيقول : " إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان. فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم. فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ. فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخط تدل على الألفاظ من لم يتهيأ له سمعها من المتلفظ بها صارت رسوم الخط تقيم في الأفهام هيآت الألفاظ فتقوم بها في الأذهان صور المعاني فيكون لها أيضاً وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدالة عليها " (٢).

أما في العصر الحديث فتعددت التعريفات للصورة مع دخول النظرة الغربية للأدب العربي ، فيرى إحسان عباس أنَّ : " الشعر قائم على الصورة منذ أن وجد حتى اليوم ، ولكن استخدام الصورة يختلف بين شاعر وآخر ، كما أن الشعر الحديث يختلف عن الشعر القديم في طريقة استخدامه للصور " (٣) ، فالصورة هي الأساس في العمل الأدبي ، فهي الشعور والفكر المنطوي بين ثنايا النص ، والسبب الرئيس لوجود تلك العواطف والفكر يرجع لوجود الصورة ، والصورة تعمل على دمج العناصر الجزئية والكلية ؛ لتنتج بناءً موحداً قد ملأ الفجوات وسدها داخل العمل الأدبي من خلال مخاطبة الحواس ، والتمرد على الدلالة الحرفية ، وتحرك الخيال في أرجاء النص الأدبي (٤).

ويمكن تعريف الصورة الشعرية بأنها " تشكيل لغوي، يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها "(٥) وعرفت بأنها : " نسخة جمالية وإبداعية تستحضر

---

(١) الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق / عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل – بيروت، ١٩٩٦ ، ١٣٢/٣ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : حازم القرطاجني ، ص١٨–١٩ .

(٣) فن الشعر: إحسان عباس ، دار صادر– بيروت، دار الشروق– عمان، ط ١ ١٩٩٦ م ص١٩٣ .

(٤) بتصرف : الصورة والبناء الشعري : محمد حسن عبد الله دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨١ م ، ص٣٣–٣٨.

(٥) الصورة في الشعر العربي : على البطل ، دار الأندلس – بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١ م ، ص٣٠ .

الهيئة الحسية أو الذهنية للأجسام أو المعاني بصياغة جديدة تنهض لها قدرة الشاعر ومقدار تجربته وفق تعادلية بين طرفين هما المجاز والواقع دون أن يستبد طرف بآخر " (١) .

فالملاحظ من تلك التعريفات أن الصورة الشعرية قائمة على مجموعة من العناصر ومرتكزة عليها وهي : الواقع والشعور والخيال (٢).

أما الصورة عند شوقي فيتحدث عنها شوقي ضيف قائلاً : " وهذه الخصلة الموسيقية في شعره تسندها عنده خصلة التصوير البارع؛ إذ كان يعرف كيف يفيد من كنوز التشبيهات والاستعارات القديمة، ولم يكن يكتفي بذلك؛ بل كان يضيف إلى هذا الاستغلال للقديم كثيرًا من الأخيلة الحالمة. ويتضح ذلك في جوانب كثيرة من شعره "(٣) ، فالصورة الشعرية عنده اتخذت أشكالاً سيتناولها الباحث وفق مدخلين رئيسين هما : الصورة البيانية والصورة الحسية .

أولاً : الصورة البيانية :

هي " الشكل الذي يعبر به الشاعر عن تجربته ، مستخدماً طاقات اللغة ، ودلالتها البيانية التي تخاطب حس الإنسان ، وإحساسه ، ووجدانه ، وقلبه لنقل هذه التجربة في صورة موحية مؤثرة في النفوس ، ويكون ذلك بالمجاز ، والتشبيه ، والاستعارة، والكناية، والتعريض " (٤) .

فالصورة البيانية تشمل التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية ، وشعر الغربة والحنين عند شوقي يزخر بتلك الأمثلة .

١ – التشبيه :

هو " فن من فنون الكلام وعنصر من عناصر الأسلوب ، يرسم صورة للحس والشعور ، فينقل المعنى بصورة واضحة كأننا نراه بأبصارنا ، ونلمسه بأيدينا، والتشبيه من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم ، وهو بحر البلاغة وسرها " (٥)، فالتشبيه إذن : "بيان

---

(١) الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية : عبدالإله الصائغ ، الدار البيضاء–بيروت :المركز الثقافي العربي، ط١ ، ١٩٩٧ م ، ص١٥٩ .

(٢) تجربة الغربة والحنين عند ابن خفاجة : فتيحة دخموش ، ص١٥٦ .

(٣) الأدب العربي المعاصر في مصر : شوقي ضيف ، ص١١٥ .

(٤) الصورة البيانية في كتاب روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقي البروسوي : إلهام حرارة (رسالة ماجستير) الجامعة الإسلامية – غزة ، ٢٠١٣ م ، ص١٢ .

(٥) القرآن والصورة البيانية : د. عبدالقادر حسين ، عالم الكتب – بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٥ م ، ص٧ .

"بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة، تقرّب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه" [1].

ومن أمثلة التشبيه في شعر الغربة والحنين عند شوقي قوله : (الخفيف)

نَفــــسي مِرجَــــلٌ وَقَلبــــي شِــــراعٌ   بِهِمــا فــي الــدُموعِ ســيري وَأَرســـي[2]

ففي البيت السابق عمد شوقي إلى التشبيه البليغ في موضعين (نفسي مرجل) و (قلبي شراع) ، فقد شبه نفسه بالمرجل الذي يغلي ماداً السفينة بالطاقة البخارية ليساعدها على الإبحار تجاه مصر ، ومشبهاً قلبه بالشراع الذي تحركه الرياح ليساعد السفينة إلى الوصول لبلده مصر ، وذلك حتى لو تعطلت السفينة البخارية تستطيع السير بالشراع ، فاستعداد شوقي لمد السفينة بكل المقومات لكي توصله لمصر دليل على شدة شوقه وحنينه للوطن .

وفي موضع آخر يشبه مصر بالعين المتدفقة في جنان الرحمن تسقي أبناءها الماء السلسبيل حيث يقول : (البسيط)

لَكِــنَّ مِــصرَ وَإِن أَغــضَت عَلــى مِقَــةٍ   عَــينٌ مِــنَ الخُلــدِ بِالكــافورِ تَــسقينا[3]

فالذكريات الجميلة في مصر كالنهر الذي يمد الشاعر بأميال من الحنين والشوق للوطن ، ففي البيت السابق اشتركت مجموعة من التشبيهات رسمت المعنى الذي يريده شوقي من اشتياقه لمصر وحنينه اللامتناهي لها .

كانت المعاني والألفاظ عند شوقي مثل الألوان يمزج منها ما يريد وكيفما يشاء ، فالملاحظ أنه يستخدم التشبيه بمهارة عالية ، وذلك ليخدم هدفه في إيصال عواطفه للمتلقي ، فكان ينتقي ما يلائم المعنى المراد ، حيث يرسم وقت رجوعه من المنفى صورة اعتمدت أركانها على التشبيه : (الوافر)

وَيـــا وَطَنـــي لَقَيتُـــكَ بَعـــدَ يَـــأسٍ   كَـــأَنّي قَـــد لَقيـــتُ بِـــكَ الـــشَبابا[4]

---

(١) علم البيان : عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية – بيروت ، ١٩٨٢ م ، ص٦٢ .

(٢) الشوقيات : ص ٣٨٤ .

(٣) السابق: ص ٦٨١ .

(٤) السابق: ص ١٠٥ .

فقد شبه رجوعه للوطن بعد طول غياب بعودة الشباب له من جديد ، وذلك من المستحيلات فالشباب لا يمكن أن يعود ؛ لكن شوقي عبر عن شدة حنينه للوطن ومدى اشتياقه له بأمر تعشقه النفس وتطرب لسماع ذكرياته .

ومن التشبيهات المستخدمة في وصف حالات الحزن المخيمة على الشاعر ما يذكره في تشبيه قلبه بالناقوس في الهيكل ليدلل على اضطرابه واشتياقه للزمن الجميل والإلف الصادق ، حيث يقول في ذلك : (السريع)

وَالقَلْـــبُ قَـــوّامٌ عَلـــى أَضـــلُعي   كَأَنَّـــهُ النـــاقوسُ فـــي الهَيكَـــلِ [1]

٢ – الاستعارة :

وهي أن يكون للّفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدلّ الشواهد على أنه اختصّ به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية[2] .

والاستعارة تعطي الكلام رونقاً خاصاً تتجذب إليه الأسماع والأذهان ، فكانت موجودة وبكثرة في شعر الغربة والحنين عند شوقي ، والواضح أنها خدمت شوقي في بث أحزانه ولوعات حنينه للوطن ، فجاءت مترامية الأطراف بين ثنايا تلك الأشعار ، وأمثلتها كثيرة تعددت بذكر أنواع الاستعارة ، ومن تلك الأمثلة ما يذكره شوقي في سينيته التي مُلِئت شوقاً وحنيناً إلى مصر حيث يقول : (الخفيف)

وَصِـــفا لـــي مُـــلاوَةً مِـــن شَـــبابٍ   صُـــوِّرَت مِـــن تَـــصَوُّراتٍ وَمَـــسِّ

عَـــصَفَت كَالـــصِبا اللَعـــوبِ وَمَـــرَّت   سِـــنَةً حُلـــوَةً وَلَـــذَّةُ خَلـــسِ[3]

لقد ورد عدد من الاستعارات في البيت الثاني وهي : (عصفت) فقد شبه فترة الشباب بالريح وهي صورة توحي بسرعة انقضائها وجاءت على سبيل الاستعارة المكنية ، أما الاستعارة المكنية الثانية فجاءت في (كَالصِبا اللَعوبِ) فقد شبه الريح الرقيقة بفتاة ناعمة رشيقة فقد أتى بالمشبه وحذف المشبه به وأتى بصفة من صفاته وهي صورة جمالية سر جمالها التشخيص ، والملاحظ براعة الخيال المترابط والتركيبي ، فقد جاءت كلمة الصبا مشبه به في التشبيه الأول ،

---

(١) الشوقيات : ص٥٣٢ .

(٢) أسرار البلاغة فى علم البيان : عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق / عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١ ، ص٣١ .

(٣) الشوقيات : ص٣٨٤ .

وجاءت مشبه في الاستعارة ، وهنا يظهر براعة الأمير في تطويع المفردات والمعاني كيفما يريد ، أما في الشطر الثاني فجاءت صورتان فنيتان على سبيل الاستعارة المكنية ، فقد شبه سنة النوم بالشيء الجميل كالفاكهة والشراب الحلو ، وهي صورة جمالية سر جمالها التجسيم ، وشبه اللذة بشيء ثمين يختلس وسر جمالها التجسيم أيضاً .

أما في حنينه للرسول (صلى الله عليه وسلم) فقد جاءت مجموعة من التشبيهات على سبيل الاستعارة منها قوله : (الكامل)

وُلِـــدَ الهُـــدى فَالكائِنـــاتُ ضِـــياءُ   وَفَـــمُ الزَمـــانِ تَبَـــسُّمٌ وَثَنـــاءُ[1]

فقد شبه الزمان بإنسان مبتسم مادح للرسول (صلى الله عليه وسلم) لقدوم المصطفى ، فقد حذف المشبه به وأتى بصفة من صفاته على سبيل الاستعارة المكنية وهي صورة جمالية سر جمالها التشخيص .

ومن الاستعارات المتتالية في البيت الواحد قوله : (البسيط)

يـا سـارِيَ البَـرقِ يَرمـي عَـن جَوانِحِنـا   بَعـدَ الهُـدوءِ وَيَهمـي عَـن مَآقينـا

لَمّـا تَرَقـرَقَ فـي دَمـعِ الـسَماءِ دَمـاً   هـاجَ البُكـا فَخَـضَبنا الأَرضَ باكينـا

اللَيـلُ يَـشهَدُ لَـم نَهتِـك دَياجِيَـهُ   عَلـى نِيـامٍ وَلَـم نَهتِـف بِـسالينا[2]

فقد شبه شوقي دموعه بالأمطار الغزيرة وذلك دلالة على الحزن الشديد المخيم عليه ، وجاء الاستعارة في البيت الثاني عندما شبه البكاء بإنسان يهيج ويغضب ، ويكمل شوقي تصويره البياني الرائع عندما يشبه دموعه بالخضاب (اللون الأحمر) دلالة منه على البكاء دماً من شدة شوقه لوطنه ومآسي الغربة التي نالت منه ، ثم يشبه الليل بإنسان يشهد وهي صورة جمالية سر جمالها التشخيص .

ومن أمثلة الاستعارة التصريحية في شعر الغربة والحنين عند شوقي ما يعدده في بيت واحد، حيث يقول : (الخفيف)

أَحـــرامٌ عَلـــى بَلابِلِـــهِ الـــدَو   حُ حَـلالٌ لِلطَيـرِ مِـن كُـلِّ جِـنسِ[3]

---

(١) الشوقيات : ص٣٣ .

(٢) السابق : ص ٦٨١ .

(٣) السابق : ص٣٨٤ .

يصل شوقي في البيت السابق بالتصوير البياني إلى أعلى مراتبه عندما يجسد ثلاث استعارات تصريحية في بيت واحد ، ففي الأولى شبه أبناء مصر بالبلابل فحذف المشبه وصرح بالمشبه به ، وفي الثانية شبه الوطن مصر بالدوح ، وفي الثالثة شبه الأعداء المحتلين المعتدين بالطير وتلك الصورة توحي بالمرارة والحرقة للغريب المطرود عن وطنه والمستعمرون يتنعمون بذلك الوطن .

٣- الكناية :

الكناية في اصطلاح أهل البلاغة : لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى [١].

ومن أمثلة الكناية في شعر الغربة والحنين عند شوقي قوله : (البسيط)

يا نائِحَ الطَلحِ أَشباهٌ عَوادينا ... نَشجى لِواديكَ أَم نَأسى لِوادينا

رَمى بِنا البَينُ أَيكاً غَيرَ سامِرِنا ... أَخا الغَريبِ وَظِلّاً غَيرَ نادينا [٢]

جاءت (نائح الطلح) كناية عن موصوف وهو الحمام (المعتمد بن عباد) وهو شاعر أندلسي ، فقد أسند كلمة نائح إلى الطلح (الوادي) وسر جمال الكناية هو الإتيان بالمنعى مصحوباً بالدليل في إيجاز وتجسيم ، وفي البيت الثاني وردت الكناية في (أخا الغريب) وجاءت كناية عن موصوف وهو الشاعر نفسه ، فلم يصرح شوقي باسمه بل أسند لفظ (أخا) إلى (الغريب) ليدلل على آلام الغربة التي يقاسيها ، فالشاعر هنا يشابه ما لاقه الشاعر المعتمد بن عباد من نفي عن واديه إشبيلية بما لاقاه شوقي من نفي عن واديه (نهر النيل) .

ومن أمثلة الكناية كذلك قول شوقي : (الخفيف)

يا بنَةَ اليَمِّ ما أَبوكِ بَخيلٌ ... ما لَهُ مولَعاً بِمَنعٍ وَحَبسِ [٣]

حيث وردت الكناية في قوله (يا بنة اليم) وهي كناية عن موصوف والمقصود هنا السفينة، أما الكناية الثانية فجاءت في قوله (أبوك) كناية عن موصوف وهو البحر .

---

(١) علم البيان : عبد العزيز عتيق ، ص٢٠٣ .

(٢) الشوقيات : ص٦٨٠ .

(٣) السابق : ص ٢٠٣ .

ثانياً : الصورة الحسية :

وهي الصورة المرتبطة بإحدى حواس الإنسان ، وتأتي في السياق الشعري تاركة أثراً في المتلقي حاملة أحاسيس الشاعر بين ثناياها ، والصورة الحسية تعددت في شعر شوقي في غربته وحنينه ، ومنها :

١- الصورة البصرية :

وهي تلك الصورة المتعلقة بالبصر ، وتدل عليها الألفاظ المرتبطة بالرؤية ، ومن أمثلتها في شعر الغربة والحنين في شعر شوقي قوله : (الوافر)

هَـدانا ضَـوءُ ثَغـرِكَ مِـن ثَـلاثٍ كَمـا تَهـدي المُنَـوَّرَةُ الرِكابا

وَقَـد غَـشِي المَنـارُ البَحـرَ نـوراً كَنـارِ الطـورِ جَلَّلَـتِ الـشِعابا(١)

فقد جمع شوقي ألفاظاً دالة على البصر وهي (ضوء ، المنورة ، المنار ، نور ، نار) ، والملاحظ أن شوقي كثَّف تلك الألفاظ لتسهم في رسم الصورة المرادة ، فقد أعطت القارئ مشهداً حياً كأنه يشاهد منظراً أمامه .

ويذكر شوقي صورة بصرية في حنينه للوطن ، وعدم تخليه عن أي شبر منه ، فيميل إلى رسم تلك الصورة في قوله : (البسيط)

اللَيـلُ يَـشهَدُ لَـم نَهتِـك دَياجِيَـهُ عَلـى نِيـامٍ وَلَـم نَهتِـف بِـسالينا

وَالـنَجمُ لَـم يَرَنـا إِلّا عَلـى قَـدَمٍ قِيـامَ لَيـلِ الهَـوى لِلعَهـدِ راعينـا (٢)

حيث ذكر بعض الألفاظ التي تساعد في رسم صورته البصرية وهي : (الليل) (النجم) (يرنا) فالليل يوحي بالظلام ، والنجم يوحي بالنور ، و(يرنا) تدل على البصر .

ويصور شوقي غزو المشيب له بمشهد آخر يحمل دلالة شوقه وحنينه لأيام الشباب ، وخوفه من دنو الأجل ، راسماً بذلك حكمة تجري على مر الزمان ، حيث يقول : (المتقارب)

سَـرى الـشَيبُ مُتَّئِـداً فـي الـرُؤو سِ سُرى النـارِ فـي المَوضِـعِ المُعـشِبِ

حَريـقٌ أَحـاطَ بِخَـيطِ الحَيـا ةِ تَعَجَّبـتُ كَيـفَ عَلَـيهِم غَبـي

---

(١) الشوقيات : ص ١٠٦ .

(٢) السابق : ص ٦٨١ .

وَمَـــــن تُظهِـــــرِ النــــــارُ فــــــي دارِهِ وَفــــــي زَرعِـــــهِ مِـــــنهُم يَرعَـــــبِ[(١)]

فيصور اشتعال الرأس بالشيب بسريان النار في الأرض المليئة بالأعشاب ، واندلاع حريق ذي لهيب قوي يهدد الحياة ، فاستخدام شوقي لألفاظ ترسم صورة بصرية ساعده في إيصال تلك الصورة للمتلقي .

ومن جمال صوره البصرية عندما يجسد بذكرياته الجميلة منظراً تعود عليه الشاعر حيث يقول : (البسيط)

ذَكَـرتُ مِـصرَ وَمَـن أَهـوى وَمَجلِـسَنا عَلـى الجَزيـرَةِ بَـينَ الجِـسرِ وَالنَهَـرِ
وَاليَـــومُ أَشـــيَبُ وَالآفـــاقُ مُذهَبَـــةٌ وَالـشَمسُ مُـصفَرَّةٌ تَجـري لِمُنحَـدَرِ [(٢)]

فقد صور الشمس في وقت الغروب وهي تميل إلى الصفرة معلنة بقضاء ذاك اليوم من حياة الشاعر سامحة لليل بالدخول بسلاسة إلى عالم الشاعر .

أما في شعوره بالغربة فيرسم شوقي صورة متألفة من مجموعة عناصر اعتمدت على البصر وعلى دلالة الحزن ، وفيها يقول :(الكامل)

قَلـــبٌ يَـــذوبُ وَمَـــدمَعٌ يَجـــري يـا لَيـلُ هَـل خَبَـرٌ عَـنِ الفَجـرِ
حالَـــت نُجومُـــكَ دونَ مَطلَعِـــهِ لا تَبتَغـــي حِـــوَلاً وَلا يَـــسري
وَتَطاوَلَـــت جُنحـــاً فَخُيِّـــلَ لـــي أَنَّ الـــصَباحَ رَهينَـــةُ الحَـــشرِ [(٣)]

ففي الأبيات السابقة يشكو شوقي من ليله الطويل شديد الظلام والذي سمح للأحزان بغزو مخيلته وفكره ، فجاءت ألفاظه الدالة على البصر وهي : (ليل ، فجر ، نجوم ، الصباح) مما ساعد ذلك شوقي في توصيل فكرته على خير وجه .

(١) الشوقيات : ص١٥٢.
(٢) السابق : ص٣٤٤ .
(٣) السابق : ص٥٧٥ .

٢- الصورة السمعية :

وهي الصورة التي تتألف من مجموعة الألفاظ الدالة على الصوت ، والمرتبطة بحاسة السمع عند الإنسان ، والتي تثير في نفس المتلقي إحساس الشاعر ورسم الصورة التي يريدها ، وقد تشترك تلك الصورة مع عدد من الحواس الأخرى .

ومن أمثلة الصورة السمعية في شعر الغربة والحنين عند شوقي قوله : (الخفيف)

وَسَلا مِصرَ هَل سَلا القَلبُ عَنها ... أَو أَسا جُرحَهُ الزَمانَ المُؤَسّي

كُلَّما مَرَّتِ اللَيالي عَلَيهِ ... رَقَّ وَالعَهدُ في اللَيالي تُقَسّي

مُستَطارٌ إِذا البَواخِرُ رَنَّت ... أَوَّلَ اللَيلِ أَو عَوَت بَعدَ جَرسِ

راهِبٌ في الضُلوعِ لِلسُفنِ فَطنُ ... كُلَّما ثُرنَ شاعَهُنَّ بِنَقسِ(١)

استخدم شوقي الصورة السمعية بأبعادها كافة ، موظفاً الصوت في كل بيت من الأبيات السابقة ليعطي تبياناً لما يجول في صدره من حنين إلى مصر ، ويبث آلام حزنه بسبب غربته ، حيث جاءت الألفاظ الدالة على الصوت: (سلا ، مستطار ، البواخر ، رنت ، عوت ، جرس ، ثرن) ، فقد رسمت تلك الكلمات الصورة الحسية التي أرادها الشاعر عن طريق اعتماده على الصورة السمعية .

ومن الأمثلة كذلك على الصورة السمعية في شعر الغربة والحنين ما يذكره شوقي في سقوط الخلافة قائلاً : (الكامل)

عادَت أَغاني العُرسِ رَجعَ نُواحِ ... وَنُعيتِ بَينَ مَعالِمِ الأَفراحِ

كُفِّنتِ في لَيلِ الزَفافِ بِثَوبِهِ ... وَدُفِنتِ عِندَ تَبَلُّجِ الإِصباحِ

شُيِّعتِ مِن هَلَعٍ بِعَبرَةِ ضاحِكٍ ... في كُلِّ ناحِيَةٍ وَسَكرَةِ صاحِ

ضَجَّت عَلَيكِ مَآذِنٌ وَمَنابِرٌ ... وَبَكَت عَلَيكَ مَمالِكٌ وَنَواحِ (٢)

حيث استخدم شوقي الألفاظ الموحية بالحزن والغضب الشديد على ما آلت إليه أحوال المسلمين بعيد سقوط خيمة الخلافة ، فجاءت الألفاظ الموحية بالحزن عن طريق استخدام

---

(١) الشوقيات : ص ٢٠٣ .

(٢) السابق : ص٢٠٣-٢٠٤ .

الصوت الحزين والذي يترك في الأسماع أثراً حزيناً ، ومن تلك الألفاظ : (نواح ، نعيت ، شيعت، عبرة ، ضجت ، بكت) .

وقد تأتي الصورة السمعية متكاملة مع صور بصرية أو شمية كما في قصيدته التي يبث فيها شوقه لمصر وحنينه لها ، وحزنه الشديد لفراقها ، وذلك في قوله : (البسيط)

بِنّــا فَلَــم نَخــلُ مِــن رَوحٍ يُراوِحُنــا   مِــن بَــرِّ مِــصرَ وَرَيحــانٍ يُغادينــا
كَــأُمِّ موســى عَلــى اِســمِ اللَــهِ تَكفُلُنــا   وَبِاِســمِهِ ذَهَبَــت فــي الــيَمِّ تُلقينــا
وَمِــصرُ كَــالكَرمِ ذي الإِحــسانِ فاكِهَــةٌ   لِحاضِــرينَ وَأَكــوابٌ لِبادينــا
يــا ســارِيَ البَــرقِ يَرمــي عَــن جَوانِحِنــا   بَعــدَ الهُــدوءِ وَيَهمــي عَــن مَآقينــا
لَمّــا تَرَقــرَقَ فــي دَمــعِ الــسَماءِ دَمــاً   هــاجَ البُكــا فَخَــضَبنا الأَرضَ باكينــا(١)

والملاحظ في الأبيات السابقة اشتراك أكثر من صورة حسية في رسم المعنى الذي يريده الشاعر ، فمن الألفاظ الدالة على الصورة السمعية (هاج ، البكا ، باكينا ، ترقرق ، الهدوء) ومن الألفاظ الدالة على الصورة البصرية : (ساري البرق ، يهمي ، مآقينا ، دمع ، دم، فخضبنا) ومن الألفاظ الدالة على الصورة الشمية : (روح ، ريحان) فقد اشتركت تلك الصور في رسم الصورة الحسية المتمثلة في حنين الشاعر وشوقه لوطنه وآلام غربته في منفاه .

٣- الصورة الشمية :

وهي الصورة المرتبطة بحاسة الشم ، وألفاظها تأخذ المتلقي في الجو النفسي للشاعر ، فيعيش معه كأنه يشم تلك الروائح التي يشمها الشاعر .

ومن أمثلة ذلك في شعر الغربة والحنين عند شوقي قوله : (الطويل)

أَريــحُ أَريــجَ المِــسكِ فــي عَرَصــاتِها   وَإِن لَــم أُرِح مَــروانَ فيهــا وَلا لَخمــا(٢)

فقد وظف شوقي ألفاظاً دلت على حاسة الشم ، مثل : (أريح ، أريج ، المسك ، أرح) فقد ساعد ذلك الكم من الألفاظ الكثيرة في بيت واحد على رسم الصورة الشمية ، وإيصال المعنى المراد من قبل الشاعر في صورة حسية تجذب القارئ وتجعله يعيش جو القصيدة .

---

(١) الشوقيات : ص ٦٨١ .

(٢) السابق : ص٥٥٠ .

ومن الأمثلة كذلك على تلك الصورة قوله : (الطويل)

وَأَشْــرَقَ نُــورٌ تَحــتَ كُــلِّ ثَنِيَّــةٍ　　　وَضــاعَ أَريــجٌ تَحــتَ كُــلِّ حَــصاةِ[١]

وجاء ذلك في مدحه للرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث وردت كلمة (أريج) والتي توحي بقوة الرائحة ، مما ساهم في إبراز فكرة الشاعر .

ومن ذلك أيضاً استعداده لجعل نفسه وقوداً للسفينة البخارية لتسير وترجعه إلى مصر ، فساعدته الصورة الشمية في إيصال معناه حيث يقول : (الخفيف)

نَفــسي مِرجَــلٌ وَقَلبــي شِــراعٌ　　　بِهِمــا فــي الــدُموعِ ســيري وَأَرســي[٢]

٤- الصورة الذوقية :

وهي الصورة التي تعتمد على حاسة التذوق ، وألفاظها تدل على الطعام والشراب فترسم صورة مناسبة لما يريده الشاعر من معانٍ .

ومن أمثلة ذلك قوله : (الطويل)

نَزَلــتُ رُبــى الــدُنيا وَجَنّــاتِ عَــدنِها　　　فَمــا وَجَــدَت نَفــسي لِأَنهارِهــا طَعمــا[٣]

فقد استخدم شوقي لفظ (طعماً) ليبين أنَّه لا يستسيغ وطناً غير وطنه ، ولا نهراً غير نهر النيل الذي ترعرع شوقي على ضفافه .

ومن الألفاظ الدالة على الصورة الذوقية قوله في اشتياقه لوطنه ، فالظمأ أخذ منه كل مأخذ، حيث وظف لفظتي (السلسبيل ، ظمأ) للدلالة على مدى حنينه لمصر ، فالسلسبيل مرتبط بالماء العذب الذي تطلبه كل الأنفس ، وذلك في قوله : (الخفيف)

وَهَفــا بِــالفُؤادِ فــي سَلــسَبيلٍ　　　ظَمَــأٌ لِلــسَوادِ مِــن عَــينِ شَــمسِ[٤]

لقد ساعدت الصورة الحسية بمكوناتها كافة في توضيح مراد شوقي ، وإبراز الفكرة التي سيطرت على شعره في غربته وحنينه ، فجاءت الصور تجسيداً لمعاني الغربة والحنين من خلال توظيفه الصور البصرية والسمعية والشمية والذوقية وصوراً أخرى ، حيث جعلت المتلقي يتفاعل مع القصائد ويعيش في ظلالها .

---

(١) الشوقيات : ص١٨٦ .

(٢) السابق : ص ٢٠٣ .

(٣) السابق : ص٥٥٠ .

(٤) السابق : ص٣٨٤ .

المبحث الثالث : الموسيقا :

يتميز الشعر العربي بأنه شعر غنائي ، وذلك لأنه يعتمد على الموسيقا سواء أكانت خارجية أو داخلية ، فكان الشاعر القديم يغني الشعر غناءً ، فهم قد عرفوا الشعر بموسيقا خاصة تميزه عن غيره ، فالموسيقا " تزيد من انتباهنا وتضفي على الكلمات حياة فوق حياتها ، وتجعلنا نحس بمعانيها كأنما تمثل أمام أعيننا تمثيلاً عملياً واقعياً . هذا إلى أنها تهب الكلام مظهراً من مظاهر العظمة والجلال ، تجعله مصقولاً مهذباً تصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه ، وكل هذا مما يثير فينا الرغبة في قراءته وإنشاده وترديد هذا الإنشاد مراراً وتكراراً " (١) .

إنَّ الموسيقا تنقسم إلى قسمين : قسم يختص بالوزن والقافية ، والآخر " قسم داخلي يتأسس على قيم صوتية أرحب من الوزن والقافية ، تتآلف صوتياً داخل النسيج الشعري سواء أكان ذلك بتكرار الحروف أو الكلمات أو باستغلال إمكانات أخرى : كالتلوين الإيقاعي والبديع اللفظي والمعنوي وكل ما يوفر جرسا موسيقيا جميلا ويصنع النغمية للقصائد، وهذان القسمان يتداخلان ويتحدان معا في البناء الإيقاعي للشعر" (٢).

أما عند الحديث عن موسيقا شوقي فخير من تحدث عن ذلك شوقي ضيف قائلاً : "ولا أبالغ إذا قلت إنني لا أستمع إلى قصيدة طويلة لشوقي حتى إخال كأنني أستمع حقاً إلى سمفونية ، فموسيقاه تتضخم في أذني وأشعر كأنها تتضاعف ، وكأنَّ مَجاميع من مهرة العازفين يشتركون في إخراجها ، وفي إيقاع نغماتها ، ولا أرتاب في أنَّ ذلك يرجع إلى ضبطه البارع لآلات ألفاظه، وذبذبتها الصوتية ، وليست المسألة مسألة حذق أو مهارة فحسب ، بل هي أبعد من ذلك غوراً ، هي نبوغ وإلهام ، وإحساس عبقري بالبناء الصوتي للشعر ، وهذه الروعة في الموسيقا تقترن بحلاوة وعذوبة لا تعرف في عصرنا لغير شوقي ، وربما كانت آيته الكبرى في صناعته ، فأنت مهما اختلفت معه في تقدير شعره ، لا تسمعه حتى ترهف له أذنك ، وحتى تشعر كأنما يحدث ثقوباً ، هي ثقوب الصوت الصافي الذي تهدر به المياه بين الصخور ، والصوت يعلو تارة فيشبه زئير البحار حين يهيج ، وينخفض تارة فيشبه قطرات الفضة التي تسقط من مجاديف الزوارق ، وهي تجري سابحة على صفحة النيل "(٣)

ويصف موسيقاه في موضع آخر فيقول : " وربما كانت موسيقاه أروع خصاله الفنية، فلا تستمع إلى شيء من شعره حتى تعرفه، وإن لم يذكر لك اسمه ما دامت أذنك قد تعودت سماع شعره، وثبتت في نفسك نغماته التي تتوالى نغمة حلوة بجانب نغمة حلوة. ولا نغلو إذا قلنا: إن

---

(١) موسيقى الشعر : إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٢ م ، ص١٤ .

(٢) تجربة الغربة والحنين عند ابن خفاجة : فتيحة دخموش ، ص١٨٨ .

(٣) شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف ، ص٤٤ .

شعره يؤلف أروع ألحان عرفت في عصرنا الحديث؛ إذ نراه يعتصر من الألفاظ والأساليب خير ما فيها من ألحان، تسعفه في ذلك فطرة موسيقية رائعة، تقيس قياسًا دقيقًا ذبذبات الحروف والحركات وتآلف النغم في الألفاظ والكلمات" [١].

المطلب الأول : الموسيقا الخارجية :

وهي التي تتمثل في الوزن والقافية وما يشكلانه من إيقاع خارجي عام للقصيدة ، وعند الحديث عن الموسيقا الخارجية فيجب تناول الوزن والقافية .

١- الوزن :

أما الوزن فهو خاص بالبحور الشعرية متضمناً القافية وفي ذلك يقول ابن رشيق القيرواني : " الوزن أعظم أركان حد الشعر، وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة "[٢] . فالوزن هو أساس الشعر ، فلا شعر بغير وزن ، ومن مميزات الوزن أنك تحفظ أبياتاً من الشعر ولا يمكنك حفظ النثر إلا قليلاً ، وذلك يرجع للموسيقا التي يكونها وزن البيت الشعري ، وهذا ابن سنان الخفاجي يذكر المفاضلة بين النثر والشعر فيقول : " أما التفضيل بين النظم والنثر فالذي يصلح أن يقوله من يفضل النظم أن الوزن يحسن الشعر ويحصل للكلام به من الرونق ما لا يكون للكلام المنثور ، ويحدث عليه من الطرب في إمكان التلحين والغناء به ما لا يكون للكلام المنثور ولهذه العلة ساغ حفظه أكثر من حفظ المنثور" [٣].

جاءت أوزان شوقي في شعر الغربة والحنين على أوزان الخليل ، فقد نظم شوقي في شعر الغربة والحنين على البحور الآتية : (الطويل ، البسيط ، الوافر ، الكامل ، الهزج ، الرجز ، الرمل ، السريع ، الخفيف ، المتدارك) حيث كان نظمه على تلك البحور بصورة متفاوتة ، ويمكن تبيان ذلك وفق جدول إحصائي يبين أوفر البحور حظاً في غرض الغربة والحنين عند شوقي ، وذلك وفق الجدول الآتي مع النسب المئوية على كل بحر :

---

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر : شوقي ضيف ، ص١١٥ .

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل – بيروت ، ط٥ ، ١٩٨١م ، ١/١٣٤ .

(٣) سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٨٧ .

نسبته المئوية	عدد وروده	البحر
٢٧.٢%	٢١	الكامل
١٩.٤%	١٥	الطويل
١٩.٤%	١٥	الوافر
١٦.٨%	١٣	البسيط
٣.٨%	٣	الخفيف
٣.٨%	٣	الرجز
٣.٨%	٣	الرمل
٢.٥%	٢	المتدارك
١.٢%	١	السريع
١.٢%	١	الهزج

فالملاحظ من الجدول السابق أن بحر الكامل حظي باهتمام كبير من قبل شوقي في نظمه لغرض الغربة والحنين ، وهذا يتماشى مع منهج شوقي في التعامل مع البحور ، " فأول البحور التي نظم عليها شوقي أكثر شعره البحر الكامل وقد ورد عليه ما يقرب ثلث شعره ، فقد نظم عليه شوقي في كل الأغراض ، فبحر الكامل التام ثلاثون مقطعاً ، وهو أكبر بحور الشعر جلجلة وحركات وفيه لون خاص من الموسيقا يجعله إن أريد به الجد ، فخماً جليلاً ، مع عنصر ترنمي ظاهر ، ويجعله إن أريد به الغزل ، وما بمجراه من أبواب اللين والرقة حلواً مع صلصلة كصلصة الجرس .. وهو بحر كأنما خلق للتغني المحض سواء به جد أم هزل ودندنة تفعيلاته من النوع الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعنى والعواطف والصور حتى لا يمكن فصله عنها بحال "(١) .

ثم يأتي في المرتبة الثانية بحر الطويل وبحر الوافر وهذان البحران يتميزان باستخدامهما الأوفر حظاً عند الشعراء ، فبحر الطويل يتميز بطول تفعيلاته التي تسمح للشاعر من بث أحزانه في غربته واغترابه ، والتعبير بحرية مطلقة عن حنينه وقد جاء ثلث الشعر العربي عليه ، وبحر الوافر بتفعيلاته ساعدت شوقي في إظهار ما يعانيه من غربة وحنين ، ولعل إبراهيم أنيس ربط بين المعاني المرادة وكيفية نظمها على البحور المختلفة ، فيقول : " على أننا نستطيع ونحن

(١) ينظر : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، الكويت ، ١٩٨٩ م – ١٤٠٩ هـ ، ط٣ ، ٣٠٢/١-٣٠٣ . ظواهر عروضية من الشوقيات ، محمد عبد المجيد الطويل ، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤ م ، ص١٠٢-١٠٤ .

مطمئنون أن نقرر أن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزناً طويلاً كثير المقاطع صب فيه من أشجانه ما ينفس عنه حزنه وجزعه فإذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي وتطلب بحراً قصيراً يتلاءم وسرعة التنفس وازدياد النبضات القلبية " (١) . وقد أشار حازم القرطاجني إلى ذلك في معرض حديثه عن المعاني المرتبطة بالأوزان والبحور الشعرية ، فيقول : " ولما كانت أغراض الشعر شتى وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة وما يقصد به الهزل والرشاقة، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم وما يقصد به الصغار والتحقير، وجب أن تحاكى تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيلها للنفوس. فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، وإذا قصد في موضع قصدا هزليا أو استخفافيا وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء، وكذلك في كل مقصد " (٢).

٢- القافية :

القافية هى المقطع الصوتى الذى ينتهى به البيت الأول من القصيدة ، والذى سوف يتكرر فى نهاية كل بيت منها ، مادامت القصيدة فى هذا الطراز الملتزم بوحدة الوزن والقافية ، وهذا المقطع الصوتى قد حدده الأخفش بالكلمة الأخيرة من البيت، وحدده الخليل من آخر ساكن فى البيت إلى أقرب ساكن يليه مع المتحرك الذى قبله(٣) .

ويعرفها إبراهيم أنيس فيقول : " ليست القافية إلا عدة أصوات تتكون في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكررها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى الوزن "(٤)

وقد اختلف منذ القدم على تحديد القافية في البيت ، ولكن الأنسب أن يُأخذ بأصغر صورة للقافية والمتواترة في القصيدة كلها ، والركيزة الأساسية للقافية هي حرف الروي ، فالقصيدة تنسب إليه ، فيقال سينية ، لامية ، وهكذا .

---

(١) موسيقى الشعر : إبراهيم أنيس ، ص ١٧٥- ١٧٦ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : حازم القرطاجني ، ص٢٦٦ .

(٣) محاضرات في العروض والقافية : د. علاء إسماعيل الحمزاوي ، دار التيسير للطباعة والنشر بالمنيا ٢٠٠٢ ، ص١١٥ .

(٤) موسيقى الشعر : إبراهيم أنيس ، ص ٢٤٤ .

أما القافية عند شوقي فقد تنوعت حروف الروي عنده ، وجاءت حروف الروي متمثلة في أربعة عشر حرفاً هي : (الميم ، النون ، اللام ، الباء ، القاف ، الراء ، الدال ، التاء ، الحاء ، العين ، الكاف ، الهمزة ، الياء ، السين) وجاء نسبة ورودها وفق الجدول الإحصائي الآتي والنسب المئوية لكل حرف :

حروف القوافي أو حروف الروي	عدد وروده	نسبته المئوية
الميم	١٢	%١٥.٥
النون	١٠	%١٢.٩٨
اللام	٩	%١١.٦
الباء	٧	%٩
القاف	٧	%٩
الراء	٦	%٧.٧٩
الدال	٥	%٦.٤
التاء	٤	%٥.١
الحاء	٤	%٥.١
العين	٤	%٥.١
الكاف	٣	%٣.٨
الهمزة	٣	%٣.٨
الياء	٢	%٢.٥
السين	١	%١.٢٩

إنَّ الملاحظ من الجدول السابق أن حرفي الميم والنون قد حازا على نسبة (٢٨%) وهذه نسبة عالية إذا ما قورنت بالحروف الأخرى ، ومن المعلوم أنهما حرفان مخرجهما من الخيشوم وتصاحبهما غنة ويدلان على كثرة الآلام عند الشاعر ، ويرجع ذلك إلى آهات الغربة التي عايشها شوقي ، ولهفة الحنين المسيطرة عليه . فالناظر إلى ديوان الشوقيات يجد " أنَّ شوقي نظم قوافيه على جميع الحروف ما عدا ثمانية أحرف وهي[١] : الثاء ، الجيم ، الخاء ، الذال ، الصاد ، الطاء ، الظاء ، الغين . وهذه الحروف من الحروف النافرة والحوشية المهجورة التي قل أن نجد عليها شعراً " [٢].

(١) نظم على حرف الزاي مقطوعة من ثلاثة أبيات ، أما حرف الشين فنظم عليه قصيدة واحدة فقط .

(٢) ينظر : ظواهر عروضية من الشوقيات ، محمد عبد المجيد الطويل ، ص١٠٨-١٠٩ .

أما في شعر الغربة والحنين فقد أضاف شوقي لتلك الأحرف ستة هي : الزاي ، والشين ، الهاء ، الألف ، الضاد ، الفاء .

والملاحظ من خلال دراسة القافية عند شوقي أنه عمد إلى اختيار القافية التي تتلاءم والجو النفسي الذي يعيشه ، فابتعد كل البعد عن القوافي التي تؤثر سلباً على موسيقا القصيدة وتنفر المتلقي منها .

المطلب الثاني : الموسيقا الداخلية :

تتكون الموسيقا الداخلية بين ثنايا النص الشعري ، وتأتي من لغة الشاعر والعلاقة بين الكلمات من جهة والألفاظ من جهة أخرى ، ومهارة الشاعر تكمن في إضفائه موسيقا داخلية على شعره ، فالموسيقا الداخلية مرتبطة بأسلوب الشاعر ووفرة ألفاظه وقوتها والجو النفسي الذي يعيشه ، والمعاني التي يبثها داخل قصيدته ، حيث تتكون الموسيقا الداخلية من التصريع والطباق والمقابلة والتكرار والجناس .

أما شوقي فقد ملك مقاليد اللغة ومفاتيحها ، وأضفى على شعره لوناً خاصاً تميز عن غيره من شعراء عصره والأقدمين ، لما يحتويه من سلاسة في الألفاظ تجعل المتلقي يبحر في أشعاره ولا يملَّها ، ومن أمثلة الموسيقا الداخلية في شعر الغربة والحنين عند أحمد شوقي ما يأتي:

١- التصريع :

عرفه ابن رشيق القيرواني قائلاً : " هو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه: تنقص بنقصه، وتزيد بزيادته " [(١)] ، وقد اهتم شوقي بهذه الظاهرة في شعره ، وكانت أشد ظهوراً في القصائد المتكاملة التي نظمت في الغربة والحنين ، ومن أمثلة ذلك قوله في مطلع سينيته في بلاد الأندلس : (الخفيف)

اِختِلافُ النَهارِ وَاللَيلِ يُنسي		اُذكُرا لِيَ الصِبا وَأَيّامَ أُنسي [(٢)]

فقد جاءت كلمة (ينسي) في نهاية صدر البيت متناغمة مع كلمة (أنسي) في عجز البيت ، مما زاد من الموسيقا الداخلية للبيت ، وأعطى عاملاً مهماً لجذب انتباه المتلقي .

ومن ذلك قوله : (الكامل)

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني ، ١٧٣/١ .

(٢) الشوقيات : ص٣٨٤ .

شَــــيَّعتُ أَحلامـــــي بِقَلـــــبٍ بــــاكِ وَلَمَحــتُ مِــن طُــرُقِ المِــلاحِ شِــباكي[(١)]

ويقول أيضاً : (البسيط)

يـــا نـــائِحَ الطَلَـــحِ أَشــــباهٌ عَوادينـــا نَـــشجى لِواديـــكَ أَم نَأســـى لِوادينـــا[(٢)]

٢ – التكرار :

التكرار لغة : " كَرَّ عليه يَكُرُّ كرًّا وكُروراً وتَكْراراً عطف وكَرَّ عنه رجع وكَرّ على العدوّ يَكُرُّ ورجل كَرَّار ومِكَرّ وكذلك الفرس وكَرَّرَ الشيء أَعاده مرة بعد أُخرى والكَرّةُ المَرَّةُ والجمع الكَرَّات ويقال كَرَّرْتُ عليه الحديث وكَرْكَرْتُه إِذا ردّدته عليه "[(٣)]

والمعنى الاصطلاحي لايختلف كثيراً عن المعنى اللغوي ، فالتكرار إعادة الشيء مرة تلو الأخرى ، وقد يكون في الحرف أو الكلمة او الجملة أو الصيغة .

ومن النقاد القدامى الذين تعرضوا للتكرار ابن سنان الخفاجي حيث يقول : " وما أعرف شيئاً يقدح في الفصاحة، ويغض من طلاوتها أظهر من التكرار لمن يؤثر تجنبه، وصيانة نسجه عنه. إذ كان لا يحتاج إلى كبير تأمل، لا دقيق نظر. وقلما يخلو واحد من الشعراء المجيدين أو الكتاب، من استعمال ألفاظ يديرها في شعره، حتى لا يخل في بعض قصائده بها. فربما كانت تلك الألفاظ مختارة، يسهل الأمر في إعادتها وتكريرها، إذا لم تقع إلا موقعها. وربما كانت على خلاف ذلك " [(٤)]. فابن سنان يرى أن التكرار لا يوظفه إلا من كان ماهراً به ، ويجب ألا يطغى على المعنى العام فيفسد جمال النسيج الشعري .

ويرى إبراهيم أنيس أنَّ : " تكرار الحروف ليس بالقبيح إلا حين يبالغ فيه ، وحين يقع في مواضع من الكلمات يجعل النطق بها عسيراً . فالمهارة هنا تكون في حسن توزيع الحرف حين يتكرر كما يوزع الموسيقي الماهر النغمات في نوتته . وليس يتأتى هذا لكل شاعر كما لا يكون مع كل الحروف " [(٥)].

ورد التكرار في شعر الغربة والحنين عند شوقي على عدة حالات ، فكان تكرار الحرف ، وتكرار الكلمة ، وتكرار الجملة ، وتكرار الصيغة .

---

(١) الشوقيات : ص٤٦٦ .

(٢) السابق : ص٦٨٠ .

(٣) لسان العرب : ابن منظور ، مادة (كرر) ، ١٣٥/٥ .

(٤) سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢ ، ص ١٠٦ .

(٥) موسيقى الشعر : إبراهيم أنيس ، ص ٣٩ .

أما تكرار الحرف فكان مصاحباً لدلالة أرادها الشاعر ، ومن أمثلة ذلك قوله : (البسيط)

يــا نــائِحَ الطَلــحِ أَشــباهٌ عَوادينــا ... نَــشجى لِواديــكَ أَم نَأسـى لِوادينــا
مــاذا تَقُــصُّ عَلَينــا غَيــرَ أَنَّ يَــداً ... قَـصَّت جَناحَـكَ جالَـت فـي حَواشـينا
رَمـى بِنـا البَـينُ أَيكـاً غَيـرَ سـامِرِنا ... أَخـا الغَريـبِ وَظِـلّاً غَيـرَ نادينـا
كُـلٌّ رَمَتـهُ النَـوى ريـشَ الفِـراقُ لَنـا ... سَـهماً وَسُـلَّ عَلَيـكَ البَـينُ سِـكّينا
إِذا دَعـا الـشَوقُ لَـم نَبـرَح بِمُنـصَدِعٍ ... مِـنَ الجَنـاحَينِ عَـيٍّ لا يُلَبّينـا
فَـإِن يَـكُ الجِـنسُ يـا اِبـنَ الطَلـحِ فَرَّقَنـا ... إِنَّ المَـصائِبَ يَجمَعـنَ المُـصابينا(١)

فالملاحظ في الأبيات السابقة تكرار الشاعر لحرف النون الذي تكرر ما يقارب ثلاثين مرة؛ ليعطي إيقاعاً موسيقياً مميزاً ، فحرف النون مخرجه من الخيشوم مما يعطي دلالة على الحزن الشديد الملقى على روح الشاعر وخياله ، وتكرر حرف الحاء كذلك سبع مرات ليدلل على مدى الحرقة والألم الذي يعانيه الشاعر .

ومن أمثلة تكرار الحرف قوله : (الخفيف)

اِخـتِلافُ النَهـارِ وَاللَيـلِ يُنـسي ... اُذكُـرا لِـيَ الـصِبا وَأَيّـامَ أُنـسي
وَصِـفا لـي مُـلاوَةً مِـن شَـبابٍ ... صُـوِّرَت مِـن تَـصَوُّراتٍ وَمَـسِّ
عَـصَفَت كَالـصِبا اللَعـوبِ وَمَـرَّت ... سِـنَةً حُلـوَةً وَلَـذَّةُ خَلـسِ
وَسَـلا مِـصرَ هَـل سَـلا القَلـبُ عَنهـا ... أَو أَسـا جُرحَـهُ الزَمـانَ المُؤَسّـي(٢)

لقد أكثر شوقي في الأبيات السابقة من تكرار حرف السين وساعده في ذلك وجود القافية ، مما أنتج موسيقا خاصة أثرت بالإيجاب على النص ، ومما زاد من الإيقاع للنص وجود عدد من الحروف المشتركة في صفة الصفير وهي : حرف السين تكرر تسع مرات ، وحرف الصاد تكرر سبع مرات ، والأصوات الصفيرية تنتج موسيقا حزينة تتلاءم والجو النفسي للشاعر .

---

(١) الشوقيات : ص٦٨٠ .
(٢) السابق : ص٣٨٤ .

ففي الأبيات السابقة ترى انسياباً موسيقياً كما ينساب الجدول الهادئ ، فالموسيقا فيها خفيفة محبوبة لا تكاد تسمعها الآذان حتى تتلقفها القلوب ، والتي يعجب بها الخاصة والعامة ويطربون لها مثل (ڤلس) للمؤلف الموسيقي (اشتراوس) (١).

أما تكرار الكلمة فالأمثلة عليه كثيرة في شعر الغربة والحنين ، ومن ذلك قوله : (الوافر)

فَـــصَفحاً لِلزَمـــانِ لِـــصُبحِ يَـــومٍ　　　بِـــهِ أَضـــحى الزَمـــانُ إِلَـــيَّ ثابـــا (٢)

فقد وظف الشاعر كلمة الزمان في موضعين ، وذلك ليؤكد على أنَّ الزمان ظلمه فترة من العمر عندما قضى خمس سنوات من عمره في المنفى ، وها هو اليوم يصفح عن الزمان بعدما سمح له بالعودة إلى وطنه .

ومن تكرار الكلمة ما يجمع بين كلمتين مكررتين في بيت واحد ومن ذلك قول الأمير : (الوافر)

أُحِبُّـــكِ مِـــصرُ مِـــن أَعمـــاقِ قَلبـــي　　　وَحُبُّـــكِ فـــي صَـــميمِ القَلـــبِ نـــامي

سَـــيَجمَعُني بِـــكِ التـــاريخُ يَومـــاً　　　إِذا ظَهَـــرَ الكِـــرامُ عَلـــى اللِئـــامِ

لِأَجلِـــكِ رُحـــتُ بِالـــدُنيا شَـــقِيّاً　　　أَصُـــدُّ الوَجـــهَ وَالـــدُنيا أَمـــامي

والملاحظ تكرار كلمة (قلب) مرتين في البيت الأول ، وتكرار كلمة (حبك) وذلك على سبيل التوكيد على أن مصر حبها ساكن في القلب ، لا يمكن لأحد أن ينهي تلك العلاقة ، وذلك يؤكد على ارتباط الشاعر بوطنه وتعلقه به .

ومن ذلك قوله : (البسيط)

فَـــلا الأَذانُ أَذانٌ فـــي مَنارَتِـــهِ　　　إِذا تَعـــالى وَلا الآذانُ آذانُ(٣)

ورد عند شوقي التكرار المزدوج للكلمات في البيت الواحد ومثال ذلك قوله : (الوافر)

حَنَنـــتِ إِلـــى الطَبيعَـــةِ دونَ مِـــصرِ　　　وَقُلـــتِ لَـــدى الطَبيعَـــةِ أَيـــنَ مِـــصرُ (٤)

حيث جاءت كلمة الطبيعة مكررة مرتين ، وكلمة مصر مكررة مرتين كذلك ، وكما ذكر آنفاً هو دليل على تعلق الشاعر بوطنه مصر .

---

(١) بتصرف : موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ص ٤٠ .
(٢) الشوقيات : ص ١٠٥-١٠٦ .
(٣) السابق : ص٧٠١ .
(٤) السابق: ص ٣١٣ .

أما تكرار الجملة في البيت الواحد من النص قول شوقي في نشيده لمصر وإصراره على جعل مصر منارة عالمية لا تقبل الضيم والقهر :(المتدارك)

سَـــعياً أَبَـــداً سَـــعياً سَـــعياً   لِأَثيـــــلِ المَجـــــدِ وَلِلعَليـــــا

وَلنَجعَـــل مِـــصرَ هِـــيَ الـــدُنيا   وَلنَجعَـــل مِـــصرَ هِـــيَ الـــدُنيا [1]

فقد كرر شوقي جملة (وَلنَجعَل مِصرَ هِيَ الدُنيا) مما أضاف موسيقا سلسة تقبلها النفس والأذن ، وجاء كذلك تكرار للكلمة (سعياً) في الشطر الأول من البيت الأول ثلاث مرات؛ للتأكيد على العزم والهمة العالية .

أما عن تكرار الصيغة وهو تكرار لأسلوب ما، مثل : استخدامه لأسلوب الشرط أكثر من مرة فنراه في قوله : (الكامل)

فَـإِذا سَـخَوتَ بَلَغـتَ بِـالجودِ المَـدى   وَفَعَلـــتَ مـــا لا تَفعَـــلُ الأَنـــواءُ

وَإِذا عَفَـــوتَ فَقَـــادِراً وَمُقَـــدَّراً   لا يَـــستَهينُ بِعَفـــوِكَ الجُهَـــلاءُ

وَإِذا رَحِمـــــتَ فَأَنـــــتَ أُمٌّ أَو أَبٌ   هَـــذانِ فـــي الـــدُنيا هُمـــا الرُحَمـــاءُ

وَإِذا غَـــضِبتَ فَإِنَّمـــا هِـــيَ غَـــضبَةٌ   فـــي الحَـــقِّ لا ضِـــغنٌ وَلا بَغـــضاءُ

وَإِذا رَضـــيتَ فَـــذاكَ فـــي مَرضـــاتِهِ   وَرِضـــى الكَثيـــرِ تَحَلُّـــمٌ وَرِيـــاءُ

وَإِذا خَطَبـــتَ فَلِلمَنـــابِرِ هِـــزَّةٌ   تَعـــرو النَـــدِيَّ وَلِلقُلـــوبِ بُكـــاءُ [2]

حيث كرر شوقي أسلوب الشرط ست مرات باستخدام الحرف (إذا) مما عمل على إنتاج موسيقا ظاهرة بغير تكلف ولا اصطناع ، وأفاد في توضيح الدلالة والتأكيد على صفات سيد الخلق محمد (صلى الله عليه وسلم) .

ومثال آخر على تكرار الصيغة في قوله : (الطويل)

صَـحا القَلـبُ إِلّا مِـن خُمـارِ أَمـاني   يُجـــاذِبُني فـــي الغيـــدِ رَثَّ عِنـــاني

حَنانَيـكَ قَلبـي هَـل أُعيـدُ لَـكَ الـصِبا   وَهَـــل لِلفَتـــى بِالمُـــستَحيلِ يَـــدانِ

---

(١) الشوقيات : ص ٦٨٧ .

(٢) السابق : ص٣٤ .

تَحُـــنُّ إِلــــى ذاكَ الزَمـــانِ وَطيبِـــهِ   وَهَـــل أَنـــتَ إِلّا مِـــن دَمٍ وَحَنـــانِ[١]

حيث كرر الشاعر أسلوب الاستفهام باستخدامه للحرف (هل) ؛ ليدلل على شده حنينه من خلال موسيقا تطرب المتلقي وتجذبه للنص الشعري .

٣- الطباق :

يعرف الطباق عند أهل البديع بأنه : " الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده في كلام أو بيت شعر "[٢] . فالطباق يولد جرساً موسيقياً خفياً من خلال وجود كلمتين متضادتين ، والتضاد الحاصل بين ذلك المعنيين يعمل على إبراز المعنى وتوضيحه وترسيخ الفكرة المرادة في النسيج الشعري ، فنجد ذلك عند كثير من الشعراء ؛ لأنه محسن بديعي يساهم في إيصال الفكر والمعاني للمتلقي بدون عناء .

لقد تكرر الطباق كثيراً عن شوقي في شعر الغربة والحنين مما أضفى على هذا الشعر سمة غالبة ، ولجوء شوقي لهذا النوع دليل على اضطراب الجو النفسي عنده ، فهو يريد أموراً غير الواقعة أمامه ، ومن تلك الأمثلة على الطباق قوله : (الطويل)

أَرِقـــتُ وَعـــادَتني لِـــذِكرى أَحِبَّتـــي   شُـــجونٌ قِيـــامٌ بِالـــضُلوعِ قُعـــودُ

وَمَـن يَحمِـلِ الأَشـواقَ يَتعَـب وَيَختَلِـف   عَلَيـــهِ قَـــديمٌ فـــي الهَـــوى وَجَديـــدُ

لَقيـتَ الَّـذي لَـم يَلـقَ قَلـبٌ مِـنَ الهَـوى   لَـــكَ اللَـــهُ يـــا قَلبـــي أَأَنـــتَ حَديـــدُ

وَلَــم أَخــلُ مِــن وَجــدٍ عَلَيــكَ وَرِقَّــةٍ   إِذا حَـــلَّ غيـــدٌ أَو تَرَحَّـــلَ غيـــدُ[٣]

والملفت للنظر في تلك الأبيات كثرة الكلمات المتطابقة ، حيث جاءت مجموعة كلمات مثل: (قيام وقعود) و (قديم وجديد) و (حلَّ و ترحّل) ، ومما زاد من الموسيقا في البيت الرابع وجود الجناس الناقص بين الكلمتين المتطابقتين ، والمتفحص في موسيقا الأبيات السابقة يجد مدى قوتها النابعة من وفرة الطباق فيها .

---

(١) الشوقيات : ص٧١٣ .

(٢) علم البديع : عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، ص ٧٧.

(٣) الشوقيات : ص٢٤٤.

ومن الأمثلة على الطباق قوله : (البسيط)

فَـإن يَـكُ الجِـنسُ يـا اِبـنَ الطَلـحِ فَرَّقَنـا   إِنَّ المَـصائِبَ يَجمَعـنَ المُـصابينا[1]

حيث جاء كلمة (فرقنا) وكلمة (يجمعن) متطابقتين ، مما يزيد من إبراز الفكرة وتوضيح المعنى الذي يريد الشاعر ناهيك عن الجرس الموسيقي الذي أحدثه التضاد .

ومن التضاد ما يتفق مع الجناس فيزيد في المعنى والإيقاع الموسيقي ، ومن ذلك قوله : (المتقارب)

وَغـالَ الحَداثَـةَ شَـرخُ الـشَبا   بِ وَلَـو شِـيَتِ المُـردُ فـي الـشُيَّبِ[2]

فقد جاء الطباق بين كلمتي (الشباب) و (الشيب) .

٤- المقابلة :

يعرفها ابن رشيق القيرواني حيث يقول : " هي ترتيب الكلام على ما يجب؛ فيعطي أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به آخراً، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه . وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة "[3] ويعطي عبد العزيز عتيق تعريفاً لها فيقول : " أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب " [4].

ومن أمثلة المقابلة في شعر الغربة والحنين عند شوقي قوله : (الخفيف)

أَحـرامٌ عَلـى بَلابِلِـهِ الـدَو   حُ حَـلالٌ لِلطَيـرِ مِـن كُـلِّ جِـنسِ[5]

لقد جاءت المقابلة هنا لفظية ومعنوية ، فشوقي يتوجع من منعه دخول وطنه ، بينما المستعمر يتلذذ بخيرات الوطن ، فجاء التضاد بين كلمة (حرام و حلال) ومن حيث الدلالة بين كلمة (بلابله) والمقصود بها أبناء مصر ، وكلمة (الطير) والمقصود بها المحتل والأجانب الذين استباحوا مصر وكل خيراتها وطردوا أبناءها .

ويقول أيضاً : (الخفيف)

وَطَنـي لَـو شُـغِلتُ بِالخُلـدِ عَنـهُ   نـازَعَتني إِلَيـهِ فـي الخُلـدِ نَفـسي[1]

---

(١) الشوقيات : ص٦٨٠ .

(٢) السابق : ص١٥٢.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني ، ١٥/٢ .

(٤) علم البديع : عبد العزيز عتيق ، ص ٨٦.

(٥) الشوقيات : ص٣٨٤ .

والمقابلة هنا بين (شغلت عنه) و (نازعتني إليه) فالمقابلة تعطي جرساً موسيقياً تتلذذ النفس عند سماعه ، ويشدها للتفاعل مع جو النص .

٥- الجناس :

تعريفه اصطلاحاً : " هو تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى ، ويسمى التجانس والتجنيس " [٢]

والجناس أداة موسيقية تبعث في النفس تعلقاً بالنص الشعري لما يتركه من أثر واضح في المتلقي ، فقد استخدم شوقي الجناس بجميع أشكاله مما أضفى على شعره بريقاً من نوع خاص وموسيقا ظاهرة جلية سلسة ، ومن أمثلة الجناس في شعره قوله : (الخفيف)

وَسَلا مِصرَ هَل سَلا القَلبُ عَنها أَو أَسا جُرحَهُ الزَمانَ المُؤَسّي[٣]

فقد ورد الجناس التام بين كلمتي (سلا) والتي بمعنى (اسألا) ، وكلمة (سلا) والتي بمعنى (نسي وصبر) ، فالملاحظ مدى قوة الموسيقا التي أحدثها هذا الجناس .

وقوله أيضاً : (الخفيف)

نَفسي مِرجَلٌ وَقَلبي شِراعٌ بِهِما في الدُموعِ سيري وَأَرسي[٤]

فالملاحظ في البيت السابق عدد من النواحي التي أخرجت البيت في أجمل حلة ، فقوة الإيقاع نابعة من الجناس الناقص بين كلمتي (سيري) و (أرسي) وكذلك اتحاد الجناس مع الطباق بين الكلمتين ، ويبرز في البيت السابق مظهر موسيقي رائع وذلك في حسن التقسيم في الشطر الأول من البيت ، حيث وردت جملتان تامتان تتكون كل واحدة منهما من مبتدأ وخبر ، في قوله : (نَفسي مِرجَلٌ وَقَلبي شِراعٌ) مما زاد من جمال البيت ورونقه .

٦- التقسيم :

التقسيم فن من فنون البديع المعنوي، وهو في اللغة مصدر قسّمت الشيء إذا جزّأته أما في الاصطلاح فاختلفت فيه العبارات، والكل راجع إلى مقصود واحد[١] .

---

(١) السابق : ص٣٨٤ .
(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب ، ٣١٣/٢ .
(٣) الشوقيات : ص٣٨٤ .
(٤) السابق : ص٣٨٤ .

ويرى عبد العزيز عتيق أن التقسيم يرد على ثلاثة أقسام (٢):

أ- استيفاء جميع أقسام المعنى، وقد ينقسم المعنى إلى اثنين لا ثالث لهما، أو إلى ثلاثة لا رابع لها، أو إلى أربعة لا خامس لها، وهكذا .

ب- يتمثل في ذكر أحوال الشيء مضافا إلى كل حالة ما يلائمها ويليق بها.

ج- يتمثل في التقطيع، ويقصد به تقطيع ألفاظ البيت الواحد من الشعر إلى أقسام تمثل تفعيلاته العروضية، أو إلى مقاطع متساوية في الوزن. ويسمى التقسيم حينئذ (التقسيم بالتقطيع) .

أما التقسيم في شعر الغربة والحنين عند شوقي فيظهر في بعض القصائد ، ومن أمثلة ذلك قوله : (الطويل)

إذا جَنَّنــي اللَيـلُ اِهتَـزَزتُ إِلَيكُمـا   فَجَنحـا إِلـى سُـعدى وَجَنحـا إِلـى سَـلمى

وَحَنَّــت نَــواقيسٌ وَرَنَّــت مَــآذِنٌ   وَرَفَّـت وُجـوهُ الأَرضِ تَـستَقبِلُ الـسُلمى (٣)

فقد جاء حسن التقسيم في الشطر الثاني من البيت الأول ، وفي صدر البيت الثاني في قوله (وَحَنَّت نَواقيسٌ وَرَنَّت مَآذِنٌ) .

وكذلك جاء في قوله :(الخفيف)

نَفــسي مِرجَــلٌ وَقَلبــي شِــراعٌ   بِهِمـا فـي الـدُموعِ سـيري وَأَرسـي (٤)

فحسن التقسيم ورد في الشطر الأول من البيت ، فقد جعل جملتين منفصلتين مكونتين من مبتدأ وخبر ، وفق تقطيع موسيقي خاص .

---

(١) علم البديع : عبد العزيز عتيق ، ص ١٣٤.

(٢) علم البديع : عبد العزيز عتيق ، ص ١٣٧-١٤٠.

(٣) الشوقيات : ص٥٥٠ .

(٤) السابق : ص ٣٨٤ .

الخاتمة

من خلال الغوص في شعر الغربة والحنين عند شوقي والتعرف إلى أسبابه ونتائجه ، ودراسة فنية لخصائص هذا الغرض ، فقد توصلت الدراسة إلى أهم النتائج حيث جاءت على النحو الآتي :

١- إنَّ النفي الذي تعرض إليه شوقي جعله يعيش حياة الغربة بكل ما تحتويها من آلام وحرقة ، وذلك أثَّر على شعره ، فأنتج شعراً مختلفاً عن سابقه ، ممتلئاً بالعواطف الجياشة التي تبعث في النفس الحنين الصادق إلى الوطن ، فكانت تلك الفترة مرحلة تحول في حياة شوقي .

٢- ارتبط حنين شوقي بمسببات الغربة نفسها ، فالغربة عن الوطن جلبت الحنين إلى الوطن وإلى الأهل والأصدقاء ، والشعور بالاغتراب النفسي أنتج حنيناً إلى الذكريات الجميلة وفترة الشباب ، أما واقع الأمة الإسلامية والعربية فأخذه لحنين ديني لأيام النبي (صلى الله عليه وسلم) فكانت المدائح النبوية والشوق لعصر الفتوحات الإسلامية ، ومن ذلك أيضاً حنينه للمحبوب .

٣- اتسمت قصائد شوقي في غربته بالحنين الجارف إلى الوطن ، حيث عرفت تلك القصائد بالأندلسيات ، وتميزت بقوة معانيها وصدق عاطفتها ، وإن جاز وصفها فإنها من أجمل قصائد شوقي على الإطلاق .

٤- اختص أسلوب شوقي في غرض الغربة والحنين بالقوة ، حيث كانت الألفاظ المباشرة للغربة والحنين ظاهرة جلية ، ومما زاد من وضوحها كثرة الألفاظ الموحية بالغربة والحنين .

٥- تنوعت الأساليب الإنشائية الطلبية عند شوقي من (نداء ، وأمر ، واستفهام ، وتمنٍ) وذلك بسبب حنينه الشديد ورفضه الغربة والاغتراب .

٦- جاءت الصورة الشعرية قوية في شعر الغربة والحنين ، فالصورة البيانية شملت النواحي البلاغية وقوة التشبيه مع الدلالة القطعية على شدة حنين شوقي .

٧- رسم شوقي صوراً حسية لمعاناته في الغربة ، حيث أسهمت في توضيح عواطفه الجياشة الكامنة في صدره ، مما أوحى للمتلقي بما يشعر الشاعر من حنين صادق نابع من عواطف صادقة .

٨- من الظواهر الأسلوبية الظاهرة في شعر الغربة والحنين التناص ، وذلك بتأثره بالدين والأدب العربي والتاريخ الإسلامي ، مما كشف عن الثقافة الواسعة التي يتمتع بها شوقي والتي أسهمت في إبراز أحاسيسه ومشاعره .

٩- اعتمد شوقي في غرض الغربة والحنين على مجموعة من الأبحر الشعرية ، وكان أوفرها حظاً بحر الكامل فالطويل والوافر ثم البسيط ، وإن دل ذلك فيدل على استخدامه للبحور التي تتسع لبث الشكوى من خلالها إما لطول تفعيلاتها أو لسرعة إيقاعها .

١٠- عمد إلى اختيار القافية التي تتلاءم والجو النفسي الذي يعيشه ، وابتعد كل البعد عن القوافي التي تؤثر سلباً على موسيقا القصيدة وتنفر المتلقي منها ، حيث حاز حرفا الميم والنون على الكم الأكبر ، وذلك تعليله أن كلا الحرفين يشتركان في خروجهما من الخيشوم والذي يحمل دلالة الحزن والأسى ، وهذا يتلاءم مع الجو النفسي الذي عاشه الشاعر .

١١- ورد التكرار بصورة كبيرة ، سواء بكثرة الحروف التي تحمل دلالة الحزن والحرقة ، أو بالكلمة ، أو بالجملة ، أو بالصيغة ، وذلك مساعدة للغرض الذي من أجله نظمت القصائد المتنوعة .

١٢- تعددت المحسنات البديعية في هذا الغرض مما زاد من الإيقاع الموسيقي المنسجم وبنية النص .

فهرس الآيات

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم .

١. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين : محمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م .
٢. أحمد شوقي حياته وشعره : كمال أبو مصلح ، المكتبة الحديثة ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م .
٣. أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ : فوزي العطوي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩ م .
٤. الأدب العربي المعاصر في مصر : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة عشرة .
٥. أسرار البلاغة فى علم البيان : عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق / عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م .
٦. إسلاميات أحمد شوقي دراسة نقدية : سعاد عبد الوهاب عبد الكريم ، مطابع الجيزة ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م .
٧. الأسلوب : أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٧٦م .
٨. أسواق الذهب : أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي ، مطبعة الهلال ، مصر ١٩٣٢ .
٩. الأعلام : خير الدين بن محمود بن فارس الزركلي الدمشقي(ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين– بيروت ، الطبعة الخامسة عشرة ، ٢٠٠٢م.
١٠. أمالي الزجاجي : لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي ، تحقيق / عبدالسلام هارون ، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٧ م .
١١. أمير الشعراء أحمد شوقي : محمد الطاهر الزنكلوني ، مجلة الأزهر – القاهرة ، الجزء العاشر ، يوليو ١٩٨٦ م .
١٢. البديع في شعر شوقي : منير سلطان ، المعارف ، الإسكندرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٢ م .
١٣. تاج العروس من جواهر القاموس : الزبيدي ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ج١ .
١٤. تاريخ ابن خلدون : ابن خلدون ، تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨م.

١٥. تجربة الغربة والحنين عند ابن خفاجة : فتيحة دخموش (رسالة ماجستير) جامعة منتوري .

١٦. تحليل الخطاب الشعري : محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢م .

١٧. التناص : مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية ، د. أحمد الزعبي ، مكتبة الكتاني، الأردن، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م .

١٨. التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر : حسن البنداري ، عبد الجليل صرصور ، عبلة ثابت ، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية ، ٢٠٠٩ ، المجلد ١١ ، العدد ٢ .

١٩. جمهرة أشعر العرب : لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، تحقيق / علي محمد الباجي ، نهضة مصر – القاهرة ١٩٨١ م .

٢٠. الحماسة الشجرية : ابن الشجري ، تحقيق / عبد المعين الملوحي و أسماء الحمصي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٠م .

٢١. الحنين إلى الأوطان : لأبي عثمان الجاحظ ، دار الرائد العربي – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م .

٢٢. الحنين في الشّعر الزّنكي والأيوبي: مي إبراهيم عمرو ، رسالة ماجستير من جامعة الخليل ٢٠١١م .

٢٣. الحنين والغربة في الشعر العربي : د. يحيى الجبوري ، دار مجدلاوي ، عمان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨م .

٢٤. الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق / عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل – بيروت، ١٩٩٦ .

٢٥. الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية : عبدالإله الصائغ ، الدار البيضاء–بيروت :المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ م .

٢٦. الخطيئة والتكفير –من البنيوية إلى التشريحية – قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر: عبد الله الغذامي ، النادي الثقافي الأدبي – جدة ،١٩٨٥م ، ط١ .

٢٧. دراسات في النقد الأدبي : د. حماد أبو شاويش ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ١٩٩٩م

٢٨. دراسة عن شوقي : شفيق جبري ، دار قتيبة للطباعة و النشر و التوزيع ، الطبعة الأولى – ١٩٩٧م .
٢٩. دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، قراءة و تعليق : محمود شاكر ، مكتبة مطبعة المدني ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢ م.
٣٠. ديوان ابن خفاجة الأندلسي : تحقيق / عبد الله سنده ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦ م .
٣١. ديوان أبي سلمى عبد الكريم الكرمي : دار العودة – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٨ م ، ص ١٧٣ .
٣٢. ديوان أبي فراس الحمداني : تحقيق / خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٤ م ، ص ٢٥٢ .
٣٣. ديوان أحمد شوقي (الشوقيات) : تدقيق محمد فوزي حمزة ، الطبعة الثانية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ٢٠١٢ م .
٣٤. ديوان البحتري : تحقيق / حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف – القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٤ م .
٣٥. ديوان المتلمس الضبعي : تحقيق حسن الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ م .
٣٦. ديوان النابغة الذبياني : ت/ عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٦ م .
٣٧. ديوان امرِئ القيس : تحقيق / عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٤م.
٣٨. ديوان جرير : جرير بن عطية العامري ، دار بيروت للطباعة – بيروت ، ١٩٨٦م .
٣٩. ديوان حافظ إبراهيم : ضبطه وشرحه ، احمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الابياري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٧ م .
٤٠. ديوان طرفة بن العبد : تحقيق / مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٢م.
٤١. ديوان مالك بن الريب : تحقيق / د. نوري حمودي القيسي ، مجلة معهد المخطوطات العربية" مج ١٥، جـ١ .
٤٢. ديوان محمود سامي البارودي : تحقيق / علي الجارم ومحمد شفيق معروف ، دار العودة – بيروت ، ١٩٩٨ م .

٤٣. ذكرى الشاعرين (شاعر النيل وأمير الشعراء) : أحمد عبيد ، المكتبة العربية ، دمشق، الطبعة الأولى .
٤٤. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي : تحقيق : عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .
٤٥. سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢م .
٤٦. شرح اللزوميات :لأبي العلاء المعري ، تحقيق / زينب القوصي – وفاء الأعصر – سيدة حامد – منير المدني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ م ، ج٣ .
٤٧. شرح ديوان أبي تمام : الخطيب التبريزي ، تحقيق / راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الثانية، ١٩٩٤ ، ج١ ، ص٢٩٠ .
٤٨. شرح ديوان عنترة بن شداد : الخطيب التبريزي ، تحقيق : مجيد طراد ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م .
٤٩. شعر شوقي الغنائي والمسرحي : طه وادي ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٥م .
٥٠. شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة السابعة .
٥١. الشوقيات المجهولة : محمد صبري ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ج١ ، ١٩٧٩م .
٥٢. الصحاح : لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٩ م .
٥٣. صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٥٤. الصورة البيانية في كتاب روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقي البروسوي : إلهام حرارة (رسالة ماجستير) الجامعة الإسلامية – غزة ، ٢٠١٣ م .
٥٥. الصورة في الشعر العربي : على البطل ، دار الأندلس – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١ م .
٥٦. الصورة والبناء الشعري : محمد حسن عبد الله دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨١ م .

٥٧. ظاهرة التناقص في الشوقيات ، مهند عباس زكي ، رسالة ماجستير ، الجامعة العراقية – بغداد، ٢٠١١ م .
٥٨. ظواهر عروضية من الشوقيات ، محمد عبد المجيد الطويل ، مجلة كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤ م .
٥٩. عشرون من شعراء المنافي والسجون : أحمد سويلم ، دار الطلائع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠١١ م .
٦٠. علم البديع : عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان .
٦١. علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩ م.
٦٢. علم النص : جوليا كريستيفا ، تر/ فريد الزاهي ، مراجعة / عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م .
٦٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨١م .
٦٤. الغربة والحنين في الشعر الأندلسي : فاطمة صحصح ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣.
٦٥. الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة : د. أمين العمصي ، جامعة قاريونس – بنغازي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ م .
٦٦. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق/ يوسف النبهاني ، دار الفكر – بيروت / لبنان – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .
٦٧. فن الشعر: إحسان عباس ، دار صادر– بيروت، دار الشروق– عمان، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ م .
٦٨. في النقد الأدبي ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الرابعة، ١٩٦٧م .
٦٩. القرآن والصورة البيانية : د. عبدالقادر حسين ، عالم الكتب – بيروت ، الطبعة الثانية، ١٩٨٥ م .
٧٠. اللزوميات : لأبي العلاء المعري ، تحقيق / أمين عبد العزيز الخانجي ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ج٢ .

٧١. لسان العرب لابن منظور : دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى .
٧٢. المتنبي وشوقي دراسة ونقد وموازنة : عباس حسن ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٩٥١م .
٧٣. المجـال النفس اجتماعي العربـي : د. عباس مكـي ، معهد الإنماء العربي – بيـروت، ١٩٩١م .
٧٤. محاضرات في العروض والقافية : د. علاء إسماعيل الحمزاوي ، دار التيسير للطباعة والنشر بالمنيا ٢٠٠٢م .
٧٥. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها : عبد الله الطيب ، الكويت، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٩ م – ١٤٠٩ هـ .
٧٦. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣م .
٧٧. المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المكتبة الإسلامية ، استانبول .
٧٨. مقدمة القصيدة عند شعراء مدرسة الإحياء والبعث : عبد العزيز الثبيتي ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القري – المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٠م .
٧٩. المكان في الشعر الأندلسي : محمد الطربولي ، دار الرضوان ، عمان ، الطبعة الأولى .
٨٠. من أعلام الفكر والأدب في التراث العربي : محمد جواد النوري ، مطبعة الشرق العربية ، القدس – شعفاط .
٨١. منهاج البلغاء وسراج الأدباء : حازم القرطاجني ، تحقيق / محمد الحبيب بن الخوجة، دار المغرب الإسلامي – بيروت ، ط ٣، ١٩٨٦ م.
٨٢. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، تحقيق / د. عبد الله المحارب، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م .
٨٣. موسيقى الشعر: إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٢ م.
٨٤. نقد الشعر : قدامة بن جعفر ، تحقيق / د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية – بيروت .

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**